



ISSN: 2581-3455

العددان الثاني عشر والثالث عشر - المجلد السابع

يناير- يونيو ويوليو- ديسمبر 2023

الجيل الجديد

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

www.aljeelaljadeed.in



ISSN: 2581-3455

NO.12-13 -2023

الجيل الجديد

(مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية)

العددان الثاني عشر والثالث عشر - المجلد السابع،

يناير- يونيو ويوليو- ديسمبر 2023



أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغواصَّ عن صدفاتي؟

(حافظ إبراهيم)

الجيل الجديد

(مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية)

رئيس التحرير

أ.د. رضوان الرحمن

الهيئة الإدارية:

- أ.د. مجيب الرحمن
- أ.د. خلدون صبح
- أ.د. مريم عبد الرحمن راشد النعيمي
- د. خورشيد إمام

مراسلات التحرير

Prof. Rizwanur Rahman
Editor in Chief,
Centre of Arabic & African Studies
SLL& CS, JNU, New Delhi- 110067
Tel: 011-26704644
Email: aljeelaljaded2017jnu@gmail.com
Website: www.aljeelaljaded.in

يصدرها

أ.د. رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. خالد بن إبراهيم النملة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض)
- أ.د. أحمد علي إبراهيم (جامعة بغداد، العراق)
- د. نورة علي خليل (جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي)
- د. طارق أحمد البكري (وكالة الأنباء الكويتية، الكويت)
- أ.د. أشفاق أحمد (جامعة بنارس الهندوسية، فاراناسي، الهند)
- أ.د. مظفر عالم (جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، الهند)
- أ.د. عبد الماجد القاضي (الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي، الهند)
- أ.د. دنيا باقل (جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر)
- أ.د. محمد شاهد (جامعة مومباي، مهاراشترا، الهند)
- أ.د. عبد الرزاق تي (جامعة آسام، سيلتشار، الهند)
- أ.د. أمين مصرني (جامعة وهران 1، الجزائر)
- أ.د. سيد حسنين اختر (جامعة دلهي، نيو دلهي، الهند)
- د. سعيد الرحمن (الجامعة العالية، كولكاتا، الهند)
- د. اختر عالم (جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند)
- د. محمد محبوب عالم (جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند)

الأفكار المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة بأي شكل من الأشكال. يتحمل الكاتب جميع الحقوق الملكية الفكرية المترتبة للغير. لا يخضع ترتيب البحوث في المجلة لأهمية البحث ولا لمكانة الباحث.

شروط النشر في المجلة:

- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديمياً، وأن يكون البحث خالياً من السرقة الأدبية والأخطاء النحوية والصرفية والإملائية كلياً.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 140 كلمة، وأن يترجم الملخص إلى اللغة الإنجليزية، ترجمة معتمدة.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائياً.
- أن يكون المقال مطبوعاً ببرنامج (Word)، ونوع الخط (AL-Mohanad) وحجم الخط 14 في كتابة المتن، بمسافة 1.0 بين سطور المتن، وحجم 16 في العناوين الرئيسية و14 للعناوين الفرعية للمتن، و11 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط 12 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 10.
- أن لا يتجاوز عدد الكلمات 6500، بما فيها ملخص البحث بالعربية والإنجليزية، والمصادر والمراجع.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل.
- ترفق قائمة مفصلة بالمصادر والمراجع وفق طريقة MLA، نهاية البحث مرتبة هجائياً.
- يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:
- عند ذكر المرجع للمرة الأولى:
- **الكتب:** الاسم الأخير للمؤلف، والاسم الأول للمؤلف. عنوان الكتاب بخط غليظ، الطبعة، المجلد إن وجد. مكان النشر: الناشر، سنة النشر، ص: .
- **على سبيل المثال:** هيكل، الدكتور أحمد. تطور الأدب الحديث في مصر، ط6. القاهرة: دار المعارف، 1994م، ص:25.
- **المقالات:** اسم المؤلف. عنوان المقال "بين فاصلتين مزدوجتين"، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، ج، ص: .
- عند تكرار المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص: .
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخرج كالآتي: (التوبة: 1) .

المحتويات

الصفحة	الكاتب	البحث
7	أ.د. رضوان الرحمن	كلمة التحرير
بحوث ودراسات		
9	د. فهد إبراهيم البكر	تحولات السرد الروائي في الأدب السعودي المعاصر وأثرها في تشكيل إرهابات الأدب الرقمي
26	د. طارق البكري	المحاور الأسلوبية والموضوعاتية في قصص كامل كيلاني
50	د. وئلي الله	الربيع العربي في سوريا كما يتجلى في رواية "أمل"
68	د. محمد محبوب عالم	مجلة "آهاساتشي" صديق طيب لأبناء المسلمين
81	د. سلمان عارفي	ملامح الأدب الإسلامي في ديوان "أشجار الشارع أخواتي" لأحمد فضل شبلول: دراسة تحليلية
94	د. محمد عيسى	القواعد النحوية والصرفية وخريجو دار العلوم لندوة العلماء
117	د. تبريز أحمد	ندوة العلماء تختار اللغة العربية كبديل ثقافي عن الثقافة الإنجليزية
131	د. محمد عبد الواحد	البليوغرافية العربية عند كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي "نموذجاً"
148	د. متلف آسية	تمظهر حضور الرجل في الخطاب السردي المعاصر رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" لأثير عبد الله النشمي "أمثولة"
163	أ.د. أحمد عبد المنعم حاليو	قصص حمود الصوالفي توجه جديد في السرد العماني المعاصر: دراسة نقدية
182	د. محمد مظهر	رياض الأطفال ودورها في تنمية الثروة اللغوية للأطفال
إبداعات أدبية		
203	إبراهيم أمين مؤمن	أيامنا الحلوة
209	د. عبد الغفور الهدوي كوناتدي	طعام من الله
219	د. فيصل نذير	الأجنبي في بيتي
224	د. محمد عفان	جنيتة في قارورة
حوارات		
227	محمد معراج عالم	حوار مع الروائي الإترري هاشم محمود حسن
استعراض الكتب		
233	د. غياث الإسلام الصديقي	قراءة في كتاب "إشكاليات تاريخ الأدب العربي"

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها القراء الأعزاء!

نقدّم إليكم العددان الثاني عشر والثالث عشر من مجلة "الجيل الجديد". ويحتوي العددان على العديد من البحوث والدراسات التي شارك في كتابتها مجموعة من الخبراء والباحثين والمتخصصين. يتحدث بحث عن تاريخ السرد الروائي السعودي، والسبق السعودي في ميدان الأدب الرقمي من خلال الرواية البريدية، والحضور المتجدد للسرد الروائي السعودي من خلال الرواية الهاتفية، إلى جانب التوهج السردى السعودي من خلال الرواية الذكية. ويتناول بحث آخر أسلوب كامل كيلاني رائد أدب الطفل، في الكتابة للأطفال، إلى جانب المحاور الموضوعاتية في قصصه للأطفال.

وتناقش دراسة الدكتور ولي الله انعكاس الربيع العربي في سوريا في ضوء رواية "أمل" لدينا نسريني التي تناولت قضايا ثورة الربيع العربي في سوريا ووصفت أحداثها بدقة. وتلقي دراسة الدكتور محمد محبوب عالم الضوء على مجلة "أجها ساتهي" الصادرة باللغة الأردية في مدينة بجنور، وتقدم استعراضاً شاملاً لمحتويات المجلة وموضوعاتها. وتتناول دراسة الدكتور سلمان عارفي ملامح الأدب الإسلامي في ديوان "أشجار الشارح أخواتي"، وهو مجموعة شعرية ألفها الشاعر أحمد فضل شبلول للأطفال، ويتميز هذا الديوان ببنائه الفني الأنيق حيث ربط الشاعر كل نشيده بعنوان واحد، وجمع ضمن ذلك عدداً من الحقائق والمعلومات الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسيرة النبوية ومن سير الأنبياء والتاريخ الإسلامي وأحداثه.

وتلقي مقالة الدكتور محمد عيسى الضوء على أبرز ما قدمه خريجو دار العلوم لندوة العلماء من إسهامات مشكورة في سبيل تبسيط اللغة العربية وقواعدها من النحو والصرف. وتسعى دراسة الدكتور تبريز أحمد إلى دراسة تطور ندوة العلماء، وإلى تحليل اختيارها اللغة العربية كلغة التدريس والكتابة والتواصل مع العالم الإسلامي وتقييم جهودها للجمع بين العلوم الإسلامية الأساسية والعلوم الإنجليزية الحديثة.

ويناقد بحث الدكتور محمد عبد الوحيد النسخة الأصلية لكتاب "تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكلمان، كما يتناول دور بروكلمان في تعزيز انتشار العلوم والثقافة العربية خارج الحدود الجغرافية للعالم العربي. وتتطرق دراسة الدكتور محمد مظهر إلى ضرورة الحديث عن رياض الأطفال ودورها في تنمية الثروة اللغوية للأطفال، إلى جانب مناقشة مفهوم رياض الأطفال ووظائف رياض الأطفال ومتطلباتها وأهدافها التربوية.

ويضم العدد أيضاً قصصاً قصيرة إلى جانب القصص المترجمة من اللغات الهندية. كما ستتعرفون ضمن باب "حوارات" على الروائي الإرتري هاشم محمود حسن، والذي يكتب القصة القصيرة والرواية إلى جانب الإنتاجات الشعرية. وستقرأون أيضاً استعراضاً شاملاً لكتاب "إشكاليات تاريخ الأدب العربي" للكاتب العماني عيسى بن سعيد الحوقاني.

ونجدد دعوتنا إلى الكتاب والباحثين والمتخصصين في الدراسات العربية للمشاركة في أعداد المجلة القادمة ببحوث ودراسات قيمة ونافعة وإنتاجات أدبية رائعة، ونتطلع لانطباعاتكم واقتراحاتكم التي تستهدف تطوير المجلة ووضعها في مكان الريادة. وهنا نجد لزاماً علينا أن نشكر كل من ساهم في إعداد العدد من الكتاب والباحثين والأساتذة المحكمين، وأعضاء هيئة التحرير والهيئة الاستشارية، كما نشكر القراء الأعزاء، آملين أن يكون العدد محل إفادة لهم.

أ.د. رضوان الرحمن

رئيس التحرير

تحولات السرد الروائي في الأدب السعودي المعاصر وأثرها في تشكيل إرهاصات الأدب الرقمي

د. فهد إبراهيم البكر*

Email: falbkr9@gmail.com

ملخص البحث:

كان للأدب العربي السعودي المعاصر أثره البين في تشكيل النواة الأولى، أو الملامح المبدئية لنشوء الأدب الرقمي الذي صار اليوم يركز على الأيقونات، والروابط، والوسائط، ونحوها، وينبغي القول: إن معالم الأدب الرقمي لم تكتمل بعد، ولم تنضج إلى الآن؛ إذ ما زالت تستوي شيئاً فشيئاً، وترتقي سلماً فسلماً، ومن هنا تسعى هذه الورقة إلى الوقوف عند بعض النماذج التي أسهم من ورائها السرد الروائي السعودي في تشكيل هوية رقمية جديدة للأدب، وفي ضوء ذلك السعي ستعتمد الدراسة على تمهيد، وثلاثة محاور، وخاتمة.

فأما التمهيد فسوف يعرف بتاريخ السرد الروائي السعودي، وأما المحور الأول فسيتناول التعريف بالسبق السعودي في ميدان الأدب الرقمي من خلال الرواية البريدية، ثم يعالج المحور الثاني الحضور المتجدد للسرد الروائي السعودي من خلال الرواية الهاتفية، ثم يناقش المحور الثالث التوجه السردية السعودي من خلال الرواية الذكية، ثم خاتمة الدراسة، فقائمة بأهم المصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: الأدب السعودي، الأدب الرقمي، تحولات، الرواية، المعاصر.

Abstract:

Contemporary Saudi Arabian literature had a clear impact on the formation of the first nucleus or the initial features of the emergence of digital literature which today focuses on icons links media and the like. As it is still leveling little by little and ascending one ladder after another hence this paper seeks to stand at some models behind which the Saudi novelist's narrative contributed to the formation of a new digital

* أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

identity for literature and in light of that quest the study will depend on an introduction three axes and a conclusion.

As for the introduction it will introduce the history of the Saudi novelist's narrative and as for the first axis it will deal with introducing the Saudi precedence in the field of digital literature through the postal novel then the second axis will deal with the renewed presence of the Saudi novelist's narrative through the telephone narration then the third axis will discuss the Saudi narrative glow through the smart novel then the conclusion of the study a list of the most important sources and references.

مقدمة:

أ - أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

لأن الأدب السعودي اليوم لم يعد اسماً عابراً في فضاء الأدب الرقمي الجديد؛ كان من الأولى التأكيد على قيمة حضوره الإلكتروني التأسيسي، ولا سيما في ميدان الرواية، إذ من المعلوم أن الأدب الرقمي يتسع لأجناس وأشكال عديدة، غير أننا وجدنا في الرواية علامة فارقة تثبت مدى الأثر الواضح الذي قدمته الرواية السعودية تحديداً في رسم ملامح الأدب الرقمي، والتجذير له عبر تحولات إلكترونية لا يمكن إغفالها؛ ومن هنا كان هذا الموضوع مهماً في الكشف عنه، وهو ما دعانا إلى اختياره، وتبسيط الضوء عليه.

ب - أهداف الموضوع:

تهدف هذه الدراسة إلى النظر في السرد الروائي السعودي نظرة مختلفة وجديدة، ولهذا فهي تسعى إلى تحقيق بعض الغايات التي يمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

- التعرف على الأطوار الرقمية لتحول السرد الروائي في الأدب السعودي المعاصر.
- التركيز على الجذور الأولى لنواة الرواية السعودية الرقمية بوصفها أثراً فاعلاً في المشهد الروائي العربي.
- قراءة الأعمال السردية الروائية في الأدب السعودي قراءة معاصرة تواكب الانفتاح الثقافي المتنوع.

– الوقوف عند بعض النماذج الروائية السعودية ذات الأثر المهم في الترسخ لميلاد أدب رقمي تفاعلي، ومحاولة إبرازها في ثوبها الذي تتلبّسه.

ج – الدراسات السابقة:

عند البحث في الفهارس الآلية لمكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لم نجد ما يتطابق مع عنواننا "تحولات السرد الروائي في الأدب السعودي المعاصر وأثرها في تشكيل إرهابات الأدب الرقمي"، كما لم نجد ما يتشابه معه؛ وهو ما يشير إلى طرافة الموضوع، وتفرّد العنوان؛ ومن هنا لم نجد ما يتقاطع مع دراستنا، ولنؤكد على ذلك فإنه بمقدورنا الإلماح إلى بعض الدراسات التي لا صلة لها بعنواننا، لكنها قد تلتقي في جزء منها من جهة الاعتناء بالأدب السعودي بعامه، وذلك من قبيل: (تلقي الشعر العربي السعودي إلكترونياً)¹، وهي دراسة تختص بالشعر، ولا علاقة لها بموضوع بحثنا. ولم نجد عدا ذلك دراسة تقترب من موضوعنا هذا تحديداً، ولا قريباً منه.

د – منهج الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على النهج الاستقرائي الذي يستعين بالتأريخ والتأصيل أحياناً، أي مقارنة هذا الموضوع من زاويته الاستنباطية والتأريخية التي تسعى إلى رصد تلك التحولات السردية الجديدة التي مرّت بها الرواية السعودية، ثم محاولة ربطها بالأدب الرقمي الجديد تمهيداً لدخولها عالم التفاعلية.

تاريخ السرد الروائي السعودي:

تتبع بدايات السرد الروائي في الأدب السعودي من مدة زمنية ليست ببعيدة عن كثيراً عن نشأة أول أنموذج روائي عربي؛ إذ يرجع بعض الباحثين والنقاد بدايات ظهور الرواية السعودية مع رواية "التوأمان" لعبد القدوس الأنصاري في عام 1930م،

¹ ينظر: الحربي، فائزة أحمد. تلقي الشعر العربي السعودي إلكترونياً، السجل العلمي لمؤتمر الأدباء السعوديين. الرياض: وزارة الثقافة والإعلام بالتعاون مع دار المفردات للنشر والتوزيع، 1432هـ.

وإن كان البعض يرى فيه حضوراً باهتاً من الناحية الفنية²، غير أنه في نظري لا بد أن يعطي دليلاً مهماً على الأنموذج الرائد في بدايته وانطلاقاته. ويضع أولئك المهتمون بنقد الرواية السعودية لتأريخها أربع مراحل، وهي: مرحلة النشأة، ومرحلة التأسيس، ومرحلة الانطلاق، ومرحلة التحولات الكبرى³، ويرون أن المرحلة الأولى (النشأة) لتاريخ الرواية السعودية وتطورها إنما نشأت مع بعض النماذج الأولى كرواية "التوأمين" لعبد القدوس الأنصاري، عام 1930م، ورواية "فكرة" لأحمد السباعي، عام 1984م⁴.

كما يذكرون من نماذج المرحلة الثانية (التأسيس) رواية "الانتقام الطبيعي" لمحمد الجوهري، عام 1954م، ورواية "ثمن التضحية" لحامد دمنهوري، عام 1959م، ورواية "ثقوب في رداء الليل" لإبراهيم الناصر الحميدان، عام 1961م، ورواية "ومرت الأيام" لحامد دمنهوري، عام 1963م، ورواية "سفينة الموتى" لإبراهيم الناصر الحميدان، عام 1969م، ورواية "عذراء المنفى" للكاتب نفسه، عام 1977م، ثم تلا ذلك ظهور بعض الروايات النسائية كرواية "البراءة المفقودة" لهند باغفار، عام 1972م، ورواية "غداً سيكون الخميس" لهدى الرشيد، عام 1977م، ورواية "بسمة من بحيرات الدموع" لعائشة زاهر أحمد، عام 1979م⁵.

ثم تأتي مرحلة (الانطلاق) التي نلاحظ فيها ظهور بعض الأعمال الروائية المتدفقة لكاتب واحد، كما في أعمال عبد العزيز مشري: (الوسمية 1986م - الغيوم ومنابت الشجر 1987م - الحصون 192م - ريح الكادي 1993م - في عشق حتى 196م - صالحة 1997م)، كما ظهرت أعمال أخرى متنوعة كرواية "4 صفر"

² النعمي، حسن. الرواية السعودية، واقمها، وتحولاتها، ط1. الرياض: وكالة الوزارة للشؤون الثقافية، 2009م، ص:13.

³ المرجع نفسه، ص:17-18.

⁴ المرجع نفسه، ص:19-20.

⁵ المرجع نفسه، ص:22-27.

لرجاء عالم، عام 1987م، ورواية "رائحة الفحم" لعبد العزيز الصقعي، عام 1988م، ورواية "سقيفة الصفا" لحمزة بوقري، عام 1984م.⁶ ثم أخذت تظهر في مرحلة (التحولات الكبرى) النماذج الروائية الأكثر نضجاً من الناحية الفنية، ويمثلون لها ببعض الروايات التي ظهرت مع بعض الأسماء الروائية كغازي القصيبي، وعبد خال، وتركي الحمد، وعبد الحفيظ الشمري، وبدرية البشر، ومحمد حسن علوان، وأميمة الخميس، ويمكن العودة إلى الرصيد الروائي لكل منهم لتبيّن تلك النماذج الوافرة⁷، وفي نظري أنها نماذج أخذت تضيف للمشهد الروائي العربي بشكل أكثر ثراءً وشعرية، سواء من خلال عناوينها، أو عبر خطابها ومنتها.

وقد حدّد بعض المهتمين بتاريخ الرواية السعودية أربع مراحل لمسارها، وذلك على نحو زمني دقيق، مع الإشارة إلى بعض النماذج؛ فجعل المرحلة الأولى تبدأ من 1930-1959م، والمرحلة الثانية تبدأ من 1959م-1980م، والمرحلة الثالثة تبدأ من 1980م-2000م، والمرحلة الرابعة من 2000م، ولا تزال مستمرة⁸.

وليس هذا مجال إحصاءٍ للروايات السعودية منذ نشأتها، لكننا نحاول أن نشير إلى النماذج الأبرز، ونلمح إلى المراحل الأهم التي تشكلت من خلالها معالم الرواية السعودية، ويكاد أن يجمع أكثر مؤرخي الأدب السعودي، والمهتمون بالأدب الروائي منه بأن الرواية سلكت مسارات بدأت من النشأة، ومررت بالنضج، ووصلت إلى حد الاستواء والاكتمال، وقد تعرض بعضهم في مؤلفات خاصة لنشأة الرواية السعودية، وتحولاتها، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى بعض منها، كما في كتاب "الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها من 1930-1989م،

⁶ المرجع نفسه، ص: 28-29.

⁷ المرجع نفسه، ص: 30.

⁸ اليوسف، خالد بن أحمد. معجم الإبداع الأدبي في المملكة العربية السعودية: الرواية، ط2. الرياض: النادي الأدبي بالرياض، 2010م، ص: 17-18.

دراسة تاريخية نقدية" لسلطان بن سعد القحطاني⁹، ومن ذلك مثلاً كتاب "فن الرواية في المملكة العربية السعودية" للسيد محمد الديب¹⁰، وغيرها من الكتب الأخرى ذات الشأن والصلة.

ويلحظ في أكثر تلك الكتب التي ترصد تحولات الرواية السعودية ومساراتها حرصها على الطابع الفني ممزوجاً بالأثر التاريخي، وهذا جيد، غير أن أكثر تلك الدراسات قد توقفت عند حد معين، أعني أنها لم تعد تؤرخ للرواية السعودية بعد مرحلة الطفرة، والتألق، والنضج الفني، فلم تبرح بعد ذلك مكانها، وبخاصة في علاقة الرواية بالمستجدات، والتغيرات الحديثة، والتحولات الطارئة، وهو ما جعلنا نحاول الانطلاق من تلك النقطة آملين بأن تكون هذه المقالة إسهاماً يحرك الجهود نحو مواصلة الارتقاء بالرواية السعودية المعاصرة إلى حيث الفضاءات الرقمية.

السبق السعودي في ميدان الأدب الرقمي من خلال الرواية ذات الطابع البريدي:

الذي ينظر في تحولات الكتابة الروائية منذ نشأتها سوف يلحظ توسلها بأدوات عديدة في نسج خيوطها الحكائية، وفي رسم معالمها السردية، حيث أخذت الرواية تستعين في تلك الأدوات الكتابية لضخ مزيد من الطاقة القصصية في متنها العام، وفي محتوى خطابها الخاص، وليس أدل على ذلك من تأثرها بالطابع البريدي، وتوظيفها للون الرسائل الذي ينبعث منه، والذي يتأمل الرواية العربية بشكل عام، والرواية السعودية بشكل خاص سيجد أن الرسالة بوصفها شكلاً تواصلياً، وجنساً أدبياً قد أسهمت في ردد الأثر الروائي بمادة سردية هائلة، وطاقة قصصية لا يمكن إغفالها.

وقد نشأ عن ذلك التوظيف الرسائل ظهور الرواية الرسائلية، وهذا باب كبير ليس هذا مجال تفصيله، لكن حينما الإشارة إليه، والتنبيه عليه، ولا سيما أن الرواية

⁹ القحطاني، سلطان بن سعد. الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها من 1930-1989م، دراسة تاريخية نقدية، ط1. الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية، 1998م.

¹⁰ الديب، السيد محمد. فن الرواية في المملكة العربية السعودية، ط1. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 2021م.

الرسائلية السعودية كانت رائدة في هذا الميدان، بل كانت مؤسسة وليست مؤثرة فحسب؛ ذلك أن تاريخ الرواية الرسائلية السعودية ذات الطابع البريدي، إنما وُلد مبكراً، قبل ما يقارب الأربعين عاماً تقريباً، وتجلّى ذلك تحديداً مع الكاتب عبد الله الجفري الذي أبدع روايته "جزء من حلم" عام 1984م، وقامت روايته على ذلك الطابع الرسائلية البريدي، حيث نجد فيها مثلاً هذا النص: "اليوم أنا أكتبُ لك (...)" وما زلت أتدقق، أريد أن لا أتوقف عن الكتابة إليك، كل سطر أكتبه لك هو خفقتي ونبضي (...)" فلا بد أن أختار الكتابة لك، لأنني لحظتها أشعر بك في مسامي، وعقلي، ووجداني، الكتابة لك علاقة حميمة بين نفسي وصدقها، وحبها ورغدها.."¹¹.

وقد أخذ هذا الأنموذج السعودي يقفو أثر الرواية الرسائلية العربية التي يمكن التأريخ لها برواية المصري محمد عبد الحليم عبد الله "إبريسم أو غرام حائر" التي قامت على مجموعة رسائل، كُتبت بين عامي 1935-1936م¹²، وقد فتحت رواية الجفري -في نظري- للروائيين السعوديين التوظيف الرسائلية البريدي فيما بعد، فظهرت الرواية البريدية ذات اللون الآلي، أي المتوسلة بآلة البريد، متأثرة بما استجد لدى الروائيين العرب من تجارب روائية ذات طابع آلي، على نحو ما رأيناه مثلاً في بعض الروايات العربية التي توظف البرقيات، أو ما يعرف في ذلك الوقت بـ(التلغراف *Telegraph*) كما في رواية "الطائر في العنق" لعمر القاضي¹³، ورواية هاني الراهب "شرح في تاريخ طويل"¹⁴، ورواية توفيق الحكيم "سجن العمر"¹⁵.

¹¹ الجفري، عبد الله عبد الرحمن. جزء من حلم، ط1. جدة: الكتاب العربي السعودي، 1984م، ص:13، 29، 129. ويمكن اعتبار (ماتم الورد) لسميرة خاشقجي -عند من يعدونها رواية- سابقة لرواية الجفري، حيث كتبت في عام 1973م. ينظر: سميرة بنت الجزيرة العربية. ماتم الورد، ط1. دار الآفاق الجديدة، 1990م.

¹² عبد الله، محمد عبد الحليم. إبريسم أو غرام حائر، د.ط. القاهرة: دار مصر للطباعة، دت، ص:19، 59، 140.

¹³ القاضي، عمرو. الطائر في العنق، د.ط. بيروت: المركز الثقافي العربي، دت، ص:13.

¹⁴ الراهب، هاني. شرح في تاريخ طويل، ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م، ص:233.

ولئن أشير سلفاً إلى أن المراسلات العصرية ذات الطابع الورقي اعتمدت على وسائل آلية تمثلت في: البرقيات (التلغراف)، والآلة الكاتبة، والفاكس، والبريد العادي، فإن هذه المؤثرات الآلية لم تكن لتتقطع، بل امتدت -فيما ظهر لاحقاً- مع الجهاز الحاسوبي؛ وعليه يمكن الحكم بأن الأدب الرقمي الجديد ما هو إلا تحول عن أدب طباعي تقليدي (آلي) ذي صبغة ورقية، لكنه تحول تناقسي يمثل نقلة نوعية، راح بعضهم يشبهها "بتلك التي شهدها العصر الحديث مع اختراع الطباعة، حيث هزّ الكتاب الإلكتروني عرش الكتاب المطبوع، وانتزعت الثقافة الإلكترونية مكان الصدارة من ثقافة المطبوع"¹⁶.

ومن هنا طرقت الرواية السعودية باب الإلكترونيّة أول ما طرقته عندما قامت بتوظيف (البريد الإلكتروني)، وللأسف أن كثيراً من المهتمين بتاريخ الأدب الروائي السعودي لم يرصدوا هذا التحول، مع أنه تحول يمكن ربطه بالواقع الجديد، أعني ظهور الإنترنت، وتطور الوسائل البريدية، ووسائل التواصل الجديدة؛ ولهذا يمكن أن نعدّ رواية "بنات الرياض" لرجاء عبد الله الصانع التي ظهرت عام 2005م، من طلائع الروايات السعودية التي اعتنت بتوظيف تقنية البريد الإلكتروني، وخواصه الآلية، كالماسنجر، وغيرها، وقد قامت هذه الرواية على أساس من المراسلات التي كانت تنشرها في مجموعة بريدية تضم فئة من القراء المتعطشين لرسائلها يتلقفونها بين حين وآخر¹⁷، ومع هذا فإنه لم يشر أحد من الباحثين والنقاد إلى أن هذه الرواية تعد رائدة في ميدان الرواية البريدية المتأثرة بالطابع الإلكتروني، وإن ألمح بعض الباحثين إلى كونها رواية رسائلية من نوع جديد¹⁸.

¹⁵ الحكيم، توفيق. *سجن العمر*، د.ط. مصر: مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، دت، ص:10.

¹⁶ زرفاوي، عمر بن عبد الحميد. "العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني، قراءة في تحولات أطراف المنظومة الإبداعية"، *مجلة المخبر*، العدد الأول، جامعة بسكرة-الجزائر، 2009م، ص:112.

¹⁷ الصانع، رجاء عبد الله. *بنات الرياض*، ط7. بيروت: دار الساقى، 2007م.

¹⁸ الغامدي، صالح معيض. *كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية*، ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2013م، ص:140.

ثم تتابعت الروايات البريدية المتأثرة بالبريد الإلكتروني بعد رواية "بنات الرياض"، حيث تطالعنا -مثلاً- روايات من قبيل: رواية فاطمة آل عمرو "اغتيال صحافية"، التي تقول فيها: "تواصل معه من خلال (الماسينجر)، وكتبت له: ارتكب الجاني نفس الأسلوب، وأعتقد أن هناك أمراً ما جعله يقتل الصحافية (...). رسالة عبر البريد (الإلكتروني) وصلت إلى سندس، كان صاحب الرسالة يقول..."¹⁹.

ومن الروايات أيضاً رواية (بورترية الوحدة) التي بُنيت على رسائل البريد (الإلكتروني) التي كتبت بين شخصيتين (ماجد، ومي) وحملت تلك الرسائل طابعاً شعرياً ميزها سواء في مقدماتها، أو متونها، أو خواتيمها، وإن كانت المقدمات مطرزة بالأرقام والأحداث، والأوقات، والعناوين الشعرية، يقول مثلاً: "رسالة رقم: 45 في الوقت الذي كانت فيه العصافير تشحذ همة بعضها لتستيقظ (...). أمارس السقوط، أعلم أنه يحضر الصخر، حتى يرتشف قطرات الماء أقسمت أن أكون معه، لا أعلم هل أردت الماء، أو السقوط، أو الضياع، أو أن أكون بعيداً عن كل شيء"²⁰. وأما الروايات السعودية التي توظف الرسائل العادية (التقليدية)، وليست البريدية الإلكترونية فهي أيضاً كثيرة، وليس هذا مجال ذكرها، لكن يمكن أن نلمح إلى بعضها، كما في رواية "تلك الليلة" لعبد الله الجفري²¹، ورواية "مدن تأكل العشب" لعبد خال²²، ورواية "الزهايمر" لغازي القصيبي²³ وغيرها.

الحضور المتجدد للسرد الروائي السعودي من خلال الرواية ذات الأثر الهاتفي:

نعني هنا بالرواية الهاتفية تلك التي الرواية التي استعانت بتوظيف الهاتف، أو شيء من خصائصه، سواء أكان ذلك عن طريق الفاكسات بوصفها آلية تقاتية حديثة، أم فيما تطور بعد ذلك في رسائل الجوال (SMS)، وما شابهه، ومع أن الفاكسات

¹⁹ آل عمرو، فاطمة. اغتيال صحافية، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م، ص: 93، 173.

²⁰ حامد، محمد. بورترية الوحدة، ط2. لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، 2013م، ص: 8، 53.

²¹ الجفري، عبد الله. تلك الليلة، ط1. جدة: دار عكاظ للطباعة والنشر، 1996م، ص: 101-103.

²² خال، عبد. مدن تأكل العشب، ط2. بيروت: دار الساقى، 2008م.

²³ القصيبي، غازي. الزهايمر، ط2. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2010م.

"طريقة لبث النصوص المكتوبة والصور عبر خطوط الهاتف التي تهتم بإرسال النسخ المكتوبة والوثائق إلى الأفراد والمؤسسات، وبدأ اختراعه الأوروبيون والأمريكيون أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"²⁴، غير أننا لم نشهد حضوره كثيراً في الرواية السعودية، كما لم نلمسه في الرواية العربية إلا على نحو ضئيل، كما في رواية "دموع باخوس" لمحمد منصور التي يقول فيها: "تلقيت في المصلحة التي أشتغل بها في مكتب البريد (فاكسا) تقول فيه: "أنا (شيلا) الأمريكية، مرشحة للتخرج من جامعة تكساس في هذا الموسم الجامعي..."²⁵.

وأما على صعيد الروايات التي وظفت رسائل الهاتف الجوال (SMS)، وأنبأت عن تأثر الروائيين بما استجد من مخترعات العصر، فنماذج ذلك كثيرة، تدل على التأثير والمواكبة، وهي نماذج جيدة، تتم عن حيوية الرواية وتناميها، فمن ذلك مثلاً ما وجدناه في رواية "حكومة الظل"، حيث قام مؤلفها منذر القباني باستثمار تلك الوسيلة التواصلية، متأثراً بالرسائل النصية، على غرار قوله مثلاً: "اهتزّ جواله منذراً عن قدوم رسالة كان نصها: "لم أجد شخصاً أثق فيه مثلك (طلعت) أنا في ورطة وأريد مساعدتك، لدي معلومات مهمة تركها لك (موشي)"²⁶.

ويقول في روايته الأخرى "فرسان وكهنة": "جاءته رسالة على هاتفه المحمول: لا تتأخر، أنا في انتظارك..."²⁷.

ويمكن أن يعبر تكرر نصين رسائليين في روايتين أو أكثر، عن حوارية مشتركة تتبع من مؤلف واحد، فقد لوحظ هذا الاستعمال في غير رواية للمؤلف نفسه، وكلها وردت من خلال وسيلة (الجوال).

²⁴ مجموعة من الباحثين. الموسوعة العربية العالمية، ط2. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999م، ص: 200-201.

²⁵ منصور، محمد. دموع باخوس، ط1. الرياض: منشورات الموجة، 2010م، ص: 94.

²⁶ القباني، منذر. حكومة الظل، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011م، ص: 172.

²⁷ القباني، منذر. فرسان وكهنة، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م، ص: 47.

وقد يختم بعضهم روايته برسائل هذا النمط الرقمي، كما فعلت فاطمة آل عمرو في روايتها "اغتيال صحافية" حيث انتهت أحداثها بقولها: "إذا برسالة SMS تصلها: "أبتعدي عن القضية، وإلا سيتم اغتيالك هذه المرة وأنت في الطائرة المتجهة إلى أمريكا.."²⁸.

ولعل اللافت للانتباه أن ينضح النص الرسائلي وفق هذه الخاصية بالشعرية، والحوارية كما ورد في رواية "الباب الطارف" لعبير العلي؛ إذ اجتمع حديثها الجميل عن جو الرسالة بالتفاعل مع نص شعري، تقول مثلاً: "أنا العاشق سيئ الحظ/ تمرد قلبي عليّ/ لا أستطيع الذهاب إليك/ ولا أستطيع الرجوع إلي، يومض الضوء في هاتفي المحمول الصامت فجرا بهذه الرسالة، أقرأها عدة مرات، وأنشغل عن الرقم المرسل والمرتب بإيقاع منتظم، أنشغل عنه بالتنقيش في ذاكرتي عن قائل هذه الكلمات، مظفر؟ أدونيس؟ لا، إنه الدرويش محمود، من غيره يستطيع التجلي هكذا"²⁹.

ويقوم مثل هذا الشاهد دليلاً على التفاعل النصي في مظهر رقمي آخر، يختلف عن المعهود في البريد (الإلكتروني) ففي رسائل (الجوال) ما يؤكد على أدبية التنوع الرقمي، وهو ما يدل على اتساع نطاق التفاعل؛ لذا رأى سعيد يقطين في كتابه "النص المترابط" أن مثل هذا التفاعل أصبح عاماً وشاملاً، واندرج الترابط النصي تحته بوصفه نمطاً من أنماطه.³⁰

ولعل الناظر في رسائل الجوال يلحظ قيامها بدور تواصلية أكثر من كونه أدبياً³¹ فقليلاً ما يستخدم الكتاب تلك الخاصية مطية لأدبية النص، ومن هنا لوحظ فيها

²⁸ آل عمرو، فاطمة. اغتيال صحافية. ص: 316.

²⁹ العلي، عبير. الباب الطارف، ط1. لندن: طوى للثقافة والنشر والإعلام، 2012م، ص: 116-117.

³⁰ يقطين، سعيد. النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2008م، ص: 61.

³¹ لذلك لم يغفل بعض الباحثين مقارنة ذلك الشكل الرقمي من المنظور الأدبي كما فعل عبد الرحمن المحسني -على سبيل المثال- في مؤلفه (خطاب SMS الإبداعي) ينظر: المحسني، عبد الرحمن حسن. خطاب SMS الإبداعي، دراسة في تشكيلات البنية، ط1. الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، 2008م.

الإيجاز، والاقتضاب، لأسباب منها: قصر الحيز الذي تكتب فيه فلا تجد الكاتب يتنفس فيها، كما يتنفس في البريد (الإلكتروني). كما وظف (المسجات) فوزي المطر في روايته "اقترب" يقول: "وصلني مسج موقع من لينا: "أتشرف بدعوتك (...). بعد غد في مقهى الأونس على طريق دوما"³². ونماذج ذلك أكثر من أن تذكر.

التوهج السردى السعودي من خلال الرواية ذات اللون الذكي:

نعني بذلك التوهج كيف وصلت الرواية السعودية إلى توظيف المخترعات العصرية الحديثة ذات الطابع الرقمي، كالأجهزة الذكية، وبرامجها، وتطبيقاتها، وأجهزتها؛ ولأن احتكاك الرواية السعودية بهذه المظاهر الجديدة ومواكبتها وصل إلى ذروة الأجهزة الذكية؛ فقد نعتنا الراوية بالذكية من باب تسمية الجزء بالكل. وقد اعتنت بعض الروايات السعودية بالأجهزة الذكية المعاصرة، ك (الآيفون)، بل وجدنا رواية توازن بين التقانة، والمشاعر، على نحو ما مثلته رواية "مشاعر آآي فونية" لبدرية البليطح، حيث تبدو من عنوانها متأثرة بطبيعة الحياة الرقمية الجديدة، ذات الأجهزة للمسيسة الذكية، كما أنها استخدمت فيها بعض الرموز المستوحاة من الثقافة الرقمية، كما في قولها مثلاً: "@ لايشبهني أحد @ اسم أو (نك نيم) بالخط العريض الملون، وتحته رسالة أو (تويك) لا يقبل النقاش أو المراوغة: لطفا أحتاج للخلو بنفسي، و(اللييب بالإشارة يفهم)..³³.

وتُفجّم الكاتبة ما يكتنف المراسلات -من خلال هذا الجهاز- من مشاكل الاتصال التي قد تتحكم في نسج الرسالة، وسيرورة الحدث، تقول مثلاً: "هزّت الشاشة بعنف، رجاء لا تقللي من قدراتي وفطنتي أيتها المغرورة (...). ردّت بحروف متقطعة، هل تصدقين؟ (...). تنتظر بقية الحوار، ولكن هيهات فقد فقدت الاتصال بـ(الإنترنت)..³⁴.

³² المطر في، فوزي. اقترب، ط1. دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م، ص:90.

³³ البليطح، بدرية. مشاعر آآي فونية، ط1. الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، 2012م، ص:7.

³⁴ المصدر نفسه، ص:28-29.

وتصف أجواء الكتابة، وما فيها من حوار، عن طريق هذا الجهاز بمثل قولها: "وتمدّدت على الأرض محتضنة الجهاز السحري، الذي من خلاله تحتضن العالم بين كفيها (...) حبيبتى العنود، هوني عليك، واحمدي ربك (...) سمية، سأخرج من المحادثة فوراً إن لم تتركي السخرية"³⁵.

وتلمح نصوص الكاتبة في هذه الرواية إلى اختزالها الخطابيات عن طريق ذلك الجهاز الذكي، تقول بصيغة شعرية تتجلى في غير موضع: "وانتهى المشوار أخيراً، لم يكن لي ولم أكن له (...) عبر الذكي (آيفوون) تضغط على علامة إرسال بالمحتوى السابق.."³⁶.

فقد استغلت شخصيات الرواية هذا الجهاز الذكي لاحتواء الصيغة السردية المحملة بالأحداث، وجنحت للسرعة في إيصالها بالضغط فقط على زر الإرسال، وفي هذا إشارة إلى إسهام الأجهزة الذكية في نقل الحدث بصورة مباشرة وسريعة.

وتسهم (تغريدات التويتير) في رسم التأثر الروائي السعودي بالتقانات العصرية، وقد وجدناها في رواية (مشاعر آآي فونية) أيضاً، لكنها ترد على نحو قليل، تقول مثلاً: "تفتح موضوعها الذي دونته بـ(التويتير) بالأمس: التغريدة: بالصدفة كنت بسطح منزلي، فاكتشفت أن الليلة هي منتصف الشهر وأن القمر بدر (...) الردود: 1 - معك حق.."³⁷.

ويسعى المعاصرون إلى توظيف كل ما له صلة بالتقانة الإعلامية الجديدة التي تواكب ظهور قنوات التواصل الاجتماعية؛ لذا حرص بعضهم على تغليف المؤلفات ذات الأبعاد الروائية والقصصية بكل برنامج تفاعلي جديد، على نحو ما فعلت رجاء عالم مثلاً في توظيف (سكايب skype) الذي يحاكي (البريد الإلكتروني) في شكله التواصلي، وإن كان أكثر تطوراً منه من جهة الصوت والصورة، تقول مثلاً في روايتها "طوق الحمام" وقد وظّفت شكل الرسالة الصورية: "من عائشة/ رسالة 5:

³⁵ المصدر نفسه، ص:32.

³⁶ المصدر نفسه، ص:95-97.

³⁷ المصدر نفسه، ص:35.

أشغل كاميرا (skype) وأستلقي على سريري، على الشاشة تتلبسني حركات مثل موج يأخذني إلى حيث لم أحلم بالذهاب (...). رسائلك ضوئية، وبعد قليل لن أجد منها كلمة في وريدي، لذا أحرّز رسائلك بملف في بريدي تحت اسم (الواحد)³⁸. لقد كشفت الرواية السعودية ضمن استعمالاتها الرقمية التفاعلية عن حوارية تقانية³⁹، ولئن أبانت الاستعمالات الرقمية عن شكل من أشكال الظهور تميز به السرد الروائي السعودي، فقد أثبتت أن ثمة وشيجة تربط بين النصوص الرقمية، والورقية، إن كان في أسلوبها، أو في طريقتها، أو في مضمونها، وسواء في نسقتها الكتابي، أم الآلي، أم نحوه مما قد سيحدث في المستقبل.

خاتمة البحث:

يمكن القول إن تحولات السرد الروائي في الأدب السعودي شهدت أطواراً مختلفة، بدأت من معالم الطابع الورقي أولاً، ثم حدث فيه شيء من التصاعد القاني عندما احتك ببعض المظاهر الآلية التي نشأت في العصر الحديث، ك(البرقيات)، و(التلغراف) و(الآلة الكاتبة)، و(الفاكس)، ثم أخذ السرد ينمو بشكل متسارع ومتصاعد؛ فتأثر بالعالم الإلكتروني، وتوهج الوسائل التواصلية، كالبريد الإلكتروني، والهواتف النقالة، إلى أن وصل إلى معايشة الحياة الرقمية اليوم، وذلك من خلال التأثر بالأجهزة الذكية، والتطبيقات الحديثة، ومن هنا أمسى السرد الروائي في الأدب السعودي متأثراً بالاستعمالات الرقمية شكلاً ومضموناً، ولم يعد مؤرخو الرواية إلى الحديث عن نماذجها، وتواريخ طبعتها، بل صار لزاماً عليهم أن يبحثوا عن مدى تأثيرها بتلك التقانات، وكيف حدث ذلك؟ ومتى؟ ثم إحصاء ما يمكن إحصاؤه من نتائج وأرقام، وهو ما سيعلي من شأن الرواية السعودية بلا شك. ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

³⁸ عالم، رجاء. طوق الحمام، ط4. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2012م، ص:67.

³⁹ شيباني، عبد القادر فهميم. السرديات الرقمية، بحث في سيميائيات النص المترابط، ط1. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2013م، ص:40.

-الكشف عن جزء من التحولات التي يمر بها السرد الروائي السعودي من حيث التأريخ له، وهو جزء ما يزال بحاجة إلى مزيد عناية واهتمام.

-الوقوف على بعض النماذج الروائية السعودية المؤسسة في ميدان الرقمية اليوم، كالروايات البريدية، والروايات الهاقوية، والروايات الذكية.

-اكتشاف أجناس أخرى محايدة للسرد الروائي السعودي، وهي أجناس تأثرت بتلك التقانات الحديثة، فأكسبت الرواية طابعاً شعرياً، وتقانياً، ولعل نذكر من تلك الأجناس مثلاً: السيرة الذاتية، والرسائل، ونحوهما.

-محاولة التأسيس للأدب الرقمي من خلال السرد الروائي المتأثر بالإلكترونية، بوصف هذا التأثير مدخلاً لعلاقة الأدب بالرقمية، أو بوصف ذلك السرد عتبة أولى تمهد لآفاق بعيدة من الأدب الرقمي التفاعلي، إذا تحرر الأدب من بعض ورقيته.

كما وصلت الدراسة أيضاً إلى جملة من التوصيات يمكن إجمالها على هذا النحو:

-حث مؤرخي الأدب السعودي تحديداً على رصد التحولات التاريخية التي تمر بها الرواية، ولا سيما بعد الألفية الجديدة، فقد أخذت الرواية تنمو وتتكاثر، وتتأثر بكل جديد، وللأسف أن مؤرخي الأدب ما زالوا يصدون عن مثل هذا التطور الهائل الذي تعيشه الرواية السعودية.

-مقاربة الرواية السعودية المتأثرة بالفضاء الرقمي مقاربات تنعكس على أدبية الرواية من جهتها الرقمية، كالبحث عن النماذج الجديدة التفاعلية إن وجدت، أو دفع المبدعين إلى التوجه إلى ميادينها وفضاءاتها.

المصادر والمراجع:

- آل عمرو، فاطمة. اغتيال صحافية، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م.
- البليطح، بدرية. مشاعر آآي فونية، ط1. الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، 2012م.
- الجفري، عبد الله عبد الرحمن. جزء من حلم، ط1. جدة: الكتاب العربي السعودي، 1984م.
- الجفري، عبد الله. تلك الليلة، ط1. جدة: دار عكاظ للطباعة والنشر، 1996م.

- حامد، محمد. **بورتريه الوحدة**، ط2. لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، 2013م.
- الحربي، فايزة أحمد. **تلقي الشعر العربي السعودي إلكترونياً**، السجل العلمي لمؤتمر الأدباء السعوديين. الرياض: وزارة الثقافة والإعلام بالتعاون مع دار المفردات للنشر والتوزيع، 1432هـ.
- الحكيم، توفيق. **سجن العمر**، د.ط. مصر: مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، د.ت.
- خال، عبده. **مدن تأكل العشب**، ط2. بيروت: دار الساقى، 2008م.
- الديب، السيد محمد. **فن الرواية في المملكة العربية السعودية**، ط1. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 2021م.
- الراهب، هاني. **شرح في تاريخ طويل**، ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م.
- سميرة بنت الجزيرة العربية. **مأتم الورود**، ط1. دار الآفاق الجديدة، 1990م.
- شيباني، عبد القادر فهم. **السرديات الرقمية، بحث في سيميائيات النص المترابط**، ط1. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2013م.
- الصانع، رجاء عبد الله. **بنات الرياض**، ط7. بيروت: دار الساقى، 2007م.
- عالم، رجاء. **طوق الحمام**، ط4. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2012م.
- عبد الله، محمد عبد الحليم. **إبريسم أو غرام حائر**، د.ط. القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
- العلي، عبير. **الباب الطارف**، ط1. لندن: طوى للثقافة والنشر والإعلام، 2012م.
- الغامدي، صالح معيض. **كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية**، ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2013م.
- القاضي، عمرو. **الطائر في العنق**، د.ط. بيروت: المركز الثقافي العربي، د.ت.
- القباني، منذر. **حكومة الظل**، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011م.
- القباني، منذر. **فرسان وكهنة**، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م.
- القحطاني، سلطان بن سعد. **الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها من 1930-1989م، دراسة تاريخية نقدية**، ط1. الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية، 1998م.
- القصيبي، غازي. **الزهايمر**، ط2. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2010م.
- مجموعة من الباحثين. **الموسوعة العربية العالمية**، ط2. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999م.

- المحسني، عبد الرحمن حسن. خطاب الـ sms الإبداعي، دراسة في تشكلات البنية، ط1. الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، 2008م.
- المطري، فوزي. اقترب، ط1. دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
- منصور، محمد. دموع باخوس، ط1. الرياض: منشورات الموجة، 2010م.
- النعمي، حسن. الرواية السعودية، واقمها، وتحولاتها، ط1. الرياض: وكالة الوزارة للشؤون الثقافية، 2009م.
- يقطين، سعيد. النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي، 2008م.
- اليوسف، خالد بن أحمد. معجم الإبداع الأدبي في المملكة العربية السعودية: الرواية، ط2. الرياض: النادي الأدبي بالرياض، 2010م.

الدوريات:

- زرقاوي، عمر بن عبد الحميد. "العصر الرقمي وثورة الوسيط الإلكتروني، قراءة في تحولات أطراف المنظومة الإبداعية"، مجلة المخبر، العدد الأول، جامعة بسكرة-الجزائر، 2009م.

المحاور الأسلوبية والموضوعاتية في قصص كامل كيلاني

د. طارق البكري*

Email: docbakri@yahoo.com

ملخص البحث:

لا يخفى على الباحث في مجال أدب الطفل أهمية الكاتب الرائد كامل كيلاني، الذي نشأ في شرق القاهرة، وتحديداً في حيّ القلعة الذي يتميز عن غيره بعطر التاريخ والآثار والمساجد الإسلامية الشهيرة.

قضى كيلاني طفولته في الحارات المصرية القديمة، في منزل يحب العلم والثقافة، في عائلة صغيرة، إلى جانب إحساس بنبوغ مبكر، وإرهاصات هيأت لهذا الرجل نوافذ ومقومات، جعلته فيما بعد ينال عشرات الألقاب من قبل عدد كبير من الأدباء والشعراء والكاتب وكبار المسؤولين السياسيين.

وتركز هذه المقالة على دراسة أسلوبه في الكتابة للأطفال، حيث ترك مئات من القصص المتنوعة، التي لا يزال تأثيرها متصلاً بعالم الطفولة حتى اليوم رغم مرور أكثر من نصف قرن على وفاته. كما تطرح المحاور الموضوعاتية في مؤلفاته، وتناقشها بأسلوب علمي متخصص.

كلمات مفتاحية: أدب الطفل، الأسلوب، كامل كيلاني، المقدمات، الموضوعاتية.

Abstract:

The importance of the pioneering writer Kamel Kilani is not hidden from the researcher in the field of children's literature, who grew up in eastern Cairo.

Kilani spent his childhood in the ancient Egyptian cities, in a house that loved science and culture, in a small family, along with a sense of early genius, and precursors that created windows and capabilities for this man, and later made him achieving dozens of titles awarded to him by a large number of writers, poets, and senior political officials. This study focuses on his style of writing for children, as he left hundreds of diverse stories, whose impact is still connected to the world of childhood until today, despite the passage of more than half a century since his death. It also presents the thematic themes in his writings, and discusses them in a specialized scientific manner.

* رئيس التحرير سابقاً لمجلة "كونا الصغير"، دولة الكويت.

مقدمة:

يُعتبر الأسلوب "المرآة الحقيقية إزاء عملية التعبير، بوصفها دالة على الشخصية ومعياراً لها"¹، وهو في الأصل² السطرُ من النخيل وكل طريق ممتد، والوجهُ والمذهبُ والفنُّ وأفانينُ القولِ، وقيل: إن معنى الكلمة في الأصل اللاتيني هو "القلم"³. ويرى الباحثون أننا "إذا عدنا إلى القواميس فسئرى أنها تقترح علينا ما لا يقل عن عشرين تعريفاً لهذه الكلمة، يذهب أهمها من طريقة التعبير عن الفكر إلى طريقة العيش، مروراً بالطريقة الخاصة لكاتب من الكتاب، أو لفنان، أو لفن، أو لثقافة، أو لجنس، أو لعصر، فالأسلوب يعرف ضمن حدوده بالسمة الخاصة لفعل من الأفعال، ويمكن أن نتصور -كما يرى هؤلاء- الأسلوبية العامة: دراسة للعلاقات بين الشكل وبين مجموع الأسباب الإخبارية"⁴، والأسلوب بالمفهوم البسيط وبعبارة مختصرة: "طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة"⁵. فهو "وجه بسيط للمفوض تارة، وهو فنُّ واعٍ من فنون الكاتب تارة أخرى، وهو تعبير عن طبيعة الإنسان تارة ثالثة، ولذا فهو يتعدى دائماً الحدود التي يدعى بأنه انغلق عليها"⁶، وهو أيضاً "الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار، وعرض الخيال، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني"⁷.

¹ كيوان، عبد العاطي. *الأسلوبية في الخطاب العربي*، ط1. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2000م، ص:16.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة سلب، سابق.

³ وهبة، مجدي. *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*، ط2. بيروت: مكتبة لبنان، 1984م، ص:35.

⁴ جيرو، بيير. *الأسلوبية*، ترجمة: منذر عيَّاش، ط2. حلب: مركز الإنماء الحضاري، 1994م، ص:10.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ المرجع نفسه، ص:47.

⁷ الشايب، أحمد. *الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية*، ط12. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998م، ص:46.

وعلى ذلك، فإنَّ الأسلوب رغم تعدد تعريفاته هو صورة تمثل طريقة التعبير الخاصة لدى الكاتب، المميّزة له عن غيره، وهو نمط كتابي خاص يسير عليه المؤلف، ويتعدى الشكل السردي إلى الشكل الفني والمحتوى والتركيب، ولعل اختلاف الباحثين في وضع تعريف موحد يعود إلى اتساع معنى الكلمة وأهميتها، وربما لغموضها في وقت واحد، ويقصد بالأسلوب هنا طريقة المؤلف في وضع قصصه ومميزاتها وخصائصها من حيث الشكل والمضمون.

أولاً: كيلاني يحدد أسلوبه:

لم يكن كامل كيلاني يسلك طريقه دون هدف، ولم يترك قلمه يسير على غير هدى، بل كان منذ أن قرر خوض غمار الكتابة للطفل، يسعى لاكتناه الطفولة وسبر خباياها، والتعاطي معها ليس على أساس أنّ الطفل مجرد وعاء نلقي فيه ما نشاء؛ بل من خلال إدراك واعٍ للطفولة وخصائصها واحتياجاتها وتنوعها. وكيلاني لم يترك الباب مفتوحاً للتأويل، بل خطّ لنفسه منذ البدء أسلوباً مميّزاً، جعله يمثل هذه العلامة الفارقة، وينال تقدير النقاد في عصره، ويُسجل كرائد لأدب الأطفال في مصر والعالم العربي، وليس عسيراً على الباحث في تراث كيلاني أن يميّز الملامح الكيلانية الخاصة، وأن يجسّدّها في إطار آرائه التي سطرّها بنفسه، ليريح الباحثين من جهة، وليقدم للأدباء المتخصصين بأدب الطفل من بعده طريقاً واضحة تسهّل لهم الصعاب، وتبين لهم الأفضل الذي رآه يتواءم ويتوافق مع عالم الطفولة.

وتشير معظم المصادر التي تناولت أدب الطفل عند كيلاني إلى قصة -أو أسطورة- واحدة اعتبرها منهجاً لأسلوبه، حيث "بلور تصوراته الأساسية في الكتابة للطفل من خلال هذه القصة"⁸، التي وردت أساساً في مقدمة إحدى قصصه⁹، ثم تناقلها الباحثون لأهميتها في تحديد أسلوب كيلاني، وقد علّق كيلاني على هذه القصة في

⁸ فرج، فتوح أحمد. كامل كيلاني وأدب الأطفال في مصر. ص: 147.

⁹ كيلاني، كامل. وادي الذهب وقصص أخرى، ط1. القاهرة: دار مكتبة الأطفال، دت، ص: 2.

بعض كتاباته وأحاديثه¹⁰، التي يمكن من خلالها التوصل إلى جملة من المسائل التي تحقق هذا الأسلوب وتوضحه.

تقول القصة (أو الأسطورة) كما رواها كيلاني¹¹: إن ثلاثة أمراء، أشقاء، خرجوا يتنافسون في مهر بنت عمهم السلطان، بعد أن تواعدوا على الاجتماع في مكان بعينه ليروا من يظفر بأنفس هدية للأميرة، فلما التقوا كشف أحدهم أنه ظفر بمنظار سحري يرى فيه الناظر كل ما يدور بخلده ولو كان في أقاصي الدنيا، وأما ثانيهم فقد ظفر ببساط سحري، يحمل راكمه محلقاً به في الأجواء، فيبلغه غايته في لحظات يسيرة. بينما ظفر ثالثهم بتفاحة شافية تبرئ من السم وتعيد الحياة إلى من أشرف على التلف، ونظروا في المنظار فرأوا الأميرة على فراش الموت تحتضر، فإذا بهم عندها في الحال بواسطة البساط السحري، وأدناوا التفاحة منها فشفيت على الفور، وحاولوا أن يعرفوا أيهم صاحب الفضل في شفائها؛ فلم يهتدوا إليه.

ويعتبر كيلاني أن في هذه القصة مثلاً دقيقاً يوضح ما يجب على من يتصدى للكتابة للأطفال، ويضع لذلك جملة من الملاحظات:
أولاً: تحبيب الكتاب للطفل يظفره بالمنظار السحري.

ثانياً: الأسلوب القصصي الساحر هو بساط الريح الذي ينقل القارئ إلى أبعد الآفاق الفكرية، على أجنحة الخيال البديع، محلقة في سماء الحقيقة دون أن يلحق به كلال ولا جهد.

ثالثاً: التفاحة الشافية تمثل فيما تتركه القراءة من آثار نفسية رائعة تشفي من سموم الجهالة، وتبرئ من النزعات العارمة التي تقذف بصاحبها إلى الهلاك.

وبذلك يقرر: أن تحبيب الكتاب، وتخيّر الأسلوب الصالح، وتثبيت الفضائل في نفس الطفل؛ هي الأهداف الثلاثة التي تهدف إليها تربية الأطفال بالقصص، ولا بد من اجتماعها لبلوغ الغاية المرجوة، كما اجتمعت هدايا الأمراء لشفاء الأميرة.

¹⁰ ينظر النص كاملاً: بدوي، عبد الرحمن. كامل كيلاني وسيرته الذاتية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص: 176-182.

¹¹ نص القصة وتعليق كيلاني عليها مقتبسة كلها من المصدر السابق نفسه.

ولا يلقي كيلاني كلامه دون وضع آلية محددة دقيقة للتعامل مع الأدب القصصي الخاص بالطفل، حيث يعتبر القصة أداة للتربية على وجه الخصوص، ويرى الكاتب مريباً قبل أن يكون أديباً، فهو ينتهج أسلوباً قائماً على توضيح حقيقة الحياة للأطفال، ولذا فإنه كان حريصاً على تجنيبهم الأخطاء المعنوية، وقد عُنِيَ بتشتتهم في إطار أسلوب تربوي معين، فهو يعتقد أن على طالب الإصلاح تعبيد الطريق، فالمهندس يُعنى أولاً بمتانة الأساس، والطفل عنده أساس الأمة، وما يراه الطفل في بدء حياته من انتصار للخير دائماً؛ يصيبه بصدمة عندما يكتشف في صباح الخديعة، ولهذا وضع كيلاني الشرّ بجوار الخير، مصوراً الصراع بينهما، وفلسفته في ذلك ليغرس في أنفس الأطفال حقيقة الواقع، وأن النصر للخيار الشرفاء والهزيمة للأشرار الأغبياء.

هذا الواقع الذي آمن به كيلاني يقودنا إلى مسائل مهمة، أرخت بظلالها على الأسلوب كيلاني حتى غدا أسلوبه روح أهدافه، وغدت أهدافه روح أسلوبه، ومن العسير حقيقة الفصل ما بين الكاتب وأسلوبه، فالأسلوب هو الرجل نفسه كما يقول عالم اللغة الفرنسي بوفون (Buffon) (1707-1788م)¹².

ثانياً: المحاور الشكلية والموضوعاتية:

قدّم كيلاني في نصوص متفرقة؛ خطوات عملية، وخطاً واضحاً محدداً للشكل والمضمون في الأسلوب الذي يرتئيه، من الظاهر إلى الباطن، ومن الإطار إلى الجوهر، وقد سارت خطته على خطين رئيسين:

أولهما: محاور تحدد القالب أو الهيئة التي يستقبل الطفل ويتلقى فيها قصته.

وثانيهما: محاور تحدد الأشكال المضمونية العامة للقصة.

ونجد في المحورين تداخلاً واضحاً، حيث تتوزع الموضوعات على الشكل التالي:

- تسلية، ومتعة، وترفيه.

¹² السيد، شفيح. الاتجاه الأسلوبية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1986م، ص: 11.

- فصحى سليمة والارتقاء بالطفل لغوياً بالتدرج وتعويدَه على المضمون اللغوي الفصيح.
- النطق السليم للألفاظ والعبارات واستخدام ألفاظ قليلة تتكرر في الأسطر والصفحات.
- تخير الأسلوب الواضح والسهل البسيط الذي يحبب الكتاب إلى الطفل.
- تجنب البيان المشوّه (العامية).
- الإكثار من الصور الجاذبة.
- تجنب الطفل الخطأ المعنوي وتثبيت الفضائل والمعاني الحميدة.
- التركيز على الآثار النفسية التي تبرئ الطفل من النزعات وتشفيه من سموم الجاهلية.
- نزع الملل وتبسيط المعنى في الأسلوب.
- مراعاة سن الطفل ورغباته والنزول إلى مستوى مداركه.
- ولا يسرع كيلاني لتحقيق كل ذلك دفعة واحدة، بل شيئاً فشيئاً إلى حد التمام والكمال، "ليجعل المربي همه في قصصه؛ قصة الرجل الذي يحمل الثور صاعداً وهابطاً دون أن يبدو عليه شيء من آثار التعب، فلما سُئل أجاب: تعودت حمل الثور منذ ولادته، وما زلت أكبر ويكبر ويزداد نمواً كل يوم زيادة قليلة، ولم أشعر بازدياد وزن الثور ولم أحسّ له ثقلاً حتى اليوم"¹³. ولا يخفى ما تهدف إليه القصة من تدرج مطلوب ينقل الطفل خطوة خطوة ليصل في النهاية إلى تشييد البناء الشامخ من حيث الشكل والمضمون، فالإنسان بطبعه يحتاج إلى من يرشده في طفولته ويقوده بسلام وسكينة نحو حياة أفضل بكل ما فيها من نجاح وتآلق.

¹³ بدوي، عبد الرحمن. كامل كيلاني وسيرته الذاتية. ص: 181.

ويعتبر الجانب الترفيهي ركيزة مهمة في أسلوب كيلاني، حيث يقدم للأطفال "قصصاً خفيفة ظريفة"¹⁴، وفي ذلك إشارة إلى قصة الثور وصاحبه التي ذكرناها قبل قليل.

ولا يمضي كيلاني بعيداً دون أن يشرح مقصده، بل إنه يضع منظومة متكاملة، شكلاً ومحتوى، تجعل عناصر القصة خادماً للترفيه عن الطفل، بل يدعو القاص المربي إلى "أن يبدأ بتسليية الطفل متدرجاً به كل يوم تدرجاً بطيئاً، لا يكاد يشعر أن له أثراً وهذا ما يقصده في قصة الثور، مستعيناً على ذلك: بالصور الملونة الجاذبة، والشكل الكامل، والألفاظ السهلة، حتى إذا اطمأن إلى الأسلوب السهل، وامتلأت نفسه ثقة بقدرة الطفل على القراءة، انتقل به إلى المرحلة التالية، فمزج له التسليية بالفائدة، ثم عليه أن ينتقل به خطوة بعد خطوة، حتى يرى في فنون المعرفة وحدها متعة وتسليية لا يعدلها شيء من فنون المتع وضروب التسليية"¹⁵، ساعياً من وراء هذا الجانب إلى "تحييب الكتاب" إلى قلوب الأطفال.

ونستنتج هنا جملةً من المضامين الشكلية يسعى كيلاني إلى إثباتها، وقد يكون بعضها من مهمة الناشر أكثر من المؤلف، ومع ذلك كان كيلاني مهتماً بالتفاصيل، ومنها: الصور الملونة الجاذبة - الشكل الكامل - الألفاظ السهلة المكررة - الأسلوب السهل - مزج التسليية بالفائدة - التدرج بالطفل ليعشق القراءة وتصبح عادة ممتعة، لتظهر عليه بعد ذلك علامات الفصاحة - الارتقاء بالطفل بأسلوب سهل بسيط يبعد عنه الملل والسأم.

وبعد تتبعنا لقصص كيلاني نجد أنه حرص في معظمها على الفكاهة والبساطة، بل قدّم سلسلة حكايات فكاهية¹⁶. وقد انطوت فكاهة كيلاني على عناصر سارة ومشوقة، إلى جانب الملابس الباعثة على الضحك، "وإذا كان اللهو واللواقيعية من

¹⁴ كيلاني، كامل. **جعا قال يا أطفال، الحمار القارئ**، ط1. القاهرة: دار مكتبة الأطفال، 1950م، المقدمة، ص:3.

¹⁵ بدوي، عبد الرحمن. **كامل كيلاني وسيرته الذاتية**. ص:181-182.

¹⁶ مثل: "عمارة" و"الأرنب الذكي" و"عفاريت اللصوص".

أخص خصائص العقول الصغيرة غير الناضجة؛ فإنهما -أي اللهو والللاواقعية- قلما ينفصلان عن الموقف الفكاهي الذي قدمه كيلاني وبنجاح تام إلى الأطفال، وهذا يدل على وعي ومعرفة كاملين بخصائص الطفولة وبأصول منطق الضحك¹⁷، كما يقول الباحثون. وهذا يشير إلى إحساس كيلاني وإدراكه للعوامل النفسية التي تميل إلى اللعب أكثر من الجد، فيدخل إلى قلب الطفل من خلال هذا الجانب وهو الفكاهة ثم يتجه فوراً إلى عقله لتحقيق الغايات التي يسعى إليها.

وفيما يتصل باللغة فإن كامل كيلاني كان يهدف في قصصه إلى الارتقاء بالطفل منطقياً وأسلوبياً وتمكينه من "الفصحى السليمة" عبر الشكل الكامل للألفاظ، وتكرارها، بعد تخييرها من محاسن الكلام وأسهله، وشرح ما يراه صعباً على الطفل بكلمة أو عبارة ضمن معكوفين.

وقد درس أحد الباحثين¹⁸ قصص كيلاني بهدف البحث عن الأسس التي قامت عليها، فخلص إلى أن أساسها الأول يقوم على "اللغة"، -وهذا ما يتفق مع الأهداف تبينها المقدمات التي استهل بها كيلاني بعض قصصه- فقد كان يرفض الأساليب الركيكة الضعيفة، ويشينُ حرباً على العامية ودعاتها، وقد وصف أسلوب القصص التي كانت سائدة أيام نشأته بالأسلوب السقيم، وذلك في قوله: "كنا نقبل على قراءة الحكايات والقصص إقبالاً عجيباً، بالغة ما بلغت من الغثاثة والرداءة والفساد، وسقم الأسلوب وضعف العبارة... وقد كادت أساليبها الركيكة الضعيفة، وعباراتها السقيمة تزحم أدمغتنا وتفسد أسلوبنا"¹⁹.

وربما يكون ذلك من أبرز أسباب تركيز كيلاني على اللغة وتخيير الألفاظ والأسلوب، بل أكثر من ذلك، حيث كان مناصراً للعربية الفصيحة وجندياً من جنودها، لأن اللغة لبنة أولى وأساسية في الأمة، بل كان ينادي بأعلى الصوت إلى: تحبيب القراءة إلى الطفل وتمكين الفصحى من نفسه، وحمايته مما يغمره من

¹⁷ فرج، فتوح أحمد. كامل كيلاني وأدب الأطفال في مصر. ص: 226.

¹⁸ بدوي، عبد الرحمن. كامل كيلاني وسيرته الذاتية. ص: 37-40.

¹⁹ كيلاني، كامل. علاء الدين، ط. 18. القاهرة: دار المعارف، 1973م، ص: 4.

البيان المشوّه المضطرب وتجنبيه -ما اعتقده وما نوافقه عليه- ذلك الشر المستطير من سيل العامية الجارف.. الذي يغمر الكثيرين من ناشئة اليوم ورجال الغد، فيقضي على مواهبهم الغنية، أو يكاد، في زمن حداثهم، ويدعو لنؤمّن لهم بيئاً عربياً خالصاً، يطبعهم على الفصحى منذ طفولتهم، حتى إذا كبروا صارت لهم الفصحى كما كانت لغيرهم، من أسلاف العرب سليقة وطبعاً، وأصبح البيان العربي متأصلاً في نفوسهم عادة وملكة، وتخلصوا من العجمة المتفشية بين شباب العصر وفتيته²⁰.

ولا يطلق كيلاني هذا النداء دون أن يشرح مقصده، فهو يحاور ويناور ويقتصص الطريق الذي يراه مناسباً فيقول²¹: إن الطريق إلى تحقيق "الحلم الجميل" -كما سماه- ميسور غير مستحيل، داعياً إلى مراقبة كلام الطفل في مستهل طفولته، فهو يلجأ مثلاً إلى تكرار الجمل كأنما يتثبت من المعاني في ألفاظها المكررة، ويتساءل: "لماذا لا نكتب له محاكين أسلوبه الطبيعي في تكرار الجمل والألفاظ لتثبت المعاني في ذهنه تثبيثاً؟". ويعود ليتساءل: "ولماذا لا نكرر له الجمل برشاقة لنسهل عليه قراءتها؟".

ويقرر بعد كل هذا جازماً: "ذلك أجدر وأليق، فإن لكل مقام مقالاً"، فلا يزال المؤلف ينتقل في فكرته ويتدرج رويداً رويداً أو درساً درساً، على النسبة التي ينمو بها الطفل يوماً بعد يوم، بل على النسبة التي ينمو بها عقله كلمة بعد كلمة، وجملة بعد جملة²².

ويبدو كيلاني في كل ذلك حريصاً على اللغة الفصيحة، على أساس أنه مقاتل مدافع عن حصونها، ويعلن عن أسلوبه في حربه قائلاً: "أنا أحارب اللغة العامية التي

²⁰ بدوي، عبد الرحمن. كامل كيلاني وسيرته الذاتية. ص: 178-179.

²¹ المرجع نفسه، ص: 179.

²² الجندي، أنور. كامل كيلاني في مرآة التاريخ القاهرة: مطبعة كيلاني، 1962م، ص: 367.

يدعون إليها، أحاربها بكل ما أستطيع، ولكن أسلوبني في محاربتها: حرب البناء الذي يصنع التاريخ"²³.

ويرفض كيلاني بحزم الرأي القائل: إن كتابة الحوار القصصي بالعامية لا يضعف الأدب ولا يصبغه بصبغة محلية ضيقة، وحجته في ذلك: أن الكتابة وضعت لكي يفهمها الناس، وكلما استطاع الكاتب أن يفهم أكثر، كان نجاحه أكبر، والأمة العربية مختلفة اللهجات، ولكن تجمعها وتوحد بينها اللغة الفصحى الواحدة، وهي اللغة العربية، والصفوة المثقفة لا تفهم بغير الفصحى، ففي أي سبيل نضيع هذه الإمبراطورية الفكرية وبأي ثمن؟

ثم يجزم قائلًا: لا شك أن حوار القصص يجب أن يكون باللغة العربية الفصحى، والذين يعمدون إلى جعل الحوار بالعامية الدارجة والمألوفة لكل شعب؛ لا يفعلون ذلك إلا عن ضعف وعدم إتقان اللغة، فلو أنهم كانوا متمكنين من لغتهم ما جاء حوارهم عاميًا مبتذلًا²⁴، وهو بالنتيجة يرى إمكانية تحقيق ذلك بأساليب متعددة، أبرزها من خلال اللغة البسيطة السليمة، ومن خلال اللفظ المكرر، ربط محتوى القصة بالصور المعبرة الموضحة:

1- بساطة اللغة في سلامتها:

بالعودة إلى قصص كامل كيلاني؛ نجده على العموم حريصًا كل الحرص على اللغة، وقد استطاع فعلاً أن يؤصل لنفسه طريقاً واضحة يمزج فيها ما بين اللغة والمعنى والهدف العام الذي يسعى إلى تحقيقه، ولكن من الملاحظ عدم تحديده لسن معين للأطفال الذين تستهدفهم قصصه، لا على غلاف قصصه ولا في مقدماتها، باستثناء "قصص رياض الأطفال"، مما يحدث بلبلة حول لغة السن المراد مخاطبته، ويظهر أن كيلاني اندفع وراء أهدافه اللغوية، حتى أصبحت "اللغة عنده، وبشكل مستمر، أعلى من مستوى الحكاية، التي قد تكون بسيطة جداً، ومن ثم أعلى من

²³ بدوي، عبد الرحمن. كامل كيلاني وسيرته الذاتية. ص: 42.

²⁴ المرجع نفسه، ص: 43-44.

قدرة القارئ الطفل المتوقع على التحصيل²⁵. والدليل الذي نراه يبلغ حد الافعال، هو ما نجده في نهاية بعض القصص من حشد لأسماء وكنى وألقاب لم تعد مستخدمة أو هي لا تناسب مستوى قارئ هذه القصص.

ويمكن ملاحظة ذلك في القصص العلمية²⁶، حيث يقوم كيلاني بتقديم معاجم صغيرة لطائفة من أسماء الحيوان وكناه وألقابه؛ "ليرجع إليها المدرس عند الحاجة"²⁷. ويعتبر البعض "أن التوجه إلى المدرس بتلك الأسماء والكنى والألقاب لا يبرر إيرادها، بل قد يؤدي بالمدرس أو يفره بالانحراف بتلك القصص العلمية عن غايتها، فيتحول تدريسها إلى تسابق لغمر الذاكرة وحفظ هذه الكلمات المهجورة في غير طائل، وماذا يفيد المدرس أو الطفل من معرفة (كما ورد في قصة زهرة البرسيم مثلاً) أن ابن عرس يسمى السرعوب وأن الأرنب يسمى أبا نبهان..، وأن الذئب أبو جعدة، وعسوس، وأنتاه تسمى جهيز؛ هذا ضياع للجهد وإغراء بالتحريف وإفساد للذوق"²⁸.

ومع الاعتراف بقيمة هذه المعاجم، إلا أن وضعها ملحقة داخل قصصه موجهة لأطفال في مرحلة تعليمية مبكرة؛ قد يصرف القارئ الصغير عن القصة نفسها، فتتحول من عمل أدبي إلى مجرد نمط تعليمي. وهذه القصة ربما تثير الجدل حول: هل يمكن تجاوز الهدف فيما يكتب للأطفال أم أن الهدف هو صلب وروح أدب الطفل؟

وعلى العموم فإن خلط الأوراق في هذه المسألة أو إعطاء نتائج مسبقة لا تفيد هذا الشكل القصصي، ولكن إغراق القصص الأدبية بالألوان التعليمية، يحرف القصة كعمل إبداعي عن أهدافها خصوصاً وأن كيلاني لا يكتفي بذلك فقط، بل نراه يلحق بعض القصص (مثال: النحلة العاملة - مخاطر أم مازن) بمعلومات علمية

²⁵ عبد الله، محمد حسن. قصص الأطفال ومسرحهم. القاهرة: دار قباء، 2001م، ص:193.

²⁶ ينظر مثلاً: في الإصطبل - النحلة العاملة - زهرة البرسيم ... وسوف نتناول هذه القضية في الجانب التطبيقي من البحث.

²⁷ كيلاني، كامل. زهرة البرسيم، ط12. القاهرة: دار المعارف، 1991م، ص:65.

²⁸ عبد الله، محمد حسن. قصص الأطفال ومسرحهم. ص:194-195.

بحثة، مثلما قدم في قصة "النحلة العاملة"²⁹ قائلاً: "قبسنا هذا المقال النفيس من دائرة المعارف الفرنسية ليكون مرجعاً للمدرس في تدريس قصة النحلة العاملة". وبالعودة إلى المقال وجدنا معلومات كثيرة قد لا يعرفها كثير من طلاب الجامعات والخريجين غير المتخصصين، فكيف بأطفال صغار أقحمت المعلومات العلمية العميقة في قصة يريدون التمتع بها؟ ألا يذكرهم هذا بمعاناة الواجبات المدرسية المرهقة؟ كما أن أسلوب المقال صعب ومعقد كقوله: "ترى الفقرة الأولى من أجزاء النحلات العاملة الأمامية كبيرة جداً، وشكلها مربع أو مثلث مقلوب، وقد تتصل أحياناً بالزاوية الخارجية لقاعدتها فتشبه أذنًا صغيرة، أما بطن النحل فهو مؤتلف من سبع عقد للذكور، وست عقد للإناث العاملات"³⁰.

ولا يخفى أن هذه المعلومات المقدمة بأسلوب علمي بحث؛ قد ينفر منها المدرس قبل التلميذ، وكان الأحرى بكيلاني أن يفصل هذه المقالات في كتاب معجمي خاص، لا أن يفرضها على القارئ الصغير، وربما تجعله يبتعد عن القصة كلها، أو على الأقل عدم الالتفات إلى هذه المقالات والمعاجم وإهمالها واعتبارها زائدة لا أهمية لها. ونشير أخيراً إلى أن كيلاني كان يعتمد أحياناً في ختام بعض قصصه إلى وضع قصائد لشعراء قدامى، نجد في ألفاظها ما يعجز الطفل على فهمها، فضلاً عن بعض معانيها الموحشة، التي ينفر منها الكبار قبل الصغار، ثم يقوم كيلاني بعد ذلك بشرح معاني ألفاظها، ومثال ذلك قصيدة في وصف العنكب³¹:

وقانص محتقر ذميم	كُدْرِيّ اللَوْنُ أغبر قَتِيم
مُشْتَبِكُ الأعجاز بالحيزوم	ومخرج اللحظة بالخيشوم
أضيقُ أرضاً من مقام الميم	أو نقطة تحت جناح الجيم
ليس بقعيد ولا نؤوم	ولا -عن الحيلة- بالسؤوم

لا يخلط الهمة بالتّؤويم

²⁹ كيلاني، كامل. النحلة العاملة، ط10. القاهرة: دار المعارف، دت، ص:42-53.

³⁰ المصدر نفسه، ص:42.

³¹ كيلاني، كامل. العنكب الحزين، ط10. القاهرة: دار المعارف، 1993م، ص:47.

ورغم ما وضعه كيلاني من شروحات للمفردات على النص الشعري، يظل هذا النص، بمفرداته ومعانيه، شديد الصعوبة، ثقيلًا على النطق والسمع، فضلاً عن أن معظم الألفاظ التي استخدمها الشاعر قديمة ولا تستخدم في عصرنا إلا نادراً، كما أنها قد تكون مهجورة.. ولا فائدة للطفل من معرفتها في هذه السن المبكرة.

2- تكرار اللفظ:

إن تكرار اللفظ وتشكيله كاملاً كان واضحاً ومنطيقاً على جميع قصص كيلاني، فهو يعتمد إلى هذا التكرار عمداً وبوعي.

ففي قصة "الغراب الطائر"³² مثلاً، يردّد المؤلف مجموعة كلمات في صفحة واحدة فقط:³³ (شائعة - شائعات) 5 مرات - (أنسى) مرتين - ثم يردد كلمات في صفحات متفرقة مثل: (غراب - الزوجة - طائر - الصامت..)، وفي قصة "جلفر"³⁴ نجد تكراراً لكلمة (ربان) أربع مرات في صفحة واحدة³⁵، كما يكرّر كلمات أخرى في صفحات متفرقة: (بضائع - سفينة - لصوص - زورق - جزيرة..) وغيرها كثير. ويحرص كيلاني على تفسير بعض الكلمات التي يعتقد أنها أعلى من سن الأطفال الذين يكتب لهم القصة، وهو يقطع القصة عادة ويضع شرح الكلمات ضمن معكوفين، معتقداً أنه يبسرهما على الطفل فيما لو وضع الشرح في هامش الصفحة، ونجد مثلاً في قصة "ابن جبير"³⁶ كلمات عديدة يقدم لها شرحاً فهو يقول مثلاً³⁷: "المراكب التي يصرفونها في هذا البحر الفرعوني ملفقة (متضامة) الإنشاء والتركيب".

وهو أيضاً يشرح بعض الكلمات في الصفحة ذاتها: جوز النارجيل (الجوز الهندي).. يفتلون منه أمراساً (حبالاً). وفي القصة نفسها كلمات كثيرة مثل: النواتي

³² مطبعة كيلاني

³³ ص 2.

³⁴ سابق

³⁵ ص 6.

³⁶ سابق

³⁷ ص 60.

(الملاحون)، ماء زعاق (مرُّ غليظ لا يُطاق شربه)، العفارتة (العفاريت)³⁸، يضلح (يقل)³⁹، جِيَاب (آبار)⁴⁰.

وفي قصة "جبارة الغابة"⁴¹ نجد كيلاني يشرح الكلمات بشكل مفصل، مثل: أثناء خَطَرَتِهِ (في خلال مروره)، النسيْمُ البليْلُ (المُحَمَّلُ بالنَدَى، المُبَلَّلُ به)⁴²، تَغَرَّدَ على أفنَانِهَا (تغني على أغصانها)، جمجم النسيم (تكلم خافت الصوت)⁴³، أوينا إليك (اتخذناك لنا منزلاً)، تلوذ (تلجأ وتحتمي)، يتلمسها (يتطلبها مرّة بعد أخرى)، لا يظفر بطائل (لا يرجع بفائدة)⁴⁴، صوته الأبح (الغليظ الذي فيه بحة)⁴⁵.

وهذا الأمر كثير مطرد في جميع قصص كيلاني، فقد قدّم لغة أعلى من لغة الطفل المستهدف وإن حاول شرح بعض مفرداتها، بنية نبيلة من جهته، جُوبِه كيلاني بسببها بنقد شديد، خصوصاً وأنه لم يحدد المراحل العمرية التي يكتب لها على كل كتبه بشكل واضح، باستثناء مجموعة واحدة عنوانها "قصص رياض الأطفال"، و"أما كتاباته الأخرى فقد تركت دون توجيه، أو ليحددها القارئ بالنظر لحجمها أو عنوانها أو موضوعها، والنصُّ على المرحلة العمرية ليس لمصلحة الطفل المتلقي فحسب، إنه مطلوب المؤلف أصلاً"⁴⁶.

ولهذا جزم بعض الباحثين⁴⁷ أنّ هذه المسألة لم تكن محسومة عند كيلاني، وليس هذا فحسب بل اتهم كيلاني بأنه لم يشعر بأهميتها، وأول دليل وجدوه في لغة

³⁸ ص 63 .

³⁹ ص 64 .

⁴⁰ ص 66 .

⁴¹ سابق .

⁴² ص 76 .

⁴³ جبارة الغابة، 5 .

⁴⁴ ص 6 .

⁴⁵ ص 10 .

⁴⁶ عبد الله، محمد حسن. قصص الأطفال ومسرحهم. ص: 193-194 .

⁴⁷ المرجع نفسه، ص: 193 .

السرد للاعتناء بالهدف التلقيني وتغليبه على الهدف التعليمي، في اعتبارها -أي لغته- أعلى من مستوى الحكاية ومستوى القارئ، وقد قادهم ذلك للتأكيد "أن كيلاني لم يختلف في شيء عن أدباء جيله الذين كتبوا للكبار؛ في أنهم يربطون بين أدبية الأسلوب وحشده بالمفردات غير الشائعة أو الكلمات الصعبة، والحرص على اصطناع إيقاع لا يتطلبه المعنى، ويحصلون عليه بالترادف أو السجع مثلاً⁴⁸. ويلاحظ ذلك في كثير من القصص، منها مثلاً في قصة "عفاريت اللصوص"⁴⁹: "وكان الزارعُ يُحدِّثُ بعضَ أصدقائه -ذات يوم- بأنه عازم على قتل حماره، فسمعَ الحمارُ كلامَ سيِّده -لحسن حظّه- فخاف على نفسه، وفكر في الهرب من بيت سيده إلى إحدى الغابات..".

ومثلها في "قصة لا تنتهي" وهي من سلسلة "جُحا قال يا أطفال": "حكاية حدثت في بلدٍ من البلدان، في زمن من الأزمان، كان يعيش ملك عظيم الجاه والشان، له جبروت وسلطان، ظل هذا الملك يرفع قومه في بلده البعيد في سلام وأمان.."، "لم يكتب بما عنده من موهبة، وما أوتي من معرفة طيبة، لم يدخر وسعاً في المطالعة والمراجعة، وفي المحاور والمشاورة، لَيْثَ يَمُدُّ عقله بمختلف الآراء الواسعة والمعلومات النافعة، أحاط في مجالات الحياة بالأخبار الدقيقة، والحقائق الوثيقة"⁵⁰. ونشير هنا إلى مسألة تتعلق أيضاً باللغة وهي أن المؤلف الذي كان حريصاً على شرح بعض المفردات؛ نراه كثيراً ما يفضّل عن شرح كلمات تبدو أكثر صعوبة من الكلمات التي يقوم بشرحها، ففي قصة "بطولة سوسنة" التي تبدو من حيث شكلها وفكرتها موجهة إلى أطفال صغار السن -دون أن يحدد المؤلف جمهورها- نجد جملاً قد يتعذر فهمها على من هم في سن الشباب فما بالك بالناشئة، ونورد منها على سبيل المثال:

⁴⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴⁹ كيلاني، كامل. عفاريت اللصوص، ط19. القاهرة: دار المعارف، 1993م، ص:3.

⁵⁰ كيلاني، كامل. قصة لا تنتهي. القاهرة: مطبعة كيلاني، 1987م، ص:3.

-أرض قاحلة غيراء...، جدبة جرداء - كلما أحستَّ الثعالب والذئاب عضه الجوع، لم تجد ما يسد جوعها، ويروي ظمأها، اشتد بها الحقد على أهل الوادي البهيج⁵¹.
- لا تغتروا بالقوة وحدها، فربما كان لهذه الحيوانات الوداعة، الأنيسة، تفكير سليم، وتديبر هادئ، يُحيل انتصاركم الظاهر إلى هزيمة منكرة، على الرغم من القوة والبطش، يحسن أن تستعملوا الحيلة، وتصطنعوا المكيدة ومن الحيل والمكايد ما هو أنفع من القوة وأجدى⁵².

ولا يخفى صعوبة هذه الجمل السابقة من حيث المبنى ومن حيث المعنى، ولو أردنا إحصاء مثل هذه العبارات لاحتجنا إلى سفر كبير، وذلك لتواردها في مواقع كثيرة في القصص، ومنها كما ذكرنا قصة "بطولة سوسنة"⁵³.

ورغم ذلك، لا بد من التأكيد على أن المؤلف، ومنذ البدء، كان من بين أهدافه الارتقاء بلغة الطفل وزيادة حصيلته اللغوية، لكنه بالغ في كثير من قصصه حتى كاد ينحرف عن حبكة القصة نفسها فتحول من أثر أدبي إلى أثر تعليمي، أو بالأحرى تلقيني كما أشرنا سابقاً.

3- ربط المحتوى بالصور المعبرة:

وكما اهتم كيلاني بالمضمون والشكل العام، فقد كان أيضاً مهتماً بتقديم قصصه بثوب أنيق وجاذب، وربط محتوى القصة بالصور المعبرة الموضحة، وخصوصاً في مراحل الطفولة المبكرة.

ويوضح كيلاني سبب اهتمامه بذلك في مقدمة قصة "الحمار القارئ" بقوله: "نستقبل هذه المجموعة المبدعة، أطفال الرياض في مطلع تعليمهم، فتفتتهم ألوانها الجاذبة وتعينهم صورها المعبرة على فهم خلاصة القصص، فيغيرهم ذلك بالإسراع في تعلم القراءة، ليتعرفوا من الألفاظ تفصيل ما فهموه من التصاوير، فهي خير ما تزدان به رياض الأطفال من زهرات، وهي أسلوب مبتكر في تحبيب القراءة لأطفال

⁵¹ كيلاني، كامل. بطولة سوسنة. القاهرة: دار مكتبة الأطفال، 1987م، ص:3.

⁵² المصدر نفسه، ص:6.

⁵³ ينظر: المصدر نفسه، ص:7-9-10-12-14-15-16.

الروضة، يقوم على أساس تربيوي ناجح: في تعليم الأطفال القراءة وتكوين الجمل، مستعينة على تفهيم المعاني بالتصاووير المعبرة الفاتحة التي تسترعي الانتباه وتثير التطلع⁵⁴.

ونجد أن كيلاني حرص في قصصه على هذا الأسلوب؛ وإن كان العثور على القصص التي طبعت في حياته وتحت إشرافه المباشر أمراً شديداً الصعوبة، فما وصلنا كان من طبعات متأخرة⁵⁵، بعضها تجاوز الطبعة رقم (20)، لكننا نجد معاصريه يشيدون بتلك الطبعات، فهي برأيهم "متقنة الطبع، جيدة الورق، جميلة الرسوم"⁵⁶، كما كانت قصصه -كما يقول معاصروه أيضاً- من حيث الطباعة "في غاية الغايات من الرونق والإتقان"⁵⁷.

ثالثاً: البناء النفسي:

ربما يكون هذا المحور من أهم الأجزاء المميزة لأسلوب كيلاني، وهو يتكامل مع السمات السابقة بشيء من الاتساع والرحابة.. وهو ذو أبعاد نفسية وتربوية واجتماعية وفكرية متصلة حيث يصعب الفصل فيما بينها، بل على الأصح؛ نجدها تتناغم وتتآلف وتتناصر في سبيل تنمية الإنسان - الطفل، وبنائه شيئاً فشيئاً إلى حد التمام والكمال بواسطة القصة المبتكرة والأسلوب الحيّ المزدحم بالنشاط.. وهنا نجد ثمانية جوانب رئيسة تظهر في البناء النفسي والمعنوي من حيث:

-توفير مادة توضح للطفل الخطأ وعواقبه وتربيّه على الابتعاد عن الخطأ.

-وليس ذلك فقط، بل تعمل القصص على غرس المعاني الحميدة عبر مَثَل وأحداث درامية معينة تساهم في تنقية ذهنية الطفل أولاً من الشوائب التي قد تعلق به في سني عمره الأولى والعمل على وضع مفاهيم عليا وجعلها جزءاً لا يتجزأ من ذاته.

⁵⁴ كيلاني، كامل. *الحوار القارئ*. ص:3.

⁵⁵ بمراجعة تواريخ صدور قصص كيلاني ضمن قائمة بيبليوغرافية؛ وجدنا أن معظمها إن لم نقل كلها، تحمل تواريخ صدور تبعد عن تاريخ وفاة المؤلف بسنوات، ينظر: فرج، فتوح أحمد. *كامل كيلاني وأدب الأطفال في مصر*. ص:423-438.

⁵⁶ الجندي، أنور. *كامل كيلاني في مرآة التاريخ*. ص:371.

⁵⁷ المرجع نفسه، ص:370.

-ويرى كيلاني أن ذلك يحتاج إلى الاهتمام بما تُحدث القصة من آثار نفسية إيجابية تبرئ الطفل من النزاعات وتشفيه من سموم الجهالة، وبذلك يخرج كيلاني عن كونه أديباً وكاتباً فقط، بل عالماً وخبيراً بالطفولة وعالمها، مدركاً لنفسية الطفل وحاجاته. ويبدو ذلك واضحاً من خلال:

-مراعاة سن الطفل ورغباته.

-النزول إلى مستوى مداركه وتزويده بالعلوم.

-تقديم كل ذلك بأسلوب يحبب الكتاب إلى الطفل.

-التركيز على اللغة كأداة توصيل مهمة لتعويد الطفل على المضمون اللغوي السليم.

-يبقى أن نشير إلى أن الجانب المضموني للأسلوب عند كيلاني راعى فيه قضية جوهريّة؛ وهي ما يصيب الطفل عادة من ملل أثناء القراءة، ولذلك كان كيلاني يأمل بنزع ملل الطفل القارئ من خلال تبسيط المعنى في الأسلوب.

لكنّ السؤال هو: هل نجح كيلاني فعلاً في تضمين قصصه كل هذه الجوانب التي كان يرددها دائماً في كتابات وأحاديث كثيرة؟ أم أنه نجح في بعض القصص وأخفق في بعضها؟ وقد تكون هذه المسألة محوراً لمجالات دراسية أخرى، وتتطلب معالجتها فحص جميع قصص كيلاني واستخراج القيم المستفادة منها من خلال استطلاع رأي عينة من الأطفال للكشف عن مدى ملاءمة هذه الإشارات لنفسية الطفل والتأكد من رجوع الصدى الحادث، وقد تعرض بحث مطوّل لجوانب من هذا المحور⁵⁸، وجاءت نتائجه لتحدد مجموعة من الحاجات التي قام كيلاني بتلبيتها من خلال قصصه على النحو التالي⁵⁹:

حاجات الطفل من القصة

النسبة المئوية	عدد التكرار	الحاجات
----------------	-------------	---------

⁵⁸ ينظر: داود، آمال إمام. المضمون التربوي في أدب الأطفال لكامل كيلاني، (رسالة ماجستير)، جامعة عين شمس، الدراسات العليا، كلية التربية، قسم أصول التربية، (مخطوط) 1996م.

⁵⁹ المرجع نفسه، ص: 103.

1 - العقلية	702	52.6%
2 - الدينية	4	0.3%
3 - الاجتماعية	239	17.9%
4 - النفسية	373	28%
5 - الفسيولوجية	16	1.2%
المجموع	1334	100%

ونجد كيلاني حريصاً على هذا الجانب المضموني، وكان يؤكد أهمية الجانب النفسي معتبراً بعض مجموعاته القصصية: "خلاصة رائعة لحقائق الحياة، ومعرضاً جميلاً تتجلى فيه نزعات النفس الإنسانية، وتظهر أخلاقها ورغباتها في الإساءة والإحسان"⁶⁰.

ويؤكد كيلاني على دور بعض قصصه في التركيز على الآثار النفسية وتثبيت الفضائل وذلك عندما يقول للطفل القارئ: "... وأنت إذا تدبرت هذه الأفاصيح حق التدبر، وجدتها موافقة لما يظهر حولك من أخلاق الناس وغرائزهم، فهي إنما تصف طباعاً مكينة، وغرائز أصيلة ثابتة تلبس الناس، وتتصل بهم في كل عصر ومصر، وسترى في هذه المجموعة التي تخيرتها لك: أمثلة عليا تحب إليك الفضيلة، وتبين لك -من مزاياها وحسن آثارها- ما يزيدك تمسكاً بما طُبعت عليه من نبيل الخلال، وكريم الخصال، وحميد السجايا، ومحمود الطباع، ومَرْضِي الأخلاق"⁶¹. ويلاحظ ذلك في جميع قصص كيلاني التي اطلعنا عليها، وإن اختلفت النسبة فيها وتنوع الأسلوب من مباشر إلى معرّض إلى خفي. وكثيراً ما نجد تعليقات من داخل النص أو من خارجه تشير إلى ذلك مثل قوله: "لقد دفعك الفضول إلى مثل ما دفعنا إليه ولقيت من الجزاء ما لقينا وهذه عاقبة كل من يتدخل فيما لا يعنيه"⁶².

⁶⁰ الملك ميداس، 3.

⁶¹ المصدر نفسه، ص:4.

⁶² الملك العجيب، ص:24.

وكان يحث الطفل على المثل العليا والأعمال المناسبة لسنه، ويشجعه على العلم والصدقة والتعاون، وقال في ذلك: "إن طفلين صغيرين كانا في مثل سنك وذكائك، عاشا في مدينة "بغداد" في منزلين متقابلين على نهر "دجلة"، وقد جمعتهما مدرسة واحدة كما جمعتهما حيٌّ واحد، وبلدٌ واحد وزمن واحد، وكان كلاهما محباً للدرس مقبلاً على العلم لا يقصر في أداء واجب مدرسي، ولا يقرُّ قراره حتى يسبق لداته أو أترابه، ويبدُّ أقرانه وأصحابه في طلب العلم وتحصيله، والاستزادة من فنون الثقافة وأفانين المعرفة، أي: أساليبها وأجناسها وطرقها"⁶³.

ولم يكن اهتمام كيلاني وحرصه على تزويد الطفل بالعلوم والمعارف مقتصرًا على بعض المعلومات التي يقدمها في قصص متفرقة، بل أدى حرصه هذا إلى وضع مجموعة خاصة من عشر قصص تحت عنوان قصص علمية⁶⁴.

وقد لا يكتفي كيلاني بالقصة نفسها، حتى يتبعها بمادة علمية خصبة، مثلما نجد في نهاية قصة "مخاطرات أم مازن" حيث يقدم "إمامه بالنمل"⁶⁵ ويقول في مقدمتها: "قبسنا هذا المقال النفيس من دائرة المعارف الفرنسية ليكون مرجعًا للمدرس في تدريس قصة أم مازن"، وهي تحوي معلومات غزيرة جدًا، ومن عناوينها: خواص النمل - أجسام النمل - طوائف النمل - مزايا النمل - مساكن النمل - تلاحق النمل - جماعات النمل - آراء بعض الباحثين - النمل والحرارة - نمل البرازيل - نمل العسل.

هكذا نلاحظ مدى اهتمام كيلاني من تنوع أهدافه في مضامين قصصه، وسعيه الحثيث لبناء جيل مثقف قوي متماسك. ومن قوله في هذا الإطار موجهًا كلامه إلى ابنه "رشاد" كواحد من أطفال العرب: "آليت على نفسي أن أسليك وأثقفك، وأقرب لك -جهد ما أستطيع- تلك الثمار اليانعة...، أما جهد الابتكار والإبداع فقد ألقيته

⁶³ بنت الصباغ، ص:3.

⁶⁴ أصقاء الربيع - في الإصطبل - أسرة السناجيب - الصديقتان - العنكب الحزين - زهرة البرسيم - جبارة الغابة - أم سند وأم هند - مخاطرات أم مازن - النحلة العاملة .

⁶⁵ مخاطرات أم مازن، ص:59-67.

على عاتقك لتؤديه إلى أطفال جيلك القادم، متى كبرت سنك وكملت ثقافتك، وليس في قدرتي أن أزيد على وضع الأساس الصالح، أما البناء فقد وكلته إليك، وأنا على ثقة أنك محقق هذا الرجاء، ومؤد هذا الدين -متى أصبحت في عداد الرجال الراشدين- إلى أبنائك وحفدتك على أحسن وجه وأوفى غاية"⁶⁶.

من أجل ذلك يقرر الباحثون "أن مجموعات كيلاني تسعى في النهاية لتحقيق هدف تربوي وآخر تعليمي، حرص عليهما كيلاني، أما الهدف التربوي فغاياته غرس الفضائل والمثل العليا التي ارتضتها الجماعة، وتوجيه الطفل العربي نحو أنماط السلوك والقيم الاجتماعية والمعايير الأخلاقية، والتمسك بكل ما هو إيجابي منها ونبت كل ما هو سلبي، وذلك من خلال منظور وطني قومي وإسلامي.. أما الهدف التعليمي فغاياته أن يصل الطفل بتراثه الأدبي من ناحية، وينمي ثروته اللغوية المضبوطة ضبطاً صحيحاً من ناحية أخرى بعد شرح ما يستحق منها"⁶⁷.

خاتمة البحث:

لقد غصنا في الصفحات السابقة عميقاً لسبر بعض الجوانب المهمة في قصص كامل كيلاني للأطفال، مع تركيزنا على شكلية وموضوعية محددة مع عدم التوسع التزاماً بما يفرضه البحث، علماً بأن الموضوع خصب ورحب، وربما يستحث السابرين للتعلم أكثر في هذه الجوانب والتفرع منها، لاستخراج الكنوز التي تحفل بها قصص كيلاني، وقبل الختام نتوقف عند عدد من النقاط نرى أهمية للتوقف عندها:

-لا نستطيع -عموماً- تحديد منهج معين سار عليه كيلاني في كل قصصه وذلك لاختلاف المراحل العمرية وما يناسب كل مرحلة من أسلوب وخطة تناسب عقول أطفال المرحلة.

-لكن يمكن دراسة القصص بعد تقسيمها حسب المراحل العمرية، مع العلم أن كيلاني لم يحدد تماماً العمر المقصود بكل قصة، باستثناء مجموعة واحدة خاصة

⁶⁶ أصدقاء الربيع، ص: 3-4.

⁶⁷ النجار، محمد رجب. جعا العربي، ط2. الكويت: مكتبة ذات السلاسل، 1989م، ص: 313-314.

برياض الأطفال، لكن يمكن وضع خطوط تقريبية فيما بين قصصه بناء على ما رتبته بنفسه وبناء على اللغة المستخدمة.

-ولا بد من الاعتراف أن لغة كيلاني وطريقة استخدامه للصور البيانية المتنوعة والجمل الرشيقة الخفيفة والأنغام المتجانسة في فواصل الجمل تجعل النصوص كتلة من الموسيقى المشحونة بالأسرار.

-وهذا لا يعني أن أسلوب كيلاني يخلو من السلبيات التي قد ينقسم إزاءها الباحثون، وخصوصاً في اتهامه بأن لغته المستخدمة وأسلوبه الذي يعتمده، هما أعلى من مستوى الطفل المخاطب، ويشفع بذلك نية المؤلف في الارتقاء بمستوى الطفل اللغوي، كما أنه لا بد من ملاحظة مستوى لغة العصر الذي عاش فيه، حيث إن لغته أخذت حجمها الطبيعي.

-إن الجهود الحثيثة التي بذلها كيلاني، مؤلفاً ومترجماً ومقتبساً، تصب في نهايتها في قالب تربوي تعليمي، مع وجود بعض الثغرات الدرامية التي تجعل القصة تسير عنوة في الطريق الذي يريده المؤلف، وهذا يخل حتماً بسياق النص ويعتبر من العيوب الرئيسية فيها، مما يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً في أن كيلاني يصب اهتمامه على الجوانب التعليمية التربوية، والقصة كعمل أدبي متكامل تعتمد على التطور الدرامي واللغة هي أداة لها، ولا ينبغي للقصة أن تؤسر في ما يريده المؤلف من أهداف تعليمية لغوية، لا سيما وأن دراسة النص يجب أن تكون دراسة من داخله دون اعتبارات خارجية.

-إن أسلوب التكرار الذي أتخم به المؤلف قصصه، إضافة إلى إكثاره من الكلمات الصعبة واضطراره إلى شرحها، وإزحامه النصوص بالظواهر البيانية واللفظية، يجعل معظم الأطفال يبتعدون عن جوهر القصة ليغرقوا في بحر هذه الظواهر، والبحث عن معانيها، مع ملاحظة إيجابياتها الكثيرة وإضافاتها رونقاً على النص، وقد كان بالإمكان تفادي ذلك بترك النص يسير على سجيته دون أن يظهر تكلف المؤلف وإصراره على ذلك بشكل قد يبدو من ضرورات اللغة لا من متطلبات الدراما.

-وجود بعض الملاحق والتعريفات والمعلومات والحكم والأناشيد يزيد من فوائد القصة رغم اعتبار أنها من خارج النص، مع ملاحظة وجود أناشيد ومعلومات وحكم تتصل بالنص مباشرة وتعتبر جزءاً لا يتجزأ منه، مع التحفظ على بعض النصوص ذات المفردات الغريبة.

-وفي النهاية؛ رغم كل ما كتب سابقاً عن قصص كامل كيلاني، فلا تزال قصصه تثير شهية البحث والدراسة، ولعل ما تناوله البحث يشكل مهماً لأبحاث أخرى تتناول أساليبه ومواضيعه المختلفة، بتوسع وإغراق في التفاصيل، تقديراً واعترافاً بمكانته، وترسيماً لأدب طفل عصري ومتطور، يحتاج إلى مزيد من اهتمام الباحثين.

المصادر والمراجع:

- بدوي، عبد الرحمن. كامل كيلاني وسيرته الذاتية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.
- الجندي، أنور. كامل كيلاني في مرآة التاريخ. القاهرة: مطبعة كيلاني، 1962م.
- جبرو، بيير. الأسلوبية، ترجمة: منذر عيَّاش، ط2. حلب: مركز الإنماء الحضاري، 1994م.
- داود، آمال إمام. المضمون التربوي في أدب الأطفال لكامل كيلاني، (رسالة ماجستير)، جامعة عين شمس، الدراسات العليا، كلية التربية، قسم أصول التربية، 1996م.
- السيد، شفيح. الاتجاه الأسلوبية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1986م.
- الشايب، أحمد. الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية، ط12. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998م.
- عبد الله، محمد حسن. قصص الأطفال ومسرحهم. القاهرة: دار قباء، 2001م.
- فرج، فتوح أحمد. كامل كيلاني وأدب الأطفال في مصر.
- كيلاني، كامل. العنكب الحزين، ط10. القاهرة: دار المعارف، 1993م.
- كيلاني، كامل. النحلة العاملة، ط10. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- كيلاني، كامل. بطولة سوسنة. القاهرة: دار مكتبة الأطفال، 1987م.
- كيلاني، كامل. جحا قال يا أطفال، الحمار القارئ، ط1. القاهرة: دار مكتبة الأطفال، 1950م.

- كيلاني، كامل. زهرة البرسيم، ط12. القاهرة: دار المعارف، 1991م.
- كيلاني، كامل. عفاريت اللصوص، ط19. القاهرة: دار المعارف، 1993م.
- كيلاني، كامل. علاء الدين، ط18. القاهرة: دار المعارف، 1973م.
- كيلاني، كامل. قصة لا تنتهي. القاهرة: مطبعة كيلاني، 1987م.
- كيلاني، كامل. وادي الذهب وقصص أخرى، ط1. القاهرة: دار مكتبة الأطفال، د.ت.
- كيوان، عبد العاطي. الأسلوبية في الخطاب العربي، ط1. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 2000م.
- النجار، محمد رجب. جحا العربي، ط2. الكويت: مكتبة ذات السلاسل، 1989م.
- وهبة، مجدي. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2. بيروت: مكتبة لبنان، 1984م.

الربيع العربي في سوريا كما يتجلى في رواية "أمل"

د. ولي الله *

Email: waliullah.sagar@gmail.com

ملخص البحث:

"الربيع العربي" هو مصطلح يطلق على سلسلة من الاحتجاجات والثورات ضد الحكومة التي اندلعت في العالم العربي في مطلع عام 2011م. واخترت لهذا البحث رواية "أمل" لدينا نسريني التي تناولت قضايا ثورة الربيع العربي في سوريا ووصفت أحداثها بدقة. وتجلت في الرواية وحشية نظام الأسد والصراعات الداخلية والحرب الأهلية والأزمة الإنسانية في سوريا. وتجرت الروائية دينا نسريني على الكتابة ضد الديكتاتورية والاستبداد والقمع. وتعتبر رواية "أمل" رواية شبه تاريخية حيث إنها تحكي الأحوال الاجتماعية والسياسية لفترة معينة. وتناولت الرواية قضايا التهجير واللجوء وقضية معاناة النساء والأطفال خلال أحداث الربيع العربي. وهذه الرواية مهمة جداً لفهم الجوانب المختلفة للربيع العربي. واعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي.

كلمات مفتاحية: الحرب الأهلية، دينا نسريني، الربيع العربي، الرواية، سوريا.

Abstract:

The "Arab Spring" refers to series of anti-government protests, and armed rebellions that occurred in the Arab world in early 2011. In this article, I studied the novel "Amal" by Dina Nasrini. It described the events of Arab Spring very carefully. The brutality of the Assad regime, internal conflicts, civil war, and humanitarian crisis in Syria are the core issues of the novel. Novelist Dina Nesrini dared to write against dictatorship. The novel "Amal" is considered a semi-historical novel, as it tells the social and political conditions of a certain period. The novel deals with the issues of displacement, asylum, the issues of women and children. This novel is very important to understand the different aspects of the Arab Spring.

* الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، كلية شمسي، مالد، غرب البنغال، الهند.

مقدمة:

يعتبر الربيع العربي أكبر حركة سياسية قامت في العالم العربي في التاريخ الحديث حيث شهدت المنطقة ثورة تاريخية أحدثت تغييرات كثيرة من الناحيتين الإيجابية والسلبية على السواء. انطلقت شرارة الربيع العربي في ديسمبر 2010م مع اندلاع احتجاجات سلمية واسعة النطاق من أجل نيل الحقوق المدنية والحرية والكرامة والديمقراطية، ولكن مع مرور الوقت، تحول "الربيع" إلى "خريف"، متمثلاً في أحداث عنف وقتل ودمار واشتباكات وصراعات مؤدياً في النهاية إلى حروب أهلية دامية في عدد من البلدان العربية، وعودة النظم الديكتاتورية المستبدة إلى عدد من دول العالم العربي¹.

اندلعت احتجاجات الربيع العربي في عدة دول عربية منذ يناير 2011م ولكن سوريا ظلت هادئة حتى منتصف مارس 2011م بسبب الخوف من الشرطة والنظام بين المدنيين. وعندما اشتدت الاحتجاجات في العالم العربي وتمت إطاحة النظام في تونس ومصر تجرأ السوريون على الاحتجاجات ضد نظام بشار الأسد. وبدأت الاحتجاجات في سوريا عندما اعتقلت الشرطة 15 طالباً وقامت بتعذيبهم لأنهم كتبوا شعارات مناهضة للحكومة على جدران المدرسة في مدينة درعا²، وعقب ذلك انتشرت الاحتجاجات في جميع أنحاء البلاد، وأطلق الجيش السوري النار على الاحتجاجات السلمية وقتل المتظاهرين في عدة مدن. وطالب المتظاهرون بالإفراج عن السجناء السياسيين، وإلغاء قانون الطوارئ السوري الذي مضى عليه 48 عاماً والمزيد من الحريات، ووقف الفساد الحكومي.

ومع اشتداد الاحتجاجات زادت الحكومة من استخدام القوة لقمع المقاومة وقتلت المئات من المتظاهرين. وحاصرت قوات الأمن مدينة درعا التي أصبحت مركز الاحتجاجات وأوقفت جميع الخدمات اللازمة مثل إمدادات المياه والإمداد الغذائي

¹ Lynch, Marc. **The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East**, First edition. New York: Public Affairs, 2012, p:9.

² Fahim, Kareem and Saad, Hwaida. "A Faceless Teenage Refugee Who Helped Ignite Syria's War", **The New York times**, www.nytimes.com, 8 February 2013, visited on 12 December 2018.

والكهرباء والهاتف، وحاصر الجيش السوري مدناً أخرى أيضاً. وفي أثناء الحصار، استمر القمع العنيف للاحتجاجات³. فقامت الحكومة بإطلاق النار العشوائي على المتظاهرين واعتقال الآلاف، والتعذيب الوحشي، وخطف أفراد عائلات المتظاهرين والقصف على المدنيين ونشر الدبابات في داخل المدن والقرى وارتكبت الحكومة السورية الجرائم ضد الإنسانية⁴.

ومنذ بداية الثورة السورية استمرت الانشقاقات عن الجيش السوري، وانشقاقات سياسية ودبلوماسية أيضاً⁵. ومع مرور الزمان وقمع الجيش السوري المتزايد تحولت الاحتجاجات إلى الانتفاضة والتمرد المسلح. وأصبح مقاتلو المعارضة أفضل تجهيزاً وأكثر تنظيمياً⁶.

وفي 29 يوليو 2011م، أعلنت مجموعة من ضباط الجيش السوري المنشقين عن تشكيل "الجيش السوري الحر" ليحارب ضد نظام الأسد ويسعى لإسقاط النظام وأصبح أول قوة عسكرية معارضة منظمة. وتم تشكيل "المجلس الوطني السوري" في 23 أغسطس 2011م كوكالة سياسية للجيش السوري الحر⁷.

وبعد أن تم تشكيل "الجيش السوري الحر" بدأ التمرد المسلح ضد الحكومة السورية. وبدأ القتال بين الجيش السوري الحر وقوات نظام الأسد فوقت عدة معارك. واستمرت الاشتباكات واستولى الجيش السوري الحر على مناطق عديدة في سوريا. وقامت القوات المسلحة السورية باستخدام مدفعية على نطاق واسع ضد الثوار

³ "ارتكاب قوات الأمن السورية جرائم ضد الإنسانية في درعا"، هيومن رايتس ووتش-www.hrw.org، تاريخ النشر: 1 يونيو 2011م، تاريخ الزيارة: 10 ديسمبر 2018م.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ "أهم الانشقاقات إبان ثورة سوريا"، الجزيرة-www.aljazeera.net، تاريخ النشر: 24 يونيو 2012م، تاريخ الزيارة: 11 ديسمبر 2018م.

⁶ علام، رابحة سيف. الشباب وجماعات العنف، (أوراق مؤتمر بيروت 22-23 ديسمبر 2015م). القاهرة: روافد للنشر والتوزيع، 2015م، ص: 95-96.

⁷ "المعارضة السورية تعلن عن تشكيلة مجلسها الوطني"، إذاعة صوت ألمانيا- www.dw.com، تاريخ النشر: 15 سبتمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 4 أكتوبر 2018م.

والقصف العشوائي مما أدى إلى تدمير منازل المدنيين والمباني⁸.
وقدّم كوفي عنان الممثل الخاص المشترك للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية خطة السلام وقام بإجراء المفاوضات، ولكن الجانبين استمرا في القتال وفشلت مهمة السلام. وأدى القتال إلى حرب أهلية شارك فيها بعض أقوى دول العالم مباشرة أو غير مباشرة وعدد من الجماعات المسلحة.

وشاركت الدول الأجنبية في الحرب الأهلية السورية من أجل حماية مصالحها الخاصة. وأدرجت لجنة تحقيق تابعة للأمم المتحدة أن جميع أطراف النزاع ارتكبت جرائم حرب، وأن نظام بشار الأسد قد استخدم الأسلحة الكيماوية ضد المدنيين⁹.
ووثق المرصد السوري لحقوق الإنسان (SOHR) مقتل 614000 شخصاً بحلول مارس 2021م، من بينهم أكثر من 162000 مدنياً¹⁰. ونزح أكثر من نصف سكان سوريا من ديارهم. وهناك حوالي 6.7 ملايين نازح داخلياً، يعيش العديد منهم في المخيمات، وبينما تم تسجيل 5.6 ملايين آخرين كلاجئين في الخارج. وهو أكبر عمليات نزوح اللاجئين في التاريخ الحديث. وولد مليون طفل سوري لاجئ في المنفى¹¹.
ولا تزال الأحياء والبنية التحتية والمباني والمنازل في جميع أنحاء البلاد في حالة خراب بعد عقد من القتال.

ووفقاً لآخر تحديث في فبراير 2020م استعادت الحكومة السيطرة على أكبر المدن السورية، ولكن أجزاء كبيرة من البلاد لا تزال تحت سيطرة المتمردين والجهاديين

⁸ "Observations on the Air War in Syria", *Air & Space Power Journal*, Air University, Maxwell AFB, AL, USA, March-April 2013, p:147-167.

⁹ "Syrian air force used deadly chemical weapons in 2017 attacks, global watchdog finds", *UN News*, <https://news.un.org/en/story/2020/04/1061402>, 8 April 2020, visited on 18 May 2019.

¹⁰ "نحو 614 ألف شخص قضاوا وقتلوا واستشهدوا منذ اندلاع الثورة السورية في آذار 2011"، *المرصد السوري لحقوق الإنسان*-www.syriahr.com، تاريخ النشر: 15 مارس 2023م، تاريخ الزيارة: 26 يناير 2024م.

¹¹ "في الذكرى السنوية الـ11 للنزاع، لا تزال سوريا أضخم أزمة نزوح في العالم والنساء والأطفال يدفعون الثمن باهظاً"، *أخبار الأمم المتحدة*، <https://news.un.org/ar/story/2022/03/1096342>، تاريخ النشر: 15 مارس 2022م، تاريخ الزيارة: 26 يناير 2024م.

وقوات سوريا الديمقراطية التي يقودها الأكراد.

ولا يبدو أن الحرب الأهلية السورية ستنتهي في القريب العاجل، لكن الجميع يتفقون على أن الحل السياسي مطلوب. ومع وجود خمسة جيوش أجنبية نشطة في سوريا، لا يمكن أن يقدم المجتمع الدولي الحلول بدون توافقها. ومستقبل سوريا لا يزال غير مؤكد في هذه الظروف.

ويعتبر الأدب مرآة للمجتمع، إذ يصور ما يقع بداخله من تطورات، ويعكس ما يحدث فيه من وقائع واضطرابات وأحداث، وما يدور فيه من توجهات سياسية واقتصادية وثقافية، لذلك من الطبيعي أن تتجلى أحداث الربيع في الأدب، والرواية العربية كونها ملحمة العصر الحديث أجدر بأن تصور أحداث الربيع العربي بأدق صورها وتفصيلها. وقد أثبتت الرواية العربية المعاصرة ذلك فعلاً. ومنذ أن انطلق الربيع العربي في البلدان العربية من تونس وصولاً إلى مصر وليبيا وسوريا، انبرى الروائيون العرب يرصدونه ويوثقون هذه الأحداث بعناية بالغة. ولقد هزَّ الربيع العربي المجتمعات العربية، حيث انفجر بركان غضب الشعوب العربية فجأة، متمثلاً في احتجاجات ومظاهرات عارمة اتخذت شكل ثورات قوية تمكنت من قلب الأنظمة الحاكمة واستبدالها بأخرى جديدة، وانعكس هذا الغضب العارم بقوة ووضوح في الرواية العربية بمضامينها ومحتوياتها.

تمثيلات الربيع العربي في رواية "أمل":

اهتم الروائيون العرب اهتماماً بالغاً برصد الربيع العربي وكل ما يتصل به من خلفيات ووقائع وأحداث. فظهرت عشرات الروايات العربية في هذا الموضوع. وما من شك في أن هذه الروايات ذات أهمية بالغة في استكناه الربيع العربي بشتى تجلياته وأبعاده.

تحكي رواية "أمل" لدينا نسريني أحداث الثورة التي حدثت في سوريا عام 2011م. وتدور أحداث الرواية في مدينة حلب، المدينة المزدهرة التي تحولت إلى دار الحرب بين النظام السوري والثوار. ويجبر النظام المواطنين على الهجرة منها ومن لم يفعل ذلك يعاني كل يوم من مشاكل عديدة.

وتحكي الرواية عن بطلة الرواية "سهام" وهي معلمة في روضة أطفال. إنها تحب الأطفال حباً شديداً وتعنتي بهم دائماً وترى في ذلك السعادة وتحاول أن تنسى آلام الحرب بابتسامة ابنتها الصغيرة "أمل". وتصادف سهام حبها القديم في أحد حواجز جيش النظام السوري فتتعرف على حقائق النظام السوري والمعارضة. وتحكي الرواية الأحداث والصراعات التي حدثت في مدينة حلب أثناء ثورة الربيع العربي وما يتعرض المواطنون من التعذيب والمعاناة وكيف تعلم الشعب التعايش مع الحرب والقصف والدمار والتعذيب وتعلموا كيف يبتسم في وسط هذه الأزمة أملاً في مستقبل مشرق.

وإن الشخصية الرئيسية في هذه الرواية هي "سهام"، ولها ابنة، واسمها "أمل" الذي يرتبط بعنوان هذه الرواية. وكانت سهام تحب شاباً اسمه "سمير" عندما كان يدرسان في الجامعة في حلب. ولقد انفصلا قبل أحد عشر عاماً ولكن الحب بقي في قلوبهما. ويجمعهم القدر معاً بعد أكثر من عقد. وبعد أن التقيا علمت سهام أن سمير يعمل في جيش الأسد كجندي. وكانت تكره جيش النظام السوري الذي لا يزال يرتكب جرائم بشعة بحق المدنيين السوريين من تعذيبهم وقتلهم منذ اندلاع الثورة عام 2011م. وهذا يجعل سهام تكره كثيراً أي شيء متعلق بالنظام الحاكم. وليست سهام هي الوحيدة التي تكره النظام بل يكرهه معظم السوريين الذين سئموا من العيش تحت النظام الاستبدادي. وشاهد الشعب السوري جرائم النظام من الغارات على المدنيين الأبرياء وإراقة الدماء في كل مكان، وقتل العديد من الأطفال والنساء، وأجبر المدنيون على أن يعيشوا في فقر ونقص الماء والغذاء وبدون الكهرباء والخدمات الصحية. وارتفعت أسعار المواد الغذائية والملبس والمسكن، مما أدى غالبية السوريين إلى أن يعيشوا تحت خط الفقر. واضطر الكثير إلى الهروب إلى الدول المجاورة مثل تركيا والأردن ولبنان ودول أوروبا. وبالعكس، لا تريد سهام الهروب من البلاد مهما كانت الظروف، وقررت أن تقاتل وحدها للبقاء في بلدها العزيز حبا للأطفال والعائلة، على الرغم من أنه في النهاية مات سمير وابنتها الوحيدة أمل بسبب انفجار قنبلة. وإنها كانت تريد أن تكون مثل الشعب الفلسطيني الذي

دائماً يقاوم لأجل البقاء في بلده وكثير منهم أستشهدوا في هذه المقاومة. وتريد أن تكون سوريا دولة مسالمة على الرغم من أنها تعرف أن سوريا لن تكون أبداً مثلها في مستقبل قريب.

سهام هي الشخصية المركزية في هذه الرواية. وهي قوية وشجاعة. وكانت سهام معلمة في روضة أطفال في حلب، وابنتها أمل أيضاً تدرس في تلك المدرسة. وتجري الحروب الدامية وتقصف الطائرات الحربية للنظام السوري المنازل والمباني والمدارس والمستشفيات وتقتل المدنيين في كل مكان. وتقع الاشتباكات بين جيش النظام والمسلحين المعارضين. وفي ظل الخوف وعدم الاستقرار تحاول سهام إزالة الخوف من قلوب الأطفال وتشجعهم على العيش بدون خوف. ويشير النص الآتي إلى ذلك:

"كنت أدرك بأنهم يعرفون، كلهم يعرفون الانفجارات والاشتباكات والقصف والمسلحين والجيش، كلها كلمات وجدت لها مكانا بين حصيلة مفرداتهم الطفولية إلى جانب قوس قزح والنجوم والأزهار والفراشات إلى جانب الأشرطة الوردية وكعكة الشوكولا والفرولة إلى جانب باربي وفلة وسبايدر مان وجراندايزر وأبطال اليويو وناروتو، كان هناك الدبابة وطائرة الميج وعند بعضهم الهون والسكود كنت أعرف بأنهم يعرفون جيداً ماهية الصوت الذي سمعناه لكنني كنت أعرف أيضاً أنهم بحاجة لكذبة يصدقونها ويتشبهون بها ليصلوا لإحساس بالأمان وإن كان مزيفاً لكن ليس من السهل إقناع الجميع.

"هذا صوت انفجار"

"الانفجارات بعيدة عنا يا حبيبتى ولا علاقة لنا بها"¹².

يعذب جيش النظام السوري الأشخاص الذين يعتبرهم مناهضين لنظام الأسد. والسنة هم أكثر الناس تعرضاً لتعذيب النظام الوحشي فهم دائماً يتعرضون للظلم والقسوة والأذى بلا رحمة. وارتكب جيش الأسد جرائم ضد المدنيين مثل القتل وقصف المنازل والتعذيب الوحشي والاعتصاب منذ اندلاع ثورة الربيع العربي، حيث يصف النص الآتي حادثة اغتصاب سهام، معلمة روضة أطفال قام به جيش النظام عند أحد

¹² نسريني، دينا. أمل، ط1. مصر: دار للنشر والتوزيع، 2014م، ص:18.

حواجز الجيش في حلب:

"عندما اقتربت من بوابة الحجز وقف الثاني متكاسلا راميا بالقماشة التي كانت في يده على الكرسي بلا مبالاة، فيما دفع سلاحه لخلف كتفه...
"تفتيش"

مددت له حقيبتني؟، لم يكن بها الكثير من الأغراض، قلب فيها بسرعة، ثم رفع عينيه لي بنظرة هازنة، لا شيء هنا، أخذ يقلبني بعينه وابتسامة صفراء تتراقص على زاوية فمه، أبعدت نظراتي عنه بسرعة، رفعت حقيبتني إلى كتفي وهممت بالمضي في طريقي، لكنه أخذ خطوة سريعة ليقف أمامي سادا الطريق بوجهي...
"ألا تخفين شيئاً هنا؟"

قال هذا وهو يمد يده متحمساً صدري بوقاحة، دفعت يده بسرعة بحركة دفاعية وأخذت خطوتين للوراء لاتعثر بشخص كان يقف خلفي، لقد كان ثالثهم ذو اللحية الشعثاء، أحسست بها على رقبتني، كما أحسست بجسمه يلتصق بجسمي، أطلق أنفاسه على أذني وهو يهمس:

"إلى أين تهريين... قبل أن تمتعينا؟"

وبدأت كل نواقيس الخطر تدق في رأسي وأنا أحس بذراعيه تطوفاني فيما كانت يده تندس تحت ثيابي كحشرة كبيرة مقرفة....

عشرات من القصص كهذه سمعت، تعاطفت معها كلها وبعضها ألمني وجرحني وبكيت عند السماع الروائية الكسيرة لبعضها من فتيات تم إذلالهن وتحويلهن إلى أداة متعة لبشر أقل ما يقال عنهم أنهم حثالة المجتمع لكن في طبيعة البشر شيء يدفعك لتعتقد بأنك مختلف أن ما حدث لهن لن يحدث لك، لكن، ها أنا ذي، وعلى التصرف بسرعة!¹³.

واستخدم نظام الأسد كل قوته والجهاز الحكومي والمؤسسات الحكومية لقمع الاحتجاجات، ونشر الدبابات في داخل المدن والقرى، وعلق الخدمات الضرورية مثل الغذاء والدواء والمياه والكهرباء والهاتف، ومنع الجرحى من الخدمات الصحية

¹³ المصدر نفسه، ص: 69-70.

والعلاج. كما قام جيش النظام السوري بالاختطاف والنهب وحرق المنازل والمكاتب والمتاجر والحوانيت والممتلكات الأخرى. وغالبية سكان حلب مضطرون إلى العيش في المخيمات. وأدت تركيا دوراً فعالاً للغاية في تقديم المساعدات للشعب السوري: "انتشلتني من أفكاري بسرعة وهي تسحبني بعيداً عن الرصيف نحو الشارع، فما عاد الرصيف يتسع لنا، بعد أن بات مكتظاً بالخيم البلاستيكية (الشوادر) من كل شكل ولون، بعضها يجلس فيها أطفال ونساء وشيوخ، لكن النسبة الكبرى منها كانت محلات بقالة ولحوم ومنتجات تركية -تركية تحديداً- هذا هو السوق الذي كنا نقصده يوميا ونشتري منه على كل حال، فكل الأسواق الأخرى إما أنها قد تهدمت وهجرت أو أنها تقع في خانة ما يسمى بالمناطق الخطيرة، تمر بالمحلات أو الخيم هذي، تنظر إلى البضائع فتفكر: "أترى سرقوا هذه البضاعة من مخيم لاجئين أم اشتروها منهم؟ أترى هذا الثوب سرق من خزانة بيت مغتصب؟ أترى هذه البضاعة أخذت عنوة من صاحب مصنع وهم يفرغون الرصاص في جسده؟" وتشتري وأنت بالكاد تجد جواباً مريحاً تسكت به صوت ضميرك: "أتراني ادفع نقوداً لمن سيقتلني غداً؟"

"ماما من أين جاء هذا بالماء؟"

كان طفلاً يحمل دلوين ضخمين من الماء يصارع ثقل وزنهما وصغر سنه كي يوصلهما إلى البيت.

"من أين جاء هذا الماء؟" كررت سؤالها فأنا من منعها صباحاً من تنظيف أسنانها فالمياه مقطوعة منذ ثلاثة أيام وما تبقى لدينا في الخزان بالكاد يكفي للشرب، وفكرت كيف لي أن أشرح لها نظرية تعلمتها أنا مؤخراً عن الآبار الجوفية الموجودة تحت مدينة حلب¹⁴.

وتبدأ هذه الرواية بقصة عن أحداث الثورة السورية عام 2011م وضربات جوية نفذتها الحكومة السورية على المدنيين، ثم تخبرنا عن الصراعات بين الجماعات الدينية السنية والشيعة، ثم تحكي عن الجرائم الوحشية التي ارتكبها بشار الأسد

¹⁴ المصدر نفسه، ص: 13-14.

ضد الشعب السوري. وعلى عكس الروايات الأخرى، ذكرت هذه الرواية اسم بشار الأسد على وجه التحديد كرأس الأشرار في الأزمة السورية. واختتمت بقصة حزينة للغاية، هي موت أمل وسمير في انفجار قنبلة في حلب. وتروي الرواية التسلسل الزمني للأزمة السورية في الواقع، على الرغم من أنه لا يمكن الإنكار أنها عمل أدبي قد لا تتطابق كل التفاصيل مع الواقع ولكن حاولت على الأقل تقديم الواقع الحقيقي بقدر المستطاع. ويعرف القارئ ما حدث للشعب السوري في ذلك الوقت بناء على ما رآه المؤلف نفسه واختبره.

ومن عوامل غضب الناس على نظام الأسد أن معظم عدد السكان في سوريا هم المسلمون السنة ويحكم عليهم الشيعة الأقلية في البلاد وسيطرون على جميع موارد الدولة فيحرم المسلمون السنة من الفرص والمساواة فتخلفوا غاية التخلف. ولذلك عارض السنة نظام الأسد.

وتصف الرواية القصف المتكرر الذي يتعرض له المدنيون من قبل جيش الأسد: "بوووووووووووووووو... لم يعد الصوت يخفينا، لكنه ما زال يرسم على وجه كل منا نظرة قاسية، حتى طيور ما عادت تخاف من الصوت فعلى الرغم من قوة الدوي الذي ملأ الإرجاع إلا أن غرابا أو اثنين كان كل ما قد انطلق في السماء ناعبا: اشتقت الأصوات الصباح ولزقزقة العصافير"¹⁵.

ويتضح من هذه الفقرة أن هذه الرواية مليئة بذكر الأزمة الإنسانية في سوريا في عهد بشار الأسد الاستبدادي. وهذا هو النظام الذي يقوم بتعذيب شعبه علنا دون ندم. وحاولت الرواية نقل بعض الرسائل من أهمها السلام والأمل. وتحدثت الرواية عن أهمية السلام في بلد ما، وخاصة في دولة فيها طوائف مختلفة فيجب أن يحترم أتباع الطوائف الدينية الأخرى. لا يمكن فصل الصراع عن حياة الإنسان، ولكن يمكن تقليل كل ذلك بالاحترام المتبادل بين الجماعات.

ويريد المؤلف من خلال هذه الرواية نقل أهمية الأمل في الحياة. والأمل أن يكون الغد أفضل وأجمل من اليوم. وعلى الرغم من أن الأمل ضئيل للغاية في سوريا اليوم ولكن

¹⁵ المصدر نفسه، ص: 11.

سيكون الأمل في قلوب السوريين دائماً.

وقام نظام الأسد بتعذيب الجميع حتى النساء والأطفال والشيوخ بلا رحمة. كانوا يعيشون في ظل الخوف حتى الأطفال الذين يدرسون في رياض الأطفال يشعرون أيضاً ما يحدث في بلادهم. ويرتفع صوت التفجيرات المخيف في كل لحظة. والقصف المستمر لا يدمر المنازل والمباني فحسب، بل يدمر أحلام الشعب السوري وأمله للمستقبل المشرق:

"بوووم..."

هذه المرة جاء الانفجار أقرب وأقوى صوتاً حتى أن الباب انفتح على مصراعيه من شدة الضغط، تابعت وأنا اقترب من الباب لآغلقه:

"- ما هي مهمة الطبيب؟"¹⁶.

والنص التالي يعكس الخوف عند الأطفال: "ماذا نفعل لو جاءوا عندنا ليقتلونا؟"¹⁷ وتخرنا الاقتباسات المذكورة من الرواية بالصعوبات والمخاوف التي عاشها الشعب السوري. إنهم يسمعون كل يوم صوت الانفجارات وطلقات الرصاص وينتظرون الموت كل لحظة. وفي هذه الحالة المروعة تجرأ الأساتذة والأطفال على استمرار عملية الدرس والتدريس. وإن الأطفال لا يعرفون شيئاً عن ماذا يحدث في بلادهم، ولكنهم يشعرون بالخوف في كل مرة سمعوا انفجار القنبلة. وهنا يتبين أن هذه الرواية مليئة بالقصص عن الأطفال والطلاب السوريين الذين أشعلوا شرارة الثورة السورية عام 2011م، إذ كتبوا شعارات ضد الحكومة على جدران مدرستهم في درعا. وتحكي الرواية هذه الظروف من خلال شخصية طفلة اسمها أمل. إنها طفلة ذكية يمكنها أن تفهم أن والدتها والشعب السوري يواجهان المشكلة.

وما زال الشعب السوري يواجه المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية منذ عقود حتى قبل اندلاع الربيع العربي عام 2011م. وإنهم قدّموا الشكاوى إلى الحكومة ولكنها تجاهلها فتحول غضبهم تدريجياً إلى حروب على نطاق واسع ولا

¹⁶ المصدر نفسه، ص: 17.

¹⁷ المصدر نفسه، ص: 18.

تزال مستمرة إلى يومنا هذا. وعندما رفعوا أصواتهم أسكتتهم الحكومة وفرضت القيود على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك والتويتر واليوتيوب وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي¹⁸. ومع ذلك، كلما سنحت للنشطاء فرصة استخدامها انتهزوها للتعبير عن غضبهم ضد الحكومة كما يظهر من النص الآتي حيث تقول سهام:

"لن أنسى نشاطي الفيسبوك فكنت كلما سنحت لي الفرصة أنشر عبارات ساخطة
-يلعن روحك يا حافظ!
-الحرية جاية جاية
-الله محيي الجيش الحر"¹⁹.

ويمثل النص مشاعر الشعب السوري الذي يريد المشاركة في الثورة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ويخبر جميع الناس في العالم بما يعانيه الشعب السوري من قبل النظام. وشارك في الثورة كل سوري بطريقة ما، ولذلك حرم جميع المواطنين من المرافق الأساسية من الماء والغذاء والكهرباء والخدمات الصحية والهواتف والإنترنت وجميع وسائل الإعلام لعزلهم عن بقية العالم. وتصف الرواية تعذيب المواطنين السوريين الوحشي بأيدي نظام بشار الأسد:

"تذكرت قصص آلاف المعتقلين وأساليب تعذيبهم، مرت بذهني صورة عشرات من ابو ضبعو يكيلون لشبابنا ويلات وحشيتهم وساديتهم وحقدهم، فأجبتها بصوت شارد...

- "تحت التعذيب؟"

- "لا لقد مات منسيا! مات في الزنزانة المنفردة حشروه هو وستة آخرين في منفردة واحدة ونسوه تماما!"

نطقت كلماتها تلك وغرقت في نوبة جديدة من البكاء وهي تشهق من خلال نحيبها

¹⁸ الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية. الربيع العربي ثورات الخلاص من الاستبداد. بيروت: شرق الكتاب، 2013م، ص: 455-490.

¹⁹ نسريني، دينا. أمل. ص: 26.

ودموعها.

"مات... خلال ثلاثة أيام!"

الزنزانة المنفردة... "السجن القبر" هي غرفة أقاموها في معتقلاتهم، أصغر من مساحة القبر، لها باب معدني صغير يمتد على مساحة وجه كامل من أوجه مكعب الموت "ذاك حبس الدم"... يرمى فيه السجناء حتى تفيض دمائهم"²⁰.

وتصف الرواية وحشية النظام في موضع آخر: "يقتلون أهلنا هم يذبحونهم كالنجاج ويعلمون بأن حربهم على السوريين لدعم بشار"²¹.

وتشير العبارات المذكورة إلى وحشية نظام بشار الأسد حيث دفن الشباب أحياء في حفرة واحدة وماتوا بعد ثلاثة أيام. وتصف الرواية معاملة جيش الأسد مع المدنيين بأكثر وضوح في النص التالي:

"كانوا يضعوننا ستة أشخاص سوريا في منفردة واحدة... لا تسألني كيف! وفي مرة وضعوا أكثر من خمسة عشر شخصا مرة واحدة!!! أيضا لا تسألني كيف، لكننا استيقظنا صباحا يومها على خبر استشهاد ستة منهم، قال لي جلال زنزنتي يومها بسادية بأنا الفرع كله تلقي مكافئة في ذلك اليوم فرحا بذلك الإنجاز العظيم"²².

ما هي الثورة؟ ما هو الاستقلال؟ ولماذا حدثت الثورة في سوريا؟ هل نجحت الثورة في الواقع؟ كم ثمن دفعه السوريون لهذه الثورة؟ تناولت الرواية هذه الأسئلة كلها.

وتحكم عشيرة الأسد سوريا منذ أكثر من أربعة عقود. وتاريخ نظام الأسد مليء بالعنف والمذابح. وعائلة الأسد هي جزء من الأقلية العلوية في سوريا وحاولت قمع غالبية سكانها من المسلمين السنة. وعلى مدى الأربعين سنة الماضية، قامت قوات الأسد بالعديد من المذابح. ومنذ حكم حافظ الأسد، والد بشار، يتعرض السوريون لانتهاكات حقوق الإنسان. منحت الحكومة لقوات الأمن السلطة المطلقة لسحق الأصوات المناهضة للحكومة. فيعتقل الناس بدون مذكرة التوقيف ودون أي تفسير

²⁰ المصدر نفسه، ص: 154.

²¹ المصدر نفسه، ص: 131.

²² المصدر نفسه، ص: 154-155.

لسبب اعتقالهم وحبسهم لسنوات دون أية محاكمة أو إجراءات قانونية. فكل من لا يوافق على سياسة الحكومة يعاني أقسى أنواع العذاب. وسط الهجوم، فر المدنيون من منازلهم بحثاً عن مأوى آمن. وبدأت الهجرة الجماعية للمدنيين. وبعد سنوات من الصراع المسلح مع الحكومة جعل بعض الثوار يشعرون باليأس وقرروا اللجوء إلى الدول المجاورة مثل تركيا والأردن ولبنان واستمرار عملية الثورة من تلك البلاد:

"الثورة ليست.."

-أعلم يا سيدتي، أعلم الثورة قامت ضد نظام كان قد أرهقنا أكثر مما أرهقكم، لكن لكل ثورة مستلقين، وقد فاق عدد المستلقين على الثورة عدد الثوار، خصوصاً عندما اختار الثوار الهرب واللجوء إلى تركيا، الأردن وحتى لبنان، عندما قرروا أن يصبحوا نشطاء من الخارج²³.

وتحدثت الرواية عن الصراع بين الشيعة والسنة. وتوصف هذه الصراعات بأنها حرب أيديولوجية وهي أكثر تطرفاً وخطورة لأن هذه الحرب الأيديولوجية في الحقيقة حرب غير مرئية بالعين المجردة. ويشارك في هذه الحرب كل من يتبع تلك الأيديولوجية. ومع أن نظام بشار الأسد الاستبدادي يقوم بالقمع والتعذيب لجميع المواطنين السوريين تدعمه الجماعات الشيعية لمجرد أنه ينتمي إلى الشيعة. وتم تدمير البلد كله وأصبح الملايين من الناس بلا مأوى، وقتل الآلاف من الناس وأصيب الملايين بجروح لحماية مصلحة شخص واحد ولإبقائه في السلطة. وتدعم المجموعة الشيعية جرائمه ضد الإنسانية فقط للتعصب المذهبي:

"ألا تتعرضون للتمييز العنصري هناك؟"

رد بضحكة ساخرة كبيرة لم أفهمها يومها، اليوم فهمتها بعد سنين طوال، وأنا أرى الأحزاب العقائدية تحشد لحرب ضروس في بلدي، متنافسة في دعم نظام مجرم يحارب شعباً كاملاً²⁴.

²³ المصدر نفسه، ص: 111.

²⁴ المصدر نفسه، ص: 58.

وأدت هذه الصراعات الطائفية إلى حرب أهلية في سوريا. كما يشير إليها النص الآتي:

"البيضاء... القصير... حزب "اللات" .. رفع حظر الأسلحة.. الحشد في حلب وحماة، طبعاً فهما معقل الطائفة السنية في سوريا، حرب أهلية... حرب طائفية... المزيد من الشهداء..."²⁵.

فإن الحرب الطائفية والاختلافات الأيديولوجية والتعصب المذهبي جعلت الحرب الأهلية السورية أكثر تعقيداً. والسنة والشيعية يكرهون بعضهم البعض كما يتضح من العبارة الآتية:

"سيدي تشتري وردة؟"
... كلمة واحدة كانت تتأجج في داخلي لتصب أنهار من البغض والكراهية والحقده...
"شيعية"

وفيما هم سميمير بإخراج محفظته ليبتاع لي الوردة التي تافقت نفسي لها، أوقفه صوتي وأنا أرد بقسوة:

"لا أحب الورد، شكراً"

لمحت نظرتي معلقة على سلسلتها، أطرقت برأسها وابتعدت كما أقبلت بهدوء وفيما كانت تبتعد ماجت في رأسي صور وحديثه من القصير وبانياس حيث اندمجت الجسم بالسكاكين والرماد وبقايا حياة والألم بعنصرية وحشية وإجرام مرعب، كلهم ارتبطوا بكلمة واحدة فقط "الشيعية"²⁶.

وتحدثت الرواية عن الصراع بين جيش الأسد والجيش السوري الحر. فإن الجيش السوري الحر هو جيش سوري منشق متمرد يريد أن يتنحى الأسد عن السلطة. وانضم إليه المدنيون أيضاً. والجيش السوري الحر يحمي مصلحة الشعب:
"الخدمة العسكرية..."

²⁵ المصدر نفسه، ص: 56.

²⁶ المصدر نفسه، ص: 131-131.

يقتلون، يسرقون، يقصفون، يغتصبون! أعمى أنت! ألا ترى! دكوا مدنا بحالها بحجة مسلحين. وما سلح المسلحين إلا هم وما أدخلنا في معمة الحرب إلا جشعهم وطمعهم وغرورهم، بيدون قري كاملة لينظفوها ممن لا يتبع ملتهم! العالم كله أدرك الجنون والوحشية التي نتعرض لها منهم وما أنت إلا ذرة غبار في جدار يحتمون به، أنت وقود لحرب ضد شعبك ضد سوريا ضد حلب!"²⁷.

ويكره الشعب السوري الرئيسَ بشار الأسد ويريد إسقاط نظامه وتأسيس نظام ديمقراطي يحترم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان. وفي هذه الرواية يذكر اسم بشار الأسد مباشرة. وتظهر العبارة الآتية موقف السوريين من بشار الأسد: "أومات نحو بيت قائد الشرطة والصورة الكريهة التي تتصدر جداره صورة المجرم الأكبر في بلدي، من يسمونه رئيسا ليرتكبوا باسمه أفظع المجازر والأهوال، صورة بشار الأسد"²⁸.

ويعتبر الشعب السوري الجيش السوري والشرطة وجميع المسؤولين في الحكومة السورية عبئ الأسد. كما يتضح في النص التالي:

"لكنهم كانوا بإجرامهم قادرين على كسر جميع قوانين المنطق والمعقول!

- "نظام مجرم، حفنة من الكلاب!"

- "عبيد بشار! ماذا تتوقعين منهم!"²⁹.

وتم تدمير جزء كبير من التراث الثقافي السوري الغني. وتضررت جميع مواقع التراث العالمي لليونسكو الستة في البلاد بشكل كبير. وفي هذه الأوضاع المروعة ليس ما بقي لدى السوريين إلا الأمل. وتم تدمير كل شيء ما عدا أملهم في مستقبل أفضل. والشعب السوري يحلم بمستقبل مشرق، كما تصفه الرواية:

"ستحيا أمل... ستحيى! سيزهر الربيع من بين كفيها وسيطرح الياسمين عطره في شوارع مدينتنا الحزينه وستشرق شمس الغد رغما عنهم! ستشرق شمس الغد لتمسح

²⁷ المصدر نفسه، ص: 40-41.

²⁸ المصدر نفسه، ص: 42.

²⁹ المصدر نفسه، ص: 155.

عنة الحرب والدمار، سيحتضر الألم وتتهمر أمطار السلام...
 أمل هي الغد، وحشيتهم لا تطالها، وحشيتهم لا تطال إلا الماضي... والماضي فقط،
 أما الغد... فهو لها... لهم، الغد.. للأمل..
 ستبقى أمل... ستبقى... وستبقى سوريا عنواننا لها..
 في سوريا... لن يموت الأمل³⁰.

هذه رسالة لبشار الأسد من الشعب السوري أنه لن يموت أمله على الرغم من أنه تم تدمير البلد كله. والموضوع الرئيس لهذه الرواية هو أمل السوريين فإنهم يأملون أن يتحسن الوضع في سوريا، يريدون أن ينتهي هذا الصراع الذي طال أمده ويتمكنوا من عيش حياتهم بهدوء وسلام كباقي الدول العربية التي نجحت فيها ثورة الربيع العربي.

خاتمة البحث:

تبين مما ذكرنا أن رواية "أمل" تناولت قضايا ثورة الربيع العربي في سوريا ووصفت أحداثها بدقة. وتجلت في الرواية وحشية نظام الأسد والصراعات الداخلية والحرب الأهلية والأزمة الإنسانية في سوريا، وارتكب نظام الأسد جرائم حرب، وقتل الملايين من الناس منذ بداية الربيع العربي، ونزح أكثر من نصف سكان سوريا من ديارهم. وحكت الروائية دينا نسريني تجاربها الشخصية في روايتها. وتروي الرواية أحداث الربيع العربي بالتفاصيل والدقة وتحكي قصص عامة الناس وتنقل أصوات المهمشين غير المسموعة. وتعتبر رواية "أمل" رواية شبه تاريخية حيث إنها تحكي الأحوال الاجتماعية والسياسية والأزمة الإنسانية لفترة معينة.

المصادر والمراجع:

- علام، رابحة سيف. الشباب وجماعات العنف (أوراق مؤتمر بيروت 22-23 ديسمبر 2015م). القاهرة: روافد للنشر والتوزيع 2015م.
- الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية. الربيع العربي ثورات الخلاص من الاستبداد.

³⁰ المصدر نفسه، ص: 174.

- بيروت: شرق الكتاب، 2013م،
- رانسبير، جاك. **سياسة الأدب**، ترجمة: سهيل أبو فخر. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م.
 - نسريني، دينا. **أمل**، ط1. مصر: دار للنشر والتوزيع، 2014م.
- المواقع الإلكترونية:**
- هيومن رايتس ووتش- <https://www.hrw.org>
 - إذاعة صوت ألمانيا- (DW) <https://www.dw.com>
 - الجزيرة- <https://www.aljazeera.net>
 - أخبار الأمم المتحدة- <https://news.un.org/ar>
 - المرصد السوري لحقوق الإنسان (SOHR)، <https://www.syriahr.com>
 - The New York times, <https://www.nytimes.com>
- المراجع الأجنبية:**
- Lynch, Marc. **The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East**, First edition. New York: Public Affairs, 2012.
 - "Observations on the Air War in Syria", **Air & Space Power Journal**, Air University, Maxwell AFB, AL, USA, March-April 2013.

مجلة "أچھاساھی" صديق طيب لأبناء المسلمين

د. محمد محبوب عالم*

Email: mahboobjnu@gmail.com

ملخص البحث:

تعد صحافة الأطفال أداة مهمة تزود الأطفال بمعلومات ومعارف ومواد علمية وثقافية وتقوم بدور فعال في تربيتهم عن طريق طرح المضامين والقصص والقصائد المتنوعة بأسلوب يجذب انتباههم إلى معلومات جديدة. لم تشهد صحافة الأطفال باللغة الأردية في الهند عددًا كبيرًا من المجلات من حيث المحتوى والطباعة مثلما ينبغي الاعتناء بهذا الجانب المهم، وعلى الرغم من ذلك التفت بعض المهتمين بتربية الأطفال وتنمية ذوقهم الأدبي إلى إصدار مجلات مخصصة للأطفال صدرت في مختلف مدن الهند في فترة ما قبل استقلال البلاد وما بعدها، ومن تلك المجلات مجلة "أچھاساھی". وتسلط هذه الدراسة الضوء على المضامين والمحتويات التي تشتمل عليها المجلة، معتمدة على المنهج الوصفي.

كلمات مفتاحية: أچھاساھی، التربية الإسلامية، صحافة الطفل، المضامين التربوية.

Abstract:

Children's journalism is an important tool that provides children with information, knowledge, scientific and cultural materials and plays an effective role in their upbringing by presenting various contents, stories and poems in a way that attracts their attention to new information. Children's journalism in Urdu language in India did not witness a large number of magazines in terms of content and printing, as this important aspect should be focused on. Despite this, some of those interested in upbringing children and developing their literary taste took interest to issue magazines for children, which were published in various cities in India, and one of those magazines is "Achha Sathi".

This study sheds light on the contents of the magazine, relying on the descriptive approach.

* باحث ما بعد الدكتوراه، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند.

إطالة عامة على المجلة:

تأسست مجلة "اچھا سائھی" شهرية الصدور في شهر نوفمبر عام 1993م¹ في مدينة جنور بولاية أترابرايش، تحت إدارة سراج الدين الندوي. واتخذت المجلة هذه العبارة "بچوں کے اخلاق وادب کا بہترین معمار" شعاراً لها²، ولقد حدث تغيير بسيط في كلمات شعار المجلة فيما بعد وهو حالياً "بچوں اور بڑوں کے اخلاق وادب کا بہترین معمار"³. كانت المجلة تصدر في البداية متكونة من 64 صفحة بسعر خمس روپيات، لكن فيما بعد انخفض عدد صفحاتها بقليل للظروف المالية حيث يقول مدير المجلة في العدد الثاني عشر: "حصلنا على كلمات التشجيع من جانب القراء. توسع نطاق نشر المجلة أيضاً، وفي غضون سنة بدأ يستفيد حوالي 20 ألف قارئ من مجلة "اچھا سائھی"، ولكن الغلاء المتزايد أجبرنا على التفكير في زيادة طفيفة من سعر المجلة، ولكننا تفكرنا أن معظم قرائنا أطفال وطلاب فليس لديهم مصدر دخل خاص بهم ... لذا تقرر خفض عدد صفحات المجلة بقليل بدلاً من زيادة سعرها حتى لا يكون هناك عبء على جيوب القراء ... وسنحاول سد النقص في الصفحات بأفضل المواد وتنوع المواضيع إن شاء الله"⁴.

واليا تشتمل المجلة على 40 صفحة ملونة صقيلة فاخرة، وأحياناً أقل من 40 صفحة أو أكثر منها، وسعر النسخة 20 روبية هندية. وإنما رسالة غاية المجلة هي غرس القيم الإسلامية في الطفل وخدمة الطفل بعيداً عن العالم المادي، ونشر الوعي الثقافي والمعرفي، وتحفيز عادة القراءة والمطالعة المفيدة بين أكبر قطاع من البنين والبنات، لذا توزع المجلة بثمان رخيص في وقت الغلاء المتزايد.

ولعل أهم ما يميز هذه المجلة عن مثيلاتها من المجلات باللغة الأردية الموجهة إلى الأطفال أنها تعد أول مجلة على مستوى الهند تصدر في قرية نائية تسمى "سركره"

¹ ينظر: مجلة "اچھا سائھی"، العدد الأول، ج1، 1993م.

² ينظر: المرجع نفسه، ع12، ج1، أكتوبر 1994م.

³ ينظر: المرجع نفسه، العدد الثالث، ج22، يناير 2015م. لم نعلم بالضبط متى حدث هذا التغيير.

⁴ المرجع نفسه، ع12، ج1، أكتوبر 1994م، ص:5.

بمقاطعة بجنور، الأمر الذي يدل على اهتمام مدير المجلة بصحافة الأطفال وأدبهم بهدف تربية الأطفال وتعليمهم الصفات الحميدة وتفتيرهم من الصفات الذميمة. ويسهم نخبة من كتاب القصة والأدباء في تحرير موادها، بعضهم بانتظام، وكثير منهم بشكل متقطع، ومنهم: سراج الدين الندوي، ومحمد يسين ذكي، وفخر الدين فخر، وأجمل خان نجمي، والدكتورة بانو سرتاج، ومحمد ذو الفقار الندوي، ومحمد دانش، والدكتور مناظر عاشق، وعبد الودود أنصاري، ومرضى ساحل تسليمي، وطه نسيم، وعادل أسير الدهلوي، والدكتور أشفاق أحمد، ومهدي برتاب كري، وحبیب ريتهبوري وغيرهم.

والمدير المسؤول هو مؤسس المجلة سراج الدين الندوي، وأما منصب رئيس التحرير فيشغله محمد يسين ذكي. وينضم إلى الهيئة الاستشارية محمد ذو الفقار الندوي ومحمد طلحة سراج ووسيم أحمد الفلاحى وذلك حسب ما ورد في عدد سبتمبر 2019م.

مضامين المجلة:

تتشعب أبواب المجلة لتضم القصيدة والقصة والموضوعات الثقافية والأدبية والعلمية والتعليمية والوطنية والرياضية والترفيهية وغيرها. وتعتني المجلة بوجود أبواب ثابتة بها. وفي الصفحات الآتية سنعالج تلك الأبواب الثابتة.

من الأبواب الثابتة المهمة "قرآنى سبق" حيث لا يخلو أي عدد من هذا الباب. يقوم بإعداده سراج الدين الندوي، والذي يهدف من خلاله إلى تربية الأطفال على حب القرآن الكريم وتذوق معانيه منذ الصغر، لكي يتخلقوا بأخلاقه ويتمسكوا بمبادئه ويتشبثوا بأحكامه ويطبّقوا معانيه طوال حياتهم، لأن القرآن الكريم هو الدستور الإلهي والرسالة الخالدة لضمان هدايتهم واستقامتهم في كل مصر وحقل وزمان. فإذا أحبوا القرآن الكريم وتمسكوا بما فيه من أحكام ومبادئ وأصول فلن يضلوا أبداً في حياتهم، وسوف يجعلون القرآن دستوراً ومنهجاً لهم بشرط أن يترسخ حبه في قلوبهم منذ صغرهم، "فإذا ارتبط قلب الطفل بالقرآن وفتح عينيه على آياته فإنه لن يعرف مبدأً يعتقد أنه سوى مبادئ القرآن، ولن يعرف تشريعاً يستقي منه

سوى تشريع القرآن، ولن يعرف بلسماً لروحه وشفاءً لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن... وعندئذ يصل الوالدان إلى غايتهما المرجوة في تكوين الطفل روحياً، وإعداده إيمانياً وحُقياً⁵.

في هذا الباب، يتم اختيار جزء من الآية أو آية من آيات القرآن الحكيم فيتم تقديم ترجمتها ثم تفسيرها بأسلوب بسيط وجذاب للأطفال والكبار، نذكر هنا بعض نماذج: "وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" (النحل:18)⁶، و"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران:110)⁷، و"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (الحجرات:10).

وإن اختيار الآية أو جزء من الآية يدل على فهم كاتب هذا الباب نفسية الأطفال واعتائهم بإصلاح أخلاقهم وتهذيب سلوكياتهم. فتعود هذه الطريقة للأطفال على تلاوة القرآن الكريم وتحثهم على حفظه وتساعدهم على فهمه ومعانيه وتطبيقه في حياتهم اليومية، وتقدم لهم مجموعة من المفاهيم والمعلومات التي تمكنهم من تنقية الأفكار الهدامة، والتمييز بين الحسن والسيئ. وهذا هو الهدف المنشود من هذا الباب الثابت منذ انطلاق المجلة حتى يومنا هذا.

وجدنا في عدد في ضمن هذا الباب موضوعاً فريداً وشائقاً ومفيداً للأطفال وهو "قرآن اور سائنس"⁸. كتب هذا الموضوع عبد الودود الأنصاري الذي لا يختار آية فيترجمها ويفسرها فحسب، بل يبيِّن فيه العلاقة بين القرآن الكريم والعلوم والتكنولوجيا، حيث توجد آيات عديدة في القرآن تدعو الإنسان إلى التفكير في آيات الله الكونية للتعرف عليها وتسخيرها للمنافع الدنيوية، ويوضح فيه أن مصدر العلوم والتكنولوجيا هو القرآن الكريم، ويقول: إن الله سبحانه وتعالى كان منح

⁵ الجهني، حنان بنت عطية الطوري. الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، ج1. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001م، ص:32.

⁶ مجلة "إجماعنا"، ع11-12، ج25، سبتمبر-أكتوبر 2018م، ص:5.

⁷ المرجع نفسه، العدد الخامس، ج22، مارس 2015م، ص:6-7.

⁸ المرجع نفسه، العدد الخامس، ج23، أبريل 2016م، ص:6-7.

بعض الأنبياء علم التكنولوجيا، ويستشهد بأن النبي نوح عليه السلام قد صنع سفينةً. فينبغي الحصول على تعليم العلوم أيضاً من أجل القيام باكتشافات وابتكارات جديدة تجلب منافع للإنسان والإنسانية.

وباب "درس حديث" أيضاً من الأبواب الثابتة في هذه المجلة إلا أن بعض أعدادها يخلو من هذا الباب الذي تُذكر فيه الأحاديث النبوية قصيرة المتن وسهلة الحفظ التي لها صلة بالأخلاق والمجتمع، لأن الأحاديث النبوية لها أثر كبير في تقوية الإيمان وتركية النفس والسلوك للأطفال. وتذكر الأحاديث النبوية في هذا الباب إلى جانب ترجمتها بلغة سهلة وشرحها بأسلوب مبسط. كما يتم الإشارة إلى أهم النكات والدروس التي تحملها في طياتها. ومن الأحاديث التي وردت في هذا الباب -على سبيل المثال لا الحصر - : "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" (متفق عليه)⁹. و"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (رواه الترمذي)¹⁰.

فهذا الباب المتكون من الأحاديث النبوية القصيرة يرشد الأطفال خاصة والكبار عامة إلى التحلي بأخلاق حسنة.

كما يجد القراء المضامين الدينية في معظم أعدادها، والتي من شأنها التعريف على قدرة الله وصفاته، ومنها مضمون "رازق العباد"¹¹ الذي يحث على أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ أي شريك معه، وأن لا نتوكل إلا على الله، وأن نكثر من الدعاء والابتهال إليه فإن الله خلق الخلق وتكفل برزق الإنسان وكل ما في هذا الكون، فقد قال الله تعالى في القرآن الحكيم "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (هود:6)، أو الاهتمام

⁹ المرجع نفسه، العدد الثالث، ج23، يناير 2016م، ص:9.

¹⁰ المرجع نفسه، العدد الخامس، ج22، مارس 2015م، ص:9.

¹¹ المرجع نفسه، العدد الثاني، ج25، ديسمبر 2017م، ص:21-22.

بمختلف جوانب حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أسوة للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة، مثل مضمون "حضور صلى الله عليه وسلم سبب كى لى نمونه"¹².

"بچوں كى تحریریں" هذا أيضاً باب ثابت فى هذه المجلة. يرسل قراء المجلة الصغار كتاباتهم الإبداعية والمعلومات العامة لنشرها فى ضمن هذا الباب. ويحظى هذا الباب بقبول حسن بين قراء المجلة، إذ يوفر منصةً للأطفال من أجل تنمية مهارات الكتابة، ويحفزهم على كتابة الأشياء الكثيرة، وبالتالي يساعدهم على الإكثار من القراءة، لكي يتسع أفق التفكير الإبداعي للأطفال، وتتطور موهبة الكتابة حول موضوعات شتى.

وجدنا هذا الباب مفيداً للغاية، ويبدو أن المواد المنشورة فى هذا الباب قد كتبها الكبار للصغار، بل الواقع أن الأطفال أنفسهم يكتبونها للصغار. ويشتمل الباب على أنواع من الموضوعات، فيحتوي على الموضوع الأدبي حيث يكتب الأطفال القصة القصيرة¹³، والقصيدة¹⁴، والموضوع الديني¹⁵، إلى جانب المعلومات الدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية والرياضية، وأقوال من ذهب والتسالي ...

تنشر المجلة فى كل عدد منها قصة بدون عنوانها باسم "بلا عنوان كهانى"، وتتطرق القصص إلى موضوعات شائقة. ومن خلال هذا الباب يتم تنمية موهبة التفكير الإبداعي للأطفال، وتشجيعهم على قراءة القصص بشوق ورغبة لفهمها بصورة كاملة. ويأتي هذا الباب ضمن المسابقة لأن من يرسل عنواناً ملائماً لتلك القصة يحصل على كتب بقيمة 50 روبية هندية كجائزة. والجدير بالذكر أن عديداً من القراء يرسلون عناوين مختلفة حسب ذوقهم وفهمهم لكن يستحق الجائزة عنوان

¹² المرجع نفسه، عدد يناير- فبراير 2018م، ص: 15-16.

¹³ المرجع نفسه، ع 8-10، ج 26، يونيو-أغسطس 2019م، ص: 11-13.

¹⁴ المرجع نفسه، ع 11، ج 22، سبتمبر 2015م، ص: 15، وأيضاً: العدد الثاني، ج 25، ديسمبر 2017م، ص: 14.

¹⁵ المرجع نفسه، العدد العاشر، ج 23، أغسطس 2016م، ص: 17-18.

واحد يتناسب مع القصة أكثر. وعندما يتم الإعلان عن اسم الفائز تنشر بعض عناوين مقبولة أخرى أيضاً.

ومسابقة العدد بعنوان "ماناه مقابله" (المسابقة الشهرية) أيضاً باب ثابت للمجلة. ويتضمن كل عدد خمسة أسئلة للقراء، وتمنح الجائزة بقيمة 50 روبية في صورة كتب لثلاثة فائزين يتم اختيارهم عن طريق القرعة. فتشتمل المسابقة الشهرية على أسئلة دينية وسياسية وعلمية ورياضية بهدف تزويد الأطفال بالمعلومات العامة. وعلى سبيل المثال: من اخترع اللبنة؟ من هو الخليفة الثالث الإسلامي؟¹⁶، كم ولاية في الهند؟ لأي شاعر ديوان بانك درا؟¹⁷، ما اسم الملك السعودي الجديد؟ ما الاسم الكامل لأبي الكلام آزاد؟ في العدد 26 من يناير لهذه السنة شارك رئيس أي دولة؟¹⁸.

وهناك نوع آخر من المسابقة بعنوان "عمده شعر" (الشعر الجيد) وهذا الباب الثابت يشتمل على صفحة تنشر فيها الأبيات التي يرسلها قراء المجلة بعد أن ينتخبوها من أبيات الشعراء حسب ذوقهم، ويحتل أروع الشعر المكان الأول في الصفحة، وتمنح الجائزة بقيمة 50 روبية في صورة كتب. فهناك ثلاثة أنواع من المسابقات في هذه المجلة.

وأما فيما يتعلق بمواد الترفيه والتسلية فهناك باب بعنوان "هنسو هنسأؤ"، وتوجد أيضاً في بعض أعدادها الألعاب المنوعة من التلوين والطرق الضائعة والكلمات الضائعة... والتي لها أهمية كبيرة في مجلات الأطفال. ولا توجد مساحة لنشر رسومات يرسمها الأطفال.

وإن باب "الفاظ ومعاني" هو باب متميز لهذه المجلة إذ لا يثير اهتمام الأطفال باللغة الأردنية فحسب، بل ينمي القاموس اللغوي لهم، ويفضي إلى تحسين لغتهم الأردنية. وتكون الكلمات الواردة في هذا الباب مختارة من نفس العدد، الأمر الذي يسهل للقراء الصغار فهم الكلمات الصعبة من جانب، وينمي المخزون اللغوي من جانب

¹⁶ المرجع نفسه، العدد الخامس، ج 23، أبريل 2016م، ص: 15.

¹⁷ المرجع نفسه، العدد السابع، ج 23، مايو 2016م، ص: 22.

¹⁸ المرجع نفسه، العدد السادس، ج 22، أبريل 2015م، ص: 26.

آخر. ویبدو أن هذا الباب تم إضافته في عام 2017م، إذ لم نعر على هذا الباب في أعداد 2015 و2016م. وتم إضافة الباب تلبية لطلب قراء المجلة حيث وجدنا رسالة في ضمن باب "آيا خط" تقول: "أحصل على مجلة "اچھا ساتھی" بانتظام. وجميع الأطفال في عائلتي معجبون بالمجلة. أحياناً نجد فيها كلمات صعبة، فسيكون من الأحسن إذا كتبتم معاني الكلمات الصعبة"¹⁹. لاحظنا زاوية في الصفحة الأخيرة من عدد مارس 2017م وفيها بعض الكلمات الصعبة ومعانيها، إلا أن اسم هذا الباب غير مذكور في فهرس المجلة، فنجد باب "الفاظ ومعاني" بانتظام في حدود صفحة كاملة اعتباراً من العديدين السادس والسابع لعام 2017م²⁰.

وتحرص هذه المجلة أيضاً منذ انطلاقتها على تخصيص باب يُنشر فيه انطباعات قراء المجلة وانفعالاتهم ومشاعرهم تجاه المجلة من حيث المحتوى والمضمون والشكل. ومما لا شك فيه أن رسائل القراء لها وضع خاص وتأثير كبير في سبيل تحقيق أي مجلة أهدافها، إذ تزود الرسائل طاقم المجلة بردود فعل من خلال الرسائل وتجعله يطلع على وضع المجلة كمّاً وكيفاً.

هذا، وتقوم الرسائل بتحفيز طاقم المجلة واستنهاض هممه، الأمر الذي يؤدي إلى كون المجلة ترتقي وتزدهر يوماً فيوماً. وعندما يرى القارئ الصغير رسالته منشورة مع اسمه في المجلة يشعر بسعادة بالغة ويطير فرحاً وحبوراً، وهذا ينمي القدرات الإبداعية للطفل ويساعده على التفكير الإبداعي، على سبيل المثال: "ويسے تو "اچھا ساتھی" دن بدن نکھر تاجار ہا رہا ہے۔ اس میں شامل سبھی تحریریں اصلاحی ہوتی ہیں جنہیں پڑھ کر ہماری معلومات میں اضافہ ہوتا ہے اور کچھ کر گزرنے کا حوصلہ ملتا ہے۔ ہنسو ہنساؤ کالم مجھے بہت پسند آتا ہے۔ جیسے ہمارے گھر ڈاکیہ لے کر آتا ہے سب سے پہلے میں وہی کالم پڑھتا ہوں پھر باقی چیزیں پڑھتا ہوں"²¹.

¹⁹ المرجع نفسه، العدد السابع، ج23، مايو 2016م، ص:38.

²⁰ المرجع نفسه، ع6-7، ج24، أبريل-مايو 2017م، ص:37.

²¹ المرجع نفسه، ع11-12، ج25، سبتمبر-أكتوبر 2018م، ص:38.

تحتل القصائد مساحة واسعة في هذه المجلة وخاصة القصائد التي تتحدث عن المواسم ("برسات كى بهارين" 22 "سردى" 23 "بارش" 24 "گرى" 25) والفواكه والطيور. وهذا ربما تسهم مثل هذه القصائد في تسلية الصغار وتثقيفهم.

ومن ناحية أخرى، تعتمد المجلة على نشر الموضوعات المتعلقة بالأحداث والمناسبات الإنسانية أو الوطنية أو الدينية، حينما يتزامن صدور العدد مع أي منها، مثل: المناسبات الوطنية والتاريخية، وعيد الاستقلال (قصيدة "يوم آزادى" 26)، وشهر رمضان (قصيدة "رمضان" 27، ومضمون "روزه اور رمضان" 28)، وعيد الأضحى، وعيد الفطر، وبداية العام الجديد (قصيدة "نئے سال کا پیغام" 29) وغيرها من المناسبات والأحداث، وذلك من خلال القصص والقصائد والمواد المنوعة؛ لتكون من ضمن دائرة اهتمامات الأطفال، وتظل راسخة في ذاكرتهم.

وتحتل القصص المرتبة الأولى في المجلة، وتتنوع موضوعاتها لتربية الأطفال وصقل شخصيتهم، وإبعادهم عن الانحراف والفساد والمذات والأهواء... ليصبحوا مؤهلين لتحمل المسؤولية والقيام بالمهام والواجبات في المستقبل. فتغلب القصص الدينية والاجتماعية والأخلاقية في المجلة إذ يحث دين الإسلام على التكافل والتعاطف والتعاقد والتعاون والصدق والأمانة... وغيرها من المفاهيم الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية التي يجب على الأطفال تعلمها وتطبيقها في حياتهم اليومية.

وأما الجانب السياسي فلا يتمتع باهتمام ملحوظ في المجلة. نجد موادا قليلة في بعض أعدادها تتحدث عن حب الوطن والولاء له والدفاع عنه، وعن الشخصيات السياسية

²² المرجع نفسه، العدد العاشر، ج23، أغسطس 2016م، ص:19.

²³ المرجع نفسه، العدد الثاني، ج25، ديسمبر 2017م، ص:17.

²⁴ المرجع نفسه، ع8-10، ج26، يوليو-أغسطس 2019م، ص:19.

²⁵ المرجع نفسه، ع8-9، ج23، يونيو-يوليو 2016م، ص:20.

²⁶ المرجع نفسه، العدد العاشر، ج23، أغسطس 2016م، ص:14.

²⁷ المرجع نفسه، ع7-8، ج25، مايو-يونيو 2018م، ص:34.

²⁸ المرجع نفسه، ع7-8، ج25، مايو-يونيو 2018م، ص:41.

²⁹ المرجع نفسه، العدد الثالث، ج23، يناير 2016م، ص:30.

والأحداث السياسية البارزة. وبمناسبة عيد الاستقلال الذي تحتفي به البلاد كل عام في الخامس عشر من أغسطس حيث تعقد برامج ثقافية متنوعة في جميع أنحاء البلاد، نشرت قصيدة بعنوان "يوم آزادی" يتم من خلالها تذكير هذا اليوم السعيد بالنسبة إلى الهند ومواطنيها، وتعزيز التمسك بالوطن، وغرس حب الوطن، ومن أبياتها:

آزادیہ زمیں ہے آزادیہ گن ہے
آزاد ہیں ہوائیں آزادیہ چمن ہے
دا من میں بھر کے اپنے خوشیاں ہزار لایا
تاریخ ہند میں یہ دن یادگار آیا
آزاد ہم ہوئے تھے تفریق من و تو سے
آزادیاں ملیں، جب سینچی زمیں لہو سے
اڑے ہوئے چمن میں بن کر بہار آیا
تاریخ ہند میں یہ دن یادگار آیا³⁰

لا تعتمد المجلة كثيراً على المضامين الرياضية والمعلومات عن مختلف الألعاب ولاعبها البارزين. تناقش بعض أعدادها مثل هذه المضامين مثل: "دورنڈ کپ کی کہانی"³¹، وهذا المضمون يقدم معلومات عن "كأس دورانڈ لكرة القدم" التي تأسست عام 1888م في عهد الاستعمار البريطاني في الهند، وكذلك "إقبال عبد اللہ کرکٹ کی دنیا کا جگمگاتا ستارہ"³²، وهذا المضمون يسلط الضوء الكافي على المسيرة الرياضية للاعب الكريكت الشاب البارز إقبال عبد اللہ الذي لمع اسمه في سماء لعبة الكريكت حتى حقق إنجازات باهرة في مدة قصيرة.

³⁰ المرجع نفسه، العدد العاشر، ج23، أغسطس 2016م، ص:14.

³¹ المرجع نفسه، عدد أبريل 2016م، ص:25-26.

³² المرجع نفسه، عدد يناير- فبراير 2018م، ص:17-19.

لم تخصص المجلة باباً ثابتاً للموضوعات العلمية، لكن يستمتع قراؤها في عديد من أعدادها بمواد تطرح الجوانب العلمية سواء كانت بشكل مقالة أو قصيدة أو قصة. فنظراً إلى أهمية العلوم والتكنولوجيا وميول الصغار إليها في العصر الراهن، تتناول بعض أعدادها الاختراعات الحديثة ومخترعيها مثل: "كيس بن اول ريل گاڑی" ³³ و "برقيات كا موجد ما ئیکل فیراڑے" ³⁴. وتجدر الإشارة إلى أن اللغة التي تُستخدم لشرح هذه المضامين لغة سهلة وبسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض.

كما نلاحظ أن المجلة تعتمد في بعض أعدادها على نشر مواد تشجّع الصغار على الحفاظ بالصحة والوقاية من الأمراض، وتعليمهم السلوكيات الصحية ليدركوا أنواع الأطعمة الصحية التي يجب تناولها من الفواكه الموسمية والوجبات المفيدة، ويبتعدوا عن أنواع الطعام الضار وخاصة الوجبات السريعة. ومنها: "تربوز مفید پھل" ³⁵ و "صحت کی حفاظت" ³⁶، ويشجع هذا المضمون على ممارسة التمارين الرياضية من أجل المحافظة على الصحة، والوقاية من الأمراض، وكما يشير إلى طرق تساعد على البقاء في صحة جيدة عبر مراحل العمر المختلفة. ولقد توصلت الدراسات إلى أن ممارسة الرياضة كجزء من الحياة اليومية تجلب الكثير من الفوائد إلى صحة الأطفال ونموهم الجسدي والعقلي.

نجد في مجلتي "انگ" و "پیام تعلیم" قصائد متعددة عن الفواكه والطيور، وهذا مفقود في هذه المجلة. بما أن الأطفال يجنحون إلى تناول وجبات سريعة متنوعة مما يؤدي إلى إصابتهم بأنواع مختلفة من الأمراض، حتى يصاب الأطفال بأمراض كان يصاب بها الكبار قبل وقت مثل أمراض القلب والسكر، فإن المجلة عليها الاعتماد بشكل أوسع على نشر مواد تطلع الأطفال بمختلف الأمراض وأسبابها وكيفية التقليل من

³³ المرجع نفسه، عدد أغسطس 2016م، ص: 20-23.

³⁴ المرجع نفسه، عدد أكتوبر 2016م، ص: 28.

³⁵ المرجع نفسه، عدد يوليو-أغسطس 2019م، ص: 34-35.

³⁶ المرجع نفسه، عدد مارس 2018م، ص: 31-32.

مخاطر الإصابة بها. نجد مثل هذه الموضوعات في معظم المجالات العربية بوفرة بالمقارنة مع المجالات الأردنية. ويتبادر سؤال إلى أذهاننا لماذا تتخلف المجالات الأردنية عن مثيلاتها العربية في نشر هذا النوع من المواد المفيدة، فالجواب هو أن السبب الرئيس وراء ذلك هو عدم وجود متخصصين يعدون ويكتبون مثل هذه المضامين باللغة الأردنية. ولكن المجالات الصادرة عن القطاعات الحكومية يمكنها الاعتناء بهذا الجانب المهم عن طريق تعيين أشخاص يقومون بترجمة مثل هذه المواد من اللغات العالمية إلى الأردنية إذ ما لديها مشكلة مالية.

لا يخلو أي عدد من أعدادها من غلاف ملون ومصوّر، وإن غلاف المجلة هو أول ما يقع عليه بصر الطفل وهذا يشد انتباه القارئ إلى القراءة ويستثير اهتمامه للمطالعة. كما نجد عليه رسمةً تعبرُ إما عن بعض المناسبات الوطنية³⁷ أو الدينية³⁸.

وأما غلاف المجلة فهو ملون وفاخر يحوي المعلومات المهمة عن المجلة، فعادة ما يحمل اسمَ المجلة ورقم العدد وتاريخه، وسنة الإصدار، وسعر المجلة، ويعرض بعضَ الموضوعات التي تقدّمها المجلة بالكتابة والصورة³⁹ وأحياناً بالصورة⁴⁰ فقط. ويلاحظ في عديد من أعدادها أن الصورة على غلافها لا تمثل المواد المقدمة فيها.

ويشتمل الوجه الثاني من الغلاف الحامل بيانات المجلة باللغة الإنجليزية على الإعلان عن الكتب التي ألفها مدير المجلة سراج الدين الندوي وذلك في جميع أعداد المجلة. وأما الإعلان في الداخل فتحتوي صفحة لجميع الأعداد تقريباً على الإعلان عن الكتب المدرسية والدينية والتعليمية والتربوية، والقصاص المختارة الشائقة للأطفال... المنشورة من المكتبة الإسلامية المركزية بنيو دلهي التابعة للجماعة الإسلامية الهندية. تناسب مثل هذه الإعلانات مجلات الأطفال، وتشبع حاجات الأطفال وترتبط بميولهم، لأن إعلانات الكتب في المجلة هي عمل إعلامي ورسالة وليست إعلاناً.

³⁷ ينظر: المرجع نفسه، العدد العاشر، ج22، أغسطس 2015م.

³⁸ ينظر: المرجع نفسه، ع8-9، ج23، يونيو-يوليو 2016م.

³⁹ المرجع نفسه، العدد الثالث، ج23، يناير 2016م.

⁴⁰ المرجع نفسه، العدد السابع، ج23، مايو 2016م.

لا تستخدم المجلة الصور بوفرة بل صورة واحدة لقصة. كما تخلو المجلة من استخدام الرسومات مع موادها، الأمر الذي يشير إلى أنه لا يوجد فريق من الرسامين للمجلة، على الرغم من أن مجلات الأطفال يكون لها فريق خاص من الرسامين المحترفين.

المصادر والمراجع:

- الجهني، حنان بنت عطية الطوري. الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، ج1. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001م.
- أعداد مختلفة لمجلة "أجهاساتشي".

ملاحم الأدب الإسلامي في ديوان "أشجار الشارع أخواتي" لأحمد فضل شبلول: دراسة تحليلية

د. سلمان عارفي*

Email: salmanarfi007@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ملاحم الأدب الإسلامي في ديوان "أشجار الشارع أخواتي"، وهي مجموعة شعرية ألّفها الشاعر أحمد فضل شبلول للأطفال. يتميز هذا الديوان ببنائه الفني الأنيق حيث ربط الشاعر كل نشيده بعنوان واحد، وجمع ضمن ذلك عددًا من الحقائق والمعلومات الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسيرة النبوية ومن سير الأنبياء والتاريخ الإسلامي وأحداثه، فإن تحدث الشاعر -مثلًا- عن الحجر فما اكتفى ببيان خواصه وفوائده، بل مضى مستطرّدًا في كلامه عن الحجر الأسود، والحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه، والأحجار التي قذفتها الأبايل على جيش أبرهة، والأحجار التي تستخدم لرمي الجمرات أثناء الحج، وكذلك عن الأحجار التي يستخدمها أطفال فلسطين كسلاح ضد الصهاينة الفاصبين. هكذا ربط الشاعر الأطفال بعقائد الإسلام وقيمه وتاريخه، وحاول تربيتهم دينيًا وتعليميًا واجتماعيًا وفق المنظور الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الأدب الإسلامي، أدب الأطفال، أشجار الشارع أخواتي، شبلول.

Abstract:

This article aims to highlight the features of Islamic literature in the poetic collection for children "Ashjar al Share Akhawati" authored by Ahmad Fadhl Shiblool. The beauty of this collection lies in covering various Islamic facts and information derived from the Holy Quran, the biography of the Prophet Mohammad (SAW), the Islamic history and its events, from within one topic, with an interesting artistic way. Thus, this poetic collection beautifully connects the children to the Islamic faith, its principles and history, and imparts a good amount of religious, social, and educational values to them in Islamic perspective.

* باحث هندي.

مقدمة:

أدب الأطفال الإسلامي هو وسيلة تعبيرية مهمة يتعرف الطفل من خلالها على أساسيات الحضارة والأخلاق، وعلى قيم إنسانية صحيحة، ويفهم الكون والإنسان والحياة بكل ما فيها من خبرات وتجارب، وقضايا ومشاكل، واتجاهات ومشاعر وفق التصور الإسلامي الصحيح، فهذا الأدب يعطيه رؤية إسلامية قويمه يعيش في ظلها ويتفاعل معها، ويستترشد بها في جميع مواقف الحياة، وفي كل ما يواجهه من أحوال وظروف، فهو أدب يلتزم بعقيدة الإسلام وقيمه ومبادئه وشبع نفس الأطفال بما هو خير ونافع أو إيجابي لدى الفطرة الإنسانية السليمة التي تحث عليها الشريعة الإسلامية، ومن ثم يدعو هذا الأدب جميع الأطفال -بصرف النظر عن لونه وعرقه وديانته- إلى أسمى معاني الخير والحق والفضيلة، ويبين لهم مفهوم الحب والجمال الحقيقي المكنون في مظاهر الكون والحياة، كما يصور الشر والرذيلة بجميع صورها وأشكالها من دون كتمان أو مجاملة، في قالب فني مؤثر يتميز بالخصائص والسمات الفنية المشتركة لدى الآداب كلها، وإن المجموعة الشعرية "أشجار الشارع أخواتي" لأحمد فضل شبلول تتميز بهذه الخصائص والميزات الإسلامية، والتي سوف نحاول رصدها من خلال دراسة تحليلية للمجموعة.

نبذة عن أحمد فضل شبلول:

هو شاعر وروائي وناقد وصحفي وكاتب أدب الأطفال، ويعد من أشهر الأدباء الإسلاميين في العصر الحديث. إنه ولد في الإسكندرية بمصر عام 1953م، وتخرج في كلية التجارة بجامعة الإسكندرية عام 1978م، وتتجلى مواهبه في مختلف مجالات العلم والأدب والثقافة والإعلام، فقد عمل بالشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق (إيجوث) من 1980م إلى 2013م. وهو عضو في مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر، ورئيس لجنة العلاقات العربية بالاتحاد، كما هو عضو في مجلس إدارة هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية، وعضو في نادي القصة بالقاهرة، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ تأسيسها. ويحمل أحمد فضل شبلول خبرة واسعة في مجال الصحافة والإعلام، فقد كان مراسل جريدة "الجزيرة" السعودية

خلال عام 1982-1996م، ومراسل مجلة "مرآة الأمة" الكويتية خلال الفترة 1984-1986م، ورئيس تحرير مجلة "الثغر" الصادرة عن هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية، وعضو هيئة تحرير مجلة "العربي" بالكويت من 2010م إلى 2013م. وقد تقلد مناصب عديدة في مختلف الشركات الإعلامية ودور النشر، فكان نائب رئيس اتحاد كتاب الإنترنت العرب من 2005م إلى 2009م، ومديراً للتحرير والنشر بشركة الدائرة للإعلام بالرياض من 1987م إلى 1991م، ومحرراً ومصححاً لغوياً بإدارة النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود الإسلامية بالرياض من 1991م إلى 1998م، ومسؤول برامج البابطين الثقافية بقناة البوادي الفضائية التي تبث من الكويت خلال الفترة 2013-2016م، ويعمل حالياً رئيس القسم الثقافي لشبكة ميدل إيست أونلاين.

ويُعد أحمد فضل شبلول من أهم الشعراء والناقدين الإسلاميين في العصر الحديث، وأكثر إنتاجاته في الشعر، فمن دواوينه الشعرية: "مسافر إلى الله"، و"ويضيع البحر"، و"عصفوران في البحر يحترقان"، و"إسكندرية المهاجرة"، و"امرأة من خشخاش"، و"اختبئي في صدري" وغيرها من الدواوين الأخرى. ومن دراساته الأدبية والنقدية: "أصوات من الشعر المعاصر"، و"قضايا الحداثة في الشعر والقصة القصيرة"، و"أدباء الإنترنت .. أدباء المستقبل"، و"من أوراق الدكتور مصطفى هدارة"، و"نظرات في شعر غازي القصيبي"، و"كتب ورقية مهدت للثورة الرقمية" وغيرها. وقد كتب ثلاث روايات وهي: "رئيس التحرير .. أهواء السيرة الذاتية"، و"الماء العاشق"، و"اللون العاشق"، وألف كتابين في أدب الرحلة وهما: "رأيت باريس"، و"من إسطنبول إلى قرطبة"، كما ألف في المعجمية العربية بعض الكتب منها: "معجم الدهر"، و"معجم شعراء الطفولة في الوطن العربي خلال القرن العشرين"، و"مصر في القاموس المحيط". وإضافة إلى ذلك، شارك مع الآخرين في إعداد عدد من الأعمال الموسوعية في المعاجم الشعرية، التي صدرت عن المؤسسات الأدبية والثقافية في مصر والسعودية، كما نشر له إلكترونياً عدد من المقالات الأدبية والنقدية.. وقد نال كثيراً من الجوائز وشهادات التقدير على مستوى العالم

العربي، منها: جائزة الجدارة والتميز من جمعية نهوض وتنمية المرأة بالقاهرة عن دراسته "قراءة في الإبداع الروائي للمرأة المصرية" (2004م)، و"شهادة تكريم من الجمعية الدولية للمترجمين والمبدعين (واتا) 2007م، و"شهادة تقدير من هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث للمشاركة الإعلامية في مهرجان ومسابقة "شاعر المليون" (2008م)، و"درع التكريم من مؤتمر أدباء مصر (2009م)، و"تكريم الاتحاد العربي للإعلام الإلكتروني (2010م)، و"تكريم وتقدير من ملتقى الشارقة للشعر العربي الثامن (2010م).

وقد اشتهر أحمد شبلول كشاعر وأديب إسلامي للأطفال، ألف عدداً من المجموعات الشعرية والقصصية في أدب الأطفال الإسلامي، ومن دواوينه الشعرية للأطفال: "أشجار الشارع أخواتي" (نال عن هذا الديوان جائزة الدولة التشجيعية في مجال الأدب عام 2008م، وقد أصدرته الرابطة في سلسلة أدب الأطفال بالطبعة الأولى عام 1994م وبالطبعة الثانية عام 2005م)، و"حديث الشمس والقمر"، و"طائرة ومدينة"، و"آلاء والبحر"، و"دوائر الحياة"، و"هل أنا كنت طفلاً؟ (مختارات شعرية). وقد ألف عدداً من القصص للأطفال منها: "حوار مع ملكة الفواكه"، و"بيريه الحكيم يتحدث" (وهو تبسيط بعض أعمال توفيق حكيم للأطفال)، و"عائلة الأحجار". كما كتب العديد من الدراسات الأدبية والنقدية في أدب الأطفال؛ مثل "جماليات النص الشعري للأطفال" و"أدب الأطفال في الوطن العربي - قضايا وآراء"، و"تكنولوجيا أدب الأطفال"، (نال هذا البحث الجائزة الأولى من المجلس الأعلى للثقافة - لجنة الدراسات الأدبية واللغوية عام 1999م)، و"ثقافة الطفل في عصر التكنولوجيا" (حصل هذا البحث على درع ندوة الثقافة والعلوم بدبي عام 2003م)، و"الطفل والحرب في فضاء الشعرية العربية المعاصرة" (فاز هذا البحث بدرع الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب واتحاد الكتاب الجزائريين في المؤتمر العام الثاني

والعشرين للأدباء والكتاب العرب المنعقد في الجزائر عام 2003م)، و"أدب الأطفال بين الشعرية والرقمية"، وغيرها من البحوث والدراسات¹.

ديوان "أشجار الشوارع أخواتي":

نشرت رابطة الأدب الإسلامي العالمية في سلسلة أدب الأطفال هذا الديوان، الذي يتميز بارتباطه الأنيق بعقائد الإسلام ومبادئه، كما أن الاستطراد الجميل في الكلام يزيده إعجاباً وتأثيراً، فقد ربط الشاعر كل نشيده بعنوان واحد، وجمع تحت هذا العنوان مختلف المعاني والموضوعات الإسلامية التي تتصل بموضوع القصيدة، مستمداً من القرآن الكريم والسيرة النبوية ومن سير الأنبياء والتاريخ وأحداثه، فإن تكلم الشاعر مثلاً عن الحجر فما اكتفى ببيان خواصه وفوائده، بل تحدث عن الحجر الأسود، والحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه، والأحجار التي قذفتها الأبايل على جيش أبرهة، والأحجار التي ترمى بها الجمرات أثناء الحج، وكذلك عن الأحجار التي يستخدمها أطفال فلسطين كسلاح ضد الصهاينة الغاصبين، فهذه هي ميزة رائعة يتميز بها الديوان. ويضم هذا الديوان سبع أناشيد طويلة بمختلف العناوين وهي: أشجار الشوارع أخواتي، وأحجار البيت تناديني، والباب، وكتابي نهر المعلومات، والمآذن، والمسجد، والحواس الخمس، وتمتاز هذه القصائد في معظمها بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة، وتتميز بسهولة النظم، وحسن الإيقاع، وأسلوبها يميل إلى الحوار القصصي أو السرد التاريخي. وصدر الديوان في طبعته الأولى من مكتبة العبيكان بالرياض عام 2005م.

دراسة القصائد تحليلاً وتطبيقاً:

يدعو الشاعر في القصيدة الأولى بعنوان "أشجار الشوارع أخواتي" الأطفال إلى التأمل في الأشجار كنعمة من نعم الله العظيمة، مبيئاً لهم فوائدها بحق الإنسان وسائر

¹ "شخصيات الأدب الإسلامي"، الموقع الرسمي لرابطة الأدب الإسلامي- www.adabislami.org ، تاريخ الزيارة: 25 نوفمبر 2022م، و"الكاتب أحمد فضل شبلول"، المجلس الأعلى للثقافة- http://scc.gov.eg ، تاريخ الزيارة: 25 نوفمبر 2022م.

المخلوقات، وما لها من أهمية في البيئة والحياة، وبذلك تتضح الرؤية الإسلامية في تشجيع الأطفال على الاهتمام بالأشجار:

أشجار الشارع أخواتي
تبسم في الطرقات
تمنحني اللون الأخضر
وأشم هواها الأعطر
أسقيها الماء الأوفر
تحميني بسياج مزهر²

وفي الأبيات الأخرى، يلفت الشاعر أذهان الناشئين إلى أشجار الأنساب، ليذكرهم بأهمية صلة الأرحام ودور الأسرة وأفرادها في الحياة، حيث يقول:

في منزلنا توجد أشجار الأنساب
فيها أسماء الأحاب
هذا عمي، من أشجار الخير
هذا جدي، من أشجار الدهر
هذا خالي، من أشجار الغل³

ويستلهم الشاعر في فقرة أخرى من معاني القرآن الكريم، ما يزيد النشيد حيوية وتأثيراً، وذلك ليربط الأطفال بكتاب الله عز وجل بشكل غير مباشر، حيث يقول الشاعر استرشاداً بقوله تعالى في سورة الرحمن "وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانُ" (الرحمن:6):

أشجار الشارع أخواتي
تسجد للرحمن

² شبلول، أحمد فضل. أشجار الشارع أخواتي، ط1. الرياض: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، 2005م، ص:7.

³ المصدر نفسه، ص:8.

تحيا وتموت كما الإنسان⁴

وفي أبيات أخرى يحرص الشاعر على توطيد العلاقة بين الأطفال وبين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي المشرق، إذ يذكرهم من خلال الشجرة صلح الحديبية ومبايعة المسلمين على يدي الرسول تحت الشجرة المباركة:

تم مبايعة الإسلام

ورسول الله محمد

صلى الله عليه وسلم

تحت الأغصان المشتجرة

في تلك الشجرة⁵

كما يقوم الشاعر في فقرات أخرى بإثراء المعلومات الدينية واللغوية لدى الأطفال، مزوداً لهم بالمعرفة عن ورود كلمة الشجرة في القرآن وتعدادها، وكذلك عن الحروف الشجرية في اللغة العربية، وهكذا هو يربطهم بالعلم القرآني، ويحثهم على البحث الديني واللغوي، ما يتفق مع مستوى فهمهم ولغتهم:

عشرون وسبع من كلمات ❖ تلك حروف شجرية ❖ فيها الشين، وفيها الضاد

وردت ألفاظ الشجرات ❖ تخرج من منطبق الفم ❖ وفيها الكاف، وفيها الجيم

في القرآن وفيها الياء، وفيها القاف⁶

ويتخذ الشاعر في قصيدة بعنوان "أحجار البيت تناديني" نفس الأسلوب القصصي والسردى، ليحكي عن الحجر وعائلته وقصة افتخاره وإنجازاته في الماضي والحاضر، فهو يتعمد أسلوب التشخيص لجذب خيال الأطفال ويعمق تفاعلهم مع قصص الحجر، حيث يقول: (أحجار البيت تناديني - كي تروي قصتها لي - كي تحكي كل الأسرار - عن عائلة الأحجار - في كل مكان، في كل زمان)⁷. وهو

⁴ المصدر نفسه، ص:9.

⁵ المصدر نفسه، ص:10.

⁶ المصدر نفسه، ص:11.

⁷ المصدر نفسه، ص:13.

يلفت انتباه الأطفال إلى أنه سلاح قوي لأطفال فلسطين الأجراء ضد الصهاينة الغاصبين: (سل أحجار فلسطين - سل أشجار الزيتون - سل أطفال النصر هناك - هم يمشون على الأشواك).⁸ كما هو يفتخر بأنه قد دمر جيوش أبرهة بإذن الله وجعلهم كعصف مأكول: (أتذكر أحجار السجيل - في عام الفيل - أشعر بالزهو وبالنصر).⁹ كما يعود الشاعر ليربط الأطفال مرة بالقرآن الكريم حيث يبين لهم عدد ورود الحجر في القرآن: (عشرون وإحدى مرة - وردت ألفاظ الأحجار - في القرآن).¹⁰ وفي فقرات أخرى يذكرهم بالحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه: (كان كلهم الله المختار - موسى يضرب بعصاه الأحجار - فانجرت عينان من الماء - ثم انفجرت عشر بالخير وبالأسوء).¹¹ كما ينقل بهم إلى قصة مهمة لسيرة الرسول عليه وسلم قبل بعثته، وهو وضع الحجر الأسود في الكعبة، حيث اقترح النبي صلى الله عليه وسلم أمام قريش - بعد أن قاموا ببناء الكعبة - أن يشارك كل من سادتها في رفع الحجر الأسود ونصبه في الكعبة، فوافقوه على هذا الرأي الأصوب، مما أزال مخافة الحرب التي كادت أن تتشب بينهم، وهكذا يربط الشاعر القراء الصغار بروائع السيرة النبوية: (كان رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - يحكم بين قريش - فيمن يحمل هذا الحجر الأسود - واستمع الناس إلى الرأي الأصوب - واشترك السادة في رفع الحجر الأسود).¹² كما يذكر الشاعر أهمية الحجر حيث يستخدمه الحجاج لرجم إبليس، وبذلك هم يؤدون ركناً مهماً لفريضة الحج: (في أيام الحج - يرمم إبليس بالأحجار - يرمم هذا الشيطان - ويعود الحجاج بمغفرة وأمان).¹³ وهكذا يسهم هذا النشيد في تربية الأطفال فكرياً واعتقادياً، تعليمياً وتوجيهياً.

⁸ المصدر نفسه، ص: 14-15.

⁹ المصدر نفسه، ص: 15.

¹⁰ المصدر نفسه، ص: 15-16.

¹¹ المصدر نفسه، ص: 16.

¹² المصدر نفسه، ص: 17.

¹³ المصدر نفسه، ص: 18.

وتعد قصيدة "الباب" من أروع قصائد هذا الديوان شكلاً ومضموناً، حيث يبيّن الدكتور أحمد محمود مبارك خصائصها الفنية بأن فيه "يرتفع المستوى الفني للأداء الشعري مع الاحتفاظ بالبساطة واليسر وشفافية التعبير التصويري.. وتلتحم المعاني والقيم التربوية والسلوكية المنبثقة من مبادئ الإسلام الحنيف، مع النسيج التخيلي والمجازي للقصيدة بشكل جيد ومؤثر"¹⁴، وهذا يدل على براعة المؤلف وقدرته على اختراع المعاني ونقلها بكلمات مبسطة تناسب عقول الأطفال ومستوى إدراكهم، كما نلاحظ في هذه الأبيات أنه ببساطة يزود الأطفال بدروس أخلاقية ونفسية مهمة: (أدخل من هذا الباب - أخرج من ذلك الباب - أفتح بابي للأصحاب وللأحباب - أغلقه في وجه الإنسان الكذاب - أفتحه للأحلام وللآمال وللألباب - أغلقه في وجه اليأس، ووجه الخوف، ووجه المرتاب).¹⁵ كما يعمد إلى إثراء القصيدة بما يفيد الأطفال المتلقين علمياً وينمي ثقافتهم ويوسع معرفتهم، حيث ينقلهم بكلمة "الباب" إلى أبواب العلوم ومختلف المعلومات التاريخية والجغرافية: (في الجغرافيا يوجد باب المندب - والباب بلد في سوريا - والبيبان سلسلة جبال في الأطلس - والأبواب كانت في الأسوار قديماً في البلدان - أستذكر كل دروسي - وأقسم أبواب كتابي - لفصول ونقاط، لسؤال وجواب).¹⁶ كما يقوم الشاعر في الفقرات التالية بتتمة المعرفة الدينية لدى الأطفال، ثم يربطهم ربطاً جميلاً بمبادئ العقيدة وتعليماتها بطريقة عاطفية ووجدانية، وكل ذلك من خلال محور "الباب"، وهذا يدل على أصالة المنهج الإسلامي الذي يوجد في الديوان: (في الكعبة يوجد باب - في الحرمين مداخل أو أبواب - هيا ندخل مدخل صدق - هيا نفتح للقرآن كتاب - يا فتاح، يا رزاق، يا الله - يا فتاح أبواب الرزق - يا فتاح أبواب الجنة - أدخلنا من أبواب الجنة)¹⁷.

¹⁴ مبارك، أحمد محمود. "قراءة في ديوان أشجار الشارح أخواتي"، مجلة الأدب الإسلامي (الرياض)، 2004م، ج10، ع40، ص:73.

¹⁵ شبلول، أحمد فضل. أشجار الشارح أخواتي. ص:21.

¹⁶ المصدر نفسه، ص:22.

¹⁷ المصدر نفسه، ص:23-24.

وفي قصيدة بعنوان "كتابي نهر معلومات" يلفت الشاعر انتباه الأطفال إلى أهمية الكتاب وفوائده، وضرورة العلم كوسيلة للسمو والارتقاء في الحياة، ولكنه لا يقدم هذا المعنى المهم بشكل مباشر عن طريق التقرير أو الوعظ المجرد، بل يلجأ إلى نفس المنهج الذي التزمه في هذا الديوان لث هدف القصيدة بطريقة غير مباشرة، فيزين القصيدة بذلك البناء الفني التخيلي الجذاب، ليتسلل إلى وجدان الأطفال ونفوسهم بهدوء ورسوخ وإقناع، وهو يربط هذا المعنى كعادته بالفكرة الإسلامية حيث يشير إلى القرآن الكريم وسوره وآياته: (كتابي نهر معلومات - به سور، به آيات - به أرقام وموضوعات - به أحلام ومكنونات - عن الماضي عن الحاضر - عن المستقبل الباهر)¹⁸. وبعد هذه البداية الجذابة تتطرق القصيدة إلى ما تحوي الكتب من علوم ومعارف مختلفة تساعد في تكوين الإنسان وحياته، وتساهم في بناء الأمم وحضارتها، كما يتجلى المنحى الديني للقصيدة بشكل عفوي ومؤثر في نهاية الفقرات، حيث يقول الشاعر: (ونطوي هذه الصفحات - وتجري هذه الأحرف - فنتبعها لكي نعرف - عن الإنسان والفيزياء - عن التاريخ والكيمياء - عن الأفلاك والدوران - عن الأشعار والأوزان - به قصص به جنات - كتاب الله نحفظه - فيحفظنا من الزلزل - ويعصمنا من الخلل)¹⁹.

خصائص القصائد وملاحمها الفنية:

من خلال دراسة الأناشيد وتحليلها تتضح لنا أهمية الديوان شكلاً ومضموناً، فمن حيث المضمون تشبه أناشيد الديوان الشعر القديم إذ يوجد فيها استطراد الكلام واستتباط المعاني، ما يجعل كل قصيدة كأنها مجموعة الخواطر أو السرديات حول موضوع واحد، غير أنها لا تتسم بوحدة الوزن أو القافية بما هو معروف في الشعر العمودي، كما يحمل الديوان عدداً من الأهداف الموجهة إلى أدب الأطفال، من أهمها الهدف الديني والاعتقادي، وهو ما يتجلى وضوحاً في كل أنشودة من الأناشيد بطريق مباشر أو غير مباشر، وخاصة قد ارتكز الشاعر على ربط الأطفال بالقرآن

¹⁸ المصدر نفسه، ص: 27.

¹⁹ المصدر نفسه، ص: 28-29.

الكريم والسيرة النبوية وتاريخ الإسلام، ومنها الهدف التعليمي الذي اهتم به الشاعر خاصة في سائر الأناشيد، حيث يبين للأطفال أحياناً حقيقة الحجر وفوائد الشجر وخصائص الحواس الخمس ووظائفها (في قصيدة "الحواس الخمس")، وزودهم أحياناً أخرى بقدر كبير من الحقائق والمعلومات المستمدة من القرآن الكريم والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، مراعيًا في ذلك مستوى فهم الأطفال وتذوقهم، كما لاحظنا في قصائد "كتابي نهر معلومات" و"الباب" وغيرها، ومن هذه الأهداف: الهدف الجمالي الذي توجد ملامحه في معظم القصائد، ولا سيما في قصيدة "المآذن"، فهي تتميز عن القصائد الأخرى في الديوان بمغزاها وصياغتها الفنية، يتجلى فيها عمق الخيال وروعة التصوير التخيلي الرفيع، كما يصف أحمد محمود مبارك خصائصها الفنية "في القصائد السابقة لم يرتكز الشاعر على الغنائية أو نهج النشيد، وإنما ارتكز على أسلوب الحكى أو القصص الدرامي... وفي هذه القصيدة "المآذن" ارتكز على البناء الغنائي العمودي ذي القوافي المنظمة وإن جاءت متنوعة غير موحدة، كما اعتمد على موسيقى بحر "الرجز" في نسقها المجزوء"، ويضيف "ولا تفتقر هذه القصيدة -أيضا- إلى النهج التصويري الفني الشفيف الذي يجذب مشاعر الطفل المتلقي ويستثير خياله، الأمر الذي يحدث تأثيراً إيجابياً محققاً -بغير مباشرة- والهدف السامي لهذه القصيدة هو حث الطفل على الصلاة، وربطه وجدانياً وعاطفياً بكل ما يرتبط بهذه الفريضة السامية"²⁰، وذلك ما نلاحظ في إحدى فقرات القصيدة: (مآذن المساجد - تهامس السحاب - تلاطف الضباب - وتفتح الأبواب - فيعبر الدعاء - بوابة السماء - تصادق الشمس - في رحلة الإشراق - فتشرق النفوس - بالحب والأشواق)²¹. فهذا الديوان يستوي أهم الأهداف والغايات التي يجب مراعاتها في أدب الأطفال، وأهم ميزاته هو التزامه بالتعمق والأصالة والشمول في تمثيل الفكرة والأيدولوجية الإسلامية، مما يظهر

²⁰ مبارك، أحمد محمود. "قراءة في ديوان أشجار الشارع أخواتي"، ص: 74-75.

²¹ شبلول، أحمد فضل. أشجار الشارع أخواتي. ص: 31.

حرص الشاعر على تثقيف الأطفال دينياً وتعليمياً وخاصة على توطيد العلاقة بينهم وبين القرآن الكريم.

وأما القصائد في بنائها الفني فهي -كما ذكر أحمد محمود مبارك- لا تعتمد في غالبيتها على الشعر العمودي الخالص، بل تتسم بأسلوب أو منهج قد يصح عليه إطلاق الأسلوب القصصي الدرامي أو الحكوي، ولعل المؤلف قد رأى أن هذا البناء أكثر تشويقاً وإثارةً للأطفال، الذين يحبون عموماً أسلوب الحكاية أو الحوار المعتمد على الخيال، لأنه يسهم بطريق غير مباشر في توصيل الأفكار والمعاني إلى العقول، ويكون له تأثير قوي في الفكر والوجدان، كما تتميز القصائد بعمق الخيال ودقة التصوير، وصدق العاطفة، مما ينمي في الأطفال ملكة التأمل، ويشحذ خيالهم، ويعمق تفاعلهم مع المضامين. وأما القصائد في مستواها اللغوي فهي تخلو من التعقيد والغموض في الألفاظ والتراكيب، ومن الطبيعي أن النصوص الأدبية -شعراً كان أو نثراً- التي تعتمد في بنائها على الأسلوب القصصي والحكي لا تميل في ألفاظها وتراكيبها إلا إلى السهولة والوضوح، كما يوجد في بعض القصائد ملامح قليلة للصور البلاغية من المجاز والتشبيه، ما يناسب عقول الأطفال ومداركهم.

خلاصة البحث:

يمثل هذا الديوان أدباً إسلامياً رفيعاً ببنائه الفني المشوق، فهو ينقل القراء الناشئين إلى ألوان من المشاعر والأحاسيس في آن واحد، حيث يقدم دروساً من القرآن الكريم والسيرة النبوية، ويروي أحداث التاريخ بماضيه وحاضره، ويزودهم بمعلومات مختلفة عن الأشياء وحقائقها وفوائدها. كما يتميز بجمال الفن الأدبي وروعته، وكل ذلك في قصيدة واحدة وتحت عنوان واحد، ولا شك أن هذا يدل على براعة الشاعر وقدرته على تنويع الكلام، واختراع المعاني والأفكار الكثيرة من كلمة واحدة أو موضوع واحد.

المصادر والمراجع:

- شبلول، أءمء فضل. أشجار الشارع أءواتى، ط1. الرىاض: مكءبة العبىكان للنشر والتوزىع، 2005م.

المجلات:

- مبارك، أءمء مءمود. "قراءة فى ءىوان أشجار الشارع أءواتى"، مجلة الأءب الإسلامى (الرىاض)، 2004م، ء10، ع40.

المواقع الإلكءرونىة:

- الموقع الرسمى لرابطة الأءب الإسلامى - www.adabislami.org
- المجلس الأعلى للءقافة - <http://scc.gov.eg>

القواعد النحوية والصرفية وخريجو دار العلوم لندوة العلماء

د. محمد عيسى*

Email: mdeisajnu@gmail.com

ملخص البحث:

منذ أن تأسست دار العلوم التابعة لحركة ندوة العلماء، ما زالت ولا تزال تتمسك بقيمتها ومبادئها المتمثلة في تكوين مقررات دراسية تواكب العصر، وتتطابق مع أذهان الطلاب الناشئين، وتوفر لهم مواداً علمية بأسلوب سلس وشيق. ونظراً لذلك، قام الخريجون من دار العلوم لندوة العلماء بأداء دور ريادي في تبسيط اللغة العربية وقواعدها النحوية والصرفية، وتحبيب هذه اللغة إلى أذهان الجيل الجديد، ونشرها في شبه القارة الهندية كلفة حية متدفقة بالحيوية والنشاط، وذلك عن طريق تقديمها في أسلوب يسهل به تناولها وتعلمها لجميع دارسي اللغة العربية. تروم الدراسة هذه إلقاء الضوء على أبرز ما قدمه خريجو دار العلوم من إسهامات مشكورة في سبيل تبسيط اللغة العربية وقواعدها من النحو والصرف. ومن خلال هذه الدراسة، سنتعرف على خصائص وميزات كتب القواعد التي أعدها أو رتبها أبناء هذه الدار.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، النحو العربي في الهند، الصرف العربي في الهند.

Abstract:

Based on what we have studied in the previous pages, we can conclude that the Nadwat al-Ulama and its graduates succeeded magnificently in reducing the amount of obstacle that stood between the learners and learning of Arabic language. It also succeeded in presentencing an easy and simplified approach to teaching and learning of Arabic language for learners from sub-continent. Before establishment of Nadwatul Ulama Learners compelled to study difficult books and grammars written in Persian rather than their own mother tongue.

* باحث ما بعد الدكتوراه، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند.

مقدمة:

لقد قامت حركة ندوة العلماء ودار علومها ثم أبنائها المتخرجون فيها بتنفيذ مزاعم الناس من العامة والخاصة بأن اللغة العربية هي لغة دينية أثرية قديمة لا تكاد تتجاوز كتب العلوم الشرعية، وجهرت قولاً وفعلاً بأن هذه اللغة هي لغة متدفقة بالقوة والنشاط والحياة، إلى جانب كونها لغة السياسة والحضارة والثقافة والاجتماع والمدنية ولغة المسلمين في جميع أنحاء المعمورة. وانطلاقاً من هذه العقيدة، أعطت دار العلوم لندوة العلماء اللغة العربية نصيبها من الاهتمام والتقدير، واتجهت عناية أبنائها إلى تطوير المنهج الدراسي لتعليم اللغة العربية، وخاصة قواعدها النحوية والصرفية، فأبلاوا بلاء حسناً في هذا المجال، ونجحوا في رفع مستوى اللغة العربية في شبه القارة الهندية، وتبسيط قواعدها التي كانت تُكتب في وقت ما بالفارسية باستخدام اللغة المعقدة وغير المتداولة بين عامة الناس.

وفي الصفحات الآتية، حاولنا قدر المستطاع تغطية إسهامات خريجي دار العلوم لندوة العلماء في تبسيط علم النحو والصرف تأليفاً وشرحاً وتدریساً منذ إرساء حجرها الأساسي إلى يومنا هذا. وتتمثل أهمية الدراسة في أننا لا نجد كتاباً أو بحثاً مستقلاً يتناول هذا الموضوع.

دروس الأدب (الجزءان الأول والثاني)¹:

إن الطبعة التي بين أيدينا الآن هي الطبعة الثامنة عشرة للجزء الأول من هذا الكتاب. تم طبع الكتاب في مطبعة معارف في أعظم جراه عام 1388هـ في 32 صفحة دون تقديم وفهرس. وأما الجزء الثاني لنفس الكتاب فقد طبع عام 1389هـ، وكانت هذه الطبعة هي الطبعة السادسة عشرة.

أعد العلامة السيد سليمان الندوي (المتوفى 23 نوفمبر 1953م) هذا الكتاب صغير الحجم وكبير الأهمية والفائدة، تلبية للأهداف الثلاثة لحركة ندوة العلماء، التي من بينها: إصلاح نظام التعليم والتربية وتطويره في ضوء متطلبات الأوضاع والظروف. ولقد أشار العلامة نفسه إلى هذا الأمر قائلاً: "فلما تأسست ندوة العلماء، وأقيم

¹ الندوي، السيد سليمان. دروس الأدب (الجزء الأول والثاني). أعظم جراه: مطبعة معارف، 1388هـ.

معهدا العلمي الكبير، رجحت في نصاب تعليمها كفة الأدب، ولكنها لم تجد مختصرات في الأدب يسهل على الصبيان تناولها. ولكي يتمكنوا بها من المخاطبة في العربية، بذلت الجهد الجهيد لتأليف مختصرات أدبية تفي بمقتضياتها وتسد حاجاتها، فهذا الكتاب حلقتها الأولى، وتليها الأخرى".

في الحقيقة، سلك العلامة مسلك القدماء في تأليف المختصرات، حيث كانوا يراعون سهولة حفظها عن ظهر القلب للمبتدئين والناشئين، وكانوا يختصرون المطولات لهذا الغرض بالضبط، كمختصر المنتهى في أصول الفقه لابن الحاجب، ومختصر القدوري في الفقه وغيرهما كثير.

يعد هذا الكتاب من الحلقة الأولى التي قدمتها جمعية ندوة العلماء في سبيل إعداد المقررات الدراسية من جديد، وإعطاء اللغة العربية المكانة التي تستحقها.

ويبدأ الجزء الأول من هذا الكتاب ببيان المرفوعات (المسند والمسند إليه)، ثم يأتي ذكر المنصوبات بما فيها المفاعيل الخمسة، إلا أن المؤلف لم يذكر القواعد، بل اكتفى بذكر الأمثلة لكل من المفاعيل الخمسة، ثم أتبعها باسم التفضيل والتمييز والحروف المشبهة بالفعل. وبعد ذلك، توجه إلى الحديث عن المجرورات بحروف الجر والمضاف والمضاف إليه والنعوت والمنعوت وحروف العطف والصلات والضمائر.

ويحتوي الجزء الثاني على بابين؛ أولهما يشتمل على المفردات تحت عناوين خاصة، ثم الجمل في ضوء تلك المفردات. وفي هذا الباب، ذكر الأسماء الموصولة وأسماء الشرط والأفعال الناقصة وحروف العطف مع استخدامها في الجمل.

وأما الباب الثاني فهو في الحوار والمكالمات، فقد جعل لكل درس من هذا الباب عنواناً، ثم جاء بالمفردات حسب العنوان، واستخدمها في الجمل، وربما يكون ذلك في صورة السؤال والجواب، مستهدفاً المحادثة والحوار بالعربية وحفظ المفردات والكلمات العربية بكل سهولة. ومن الجدير بالذكر أنه بعد كل درس، اقترح جماً بالغة الأردية بهدف كسب القدرة على الترجمة من الأردية إلى العربية، الأمر الذي يساعد الطلاب على المكاملة والحوار باللغة العربية.

وبعد أن تصفحت الكتب المتداولة المؤلفة في هذا الموضوع، توصلت إلى نتيجة مفادها أن هذا الكتاب رغم صغر حجمه كان أساساً اعتمد عليه معظم المؤلفين بعده في الإنشاء والترجمة والنحو التطبيقي في الهند، وأصبح فيما بعد مرجعاً مهماً لكثير من المهتمين والمعنيين بتأليف الكتب في حقل النحو التطبيقي والترجمة من العربية وإليها والمكاملة والحوار في العربية، وأرى أنه لم يوجد أي كتاب ألف على هذا المنوال من قبل.

وفي نهاية الجزء الثاني من الكتاب، قد أورد المؤلف -رحمه الله- الكلمات المهجورة أو غير المستعملة في زماننا هذا مثل الطيارة بمعنى الطائرة، والوابور بمعنى القطار، والمكتب بمعنى مركز لحجز التذكرة، ومحل البوسطة بمعنى مكتب البريد، وما إلى ذلك.

تم نشر الكتاب من دار المصنفين بأعظم جراه، وهو يحتوي على 60 صفحة دون تقديم وفهرس.

الترجمة العربية²:

هذا الكتاب من الكتب التي دبجها يراع أديب العربية الكبير في القرن الماضي الأستاذ مسعود عالم الندوي، وهو يندرج ضمن المؤلفات التي أعدها أبناء ندوة العلماء لتعليم اللغة العربية وكسب المهارة في لغة القرآن الكريم والحديث النبوي. ويعد هذا الكتاب من المؤلفات الأولية التي كتبت على هذا المنوال، ثم حدا حذوه الآخرون من بعده. واللافت أن الكتاب ثنائي اللغة (العربية-الأردية)، ويضم بين دفتيه جملاً ومفردات وتمارين وتعبيرات وقواعد نحوية موجزة لتعليم وتعلم الترجمة العربية منها وإليها، وهذه كلها في أسلوب علمي رشيق. ويشتمل هذا الكتاب على 162 صفحة.

عربي زبان کے دس سبق³ (عشرة دروس للغة العربية):

² الندوي، مسعود عالم. الترجمة العربية. لاهور: معهد القرآن، 1954م.

³ الندوي، عبد السلام القدوائی. عربي زبان کے دس سبق، ط1. لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام، 1954م.

هذا الكتاب الصغير الذي بين أيدينا الآن هو للخبير التعليمي الأستاذ عبد السلام القدوائى الندوي، وقد قامت بنشره وتوزيعه إدارة تعليمات إسلام، أمين آباد بلكتاؤ، وظهرت طبعته الأولى سنة 1954م. ويشتمل الكتاب على 47 صفحة على المقياس الصغير. وأما الطبعة التي أمامنا الآن فهي ظهرت من مطبعة سرفراز بلكتاؤ، وذلك في يونيو عام 1970م.

وهذا الكتاب مجموعة من عشرة دروس في قواعد اللغة العربية العامة التي لا غنى عنها لكل من يريد أن يتعلم هذه اللغة. وفي الحقيقة هذا الكتاب خلاصة لـ"سلسلة لتعليم اللغة العربية القرآنية" (في أربعة أجزاء) التي أعدها الأستاذ لتعليم اللغة العربية القرآنية للكبار.

والكتاب رغم صغر حجمه ذو أهمية بالغة وفائدة جلية لكل من يحب أن يُعلم أو يتعلم لغة القرآن. ومن المؤكد أن من له نظر فيما أُلّف في لغة القرآن في الهند سيعترف بأن هذا الكتاب يعتبر حجر أساس لكل من كتب بعده في موضوع لغة القرآن الكريم في الهند.

وكان هدف الأستاذ من إعداد هذه الدروس العشرة أن يزود الطالب بالمفردات والكلمات القرآنية، لكي ينتقل ذهنه إلى معاني هذه الكلمات خلال قراءة القرآن، ويفهم مقصود كلام الله سبحانه وتعالى. وبهذه المناسبة تجدر الإشارة إلى أن المؤلف -رحمه الله- لم يكتف بهذا، بل ذكر القواعد النحوية في أسلوب حوارى كأنه يتحدث حول أمر ما، وذلك بإيراد الأمثلة من الألفاظ المتداولة بين الناس. فمن خلال هذا الكتاب، حاول المؤلف أن يسهل أمر تعلم وتعليم لغة القرآن والقرآن بذاته. وقد نال الكتاب قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية، وجُعِل في المقررات الدراسية في عديد من المدارس الإسلامية الكبيرة في الهند.

تمرين الدروس (الأول)⁴:

⁴ الندوي، عبد السلام القدوائى. تمرين الدروس (الأول). لكتاؤ: إدارة تعليمات إسلام، د.ت.

في هذا المختصر، استخدم المؤلف الألفاظ والكلمات الواردة في كتابه "عربي زيان كے دس سبق" (عشرة دروس للغة العربية) في عبارات جميلة بهدف التكرار والحفظ والقدرة على استخدام تلك العبارات.

تمرين الدروس (الثاني)⁵:

تم نشر هذا الكتاب من مطبعة برقي بمدينة لکناؤ في شهر أبريل عام 1959م، وذلك بعناية من إدارة تعليمات إسلام بالمدينة. جمع المؤلف -رحمه الله تعالى- في الكتاب المقالات المفيدة مستعملاً الكلمات العربية الواردة في كتاب "قرآن كي بهلي كتاب" (الكتاب الأول حول القرآن المجيد)، وهذه المقالات تكس عند الدارس المعارف الإسلامية بجانب التعمق في اللغة العربية. يشتمل الكتاب على العناوين البارزة مثل "إن الدين عند الله الإسلام" و"من أخ إلى أخيه" و"الخلافة الراشدة" و"مما ينسب إلى علي كرم الله وجهه" و"أمهات المؤمنين" و"السيدة خديجة" والسيدة سودة والسيدة عائشة والسيدة حفصة والسيدة زينب والسيدة أم سلمة والسيدة جويرة والسيدة أم حبيبة والسيدة ميمونة والسيدة صفية، و"من أستاذ إلى تلميذ" و"معن بن زائدة" و"شاعر قصة غريبة" و"رزقي سوف يأتيني" و"من صديق إلى صديق" و"المسلمون في الهند غابرههم وحاضرهم ومستقبلهم". وكل هذا فقط في 64 صفحة.

تمرين الدروس (الثالث)⁶:

رتب المؤلف على أحمد الكياني الندوي كتابه "سير أعلام الإسلام" مستخدماً فيه الكلمات والألفاظ التي وردت في كتاب "قرآن كي دوسري كتاب" (الكتاب الثاني حول القرآن)، لكي يعرف الدارس الرجال المشهورين في الإسلام ومآثرهم الجليلة، إلى جانب معرفته المفردات اللغوية. يشتمل الكتاب على 96 صفحة. وقد تم نشره من مطبعة برقي بمدينة لکناؤ عام 1956، تحت رعاية من إدارة تعليمات إسلام بالمدينة.

⁵ الندوي، عبد السلام القدوائ. تمرين الدروس (الثاني). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام، 1959م.

⁶ الندوي، عبد السلام القدوائ. تمرين الدروس (الثالث). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام، 1959م.

وأما عناوين القصص التي جاءت في الكتاب فهي "سيدنا بلال" و"وليد بن عبد الملك" و"طارق بن زياد" و"محمد بن قاسم" و"الإمام مالك" و"يحيى البرمكي" و"السيدة رابعة العدوية" و"عبد الرحمن الناصر" و"الفضيل بن عياض" و"المأمون" و"الإمام بن تيمية" و"السلطان صلاح الدين" و"الإمام البخاري" و"ملك شاه السلجوقي" ومما ينسب إلى الإمام على و"محمد الفاتح" و"الشاه ولي الله الدهلوي" و"السلطان تيبو" و"السيد جمال الدين الأفغاني" و"إن من الشعر لحكمة".

سلسلة لتعليم اللغة العربية القرآنية (في أربعة أجزاء):⁷

هذه السلسلة أعدها الأستاذ عبد السلام القدوائي الندوي باسم "قرآن مجيد كي بهلي كتاب" (الكتاب الأول حول القرآن المجيد) و"قرآن مجيد كي دوسري كتاب" (الكتاب الثاني حول القرآن المجيد) و"قرآن مجيد كي تيسري كتاب" (الكتاب الثالث حول القرآن المجيد)، وذلك لتعليم الكبار لغة القرآن. وقد أخرجها المؤلف في شكل كتاب بعدما شعر بالحاجة الأكيدة إلى ذلك خلال قيامه بتدريس القرآن في لکناؤ. طبع الكتاب من إدارة تعليمات إسلام لکناؤ.

قرآن مجيد کی پہلی کتاب⁸ (الكتاب الأول حول القرآن المجيد):

هذا الكتاب هو الجزء الأول من سلسلة تعليم اللغة العربية القرآنية التي أعدها الأستاذ عبد السلام القدوائي الندوي. وقد وصف الأستاذ كتاب "عربي زبان کے دس سبق" (عشرة دروس للغة العربية) كأول خطوة، و"تمرين الدروس" (الجزء الأول) كخطوة ثانية، وهذا الكتاب (قرآن مجيد کی پہلی کتاب-الكتاب الأول حول القرآن المجيد) كخطوة ثالثة، في مجال تعليم اللغة العربية القرآنية.

لقد تناول المؤلف -رحمه الله- مفردات "قرآن مجيد کی پہلی کتاب" (الكتاب الأول حول القرآن المجيد) ببيان معناها وشرحها مع ذكر القواعد الضرورية والترجمة من

⁷ الندوي، عبد السلام القدوائي. سلسلة لتعليم اللغة العربية القرآنية (في أربعة أجزاء). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام. دت.

⁸ الندوي، عبد السلام القدوائي. قرآن مجيد كي بهلي كتاب (في أربعة أجزاء)، لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام. دت.

العربية إلى الأردنية وبالعكس، وذلك على منهج يجعل الدارس قادراً على فهم وكتابة اللغة العربية.

والكتاب الثاني من هذه السلسلة رتب على نفس المنوال، غير أن مستواه أعلى من مستوى الجزء الأول. وكذلك الجزء الثالث من السلسلة تم ترتيبه على نفس المنهج الذي اختاره في الجزئين الأول والثاني. في الجزء الثالث، سلط المؤلف الضوء على القواعد العربية وعملية الترجمة وكتابة المقالات والتمرن عليها، بحيث يقدر الدارس بعد قراءة هذا الكتاب على فهم وكتابة العبارات في اللغة العربية بالدرجة المتوسطة.

تفهيم الدروس⁹:

هذا الكتاب أعده الأستاذ مشير الحق بحر آبادي كدليل لكتاب "قرآن مجيد كي دوسرى كتاب" (الكتاب الثاني حول القرآن) المذكور آنفاً، واهتمت بطبعته الأولى مكتبة تعليمات إسلام، لكاناؤ عام 1952م. يستغرق الكتاب 16 درساً في 96 صفحة. كل درس يبتدئ بذكر معاني الجمل الواردة في كتاب "قرآن مجيد كي دوسرى كتاب" (الكتاب الثاني حول القرآن)، ثم تشكيل العبارة العربية وترجمتها إلى الأردنية، واتبع نفس المنهج في الكتاب كله.

ومن الضروري أن نذكر أن النسخة التي بين أيدينا هي ليست في حالة جيدة، ولا أعرف بالتأكد هل هناك أي تقديم للكتاب أم لا.

تفهيم الدروس (الأول والثاني)¹⁰:

أعد الأستاذ احتشام علي رحيم آبادي "تفهيم الدروس" كدليل لكتاب "قرآن مجيد كي دوسرى كتاب" (الكتاب الثاني حول القرآن)، وتم نشره من مطبعة برقي بلكاناؤ

⁹ بحري آبادي، مشير الحق. تفهيم الدروس، ط1. لكاناؤ: مكتبة تعليمات إسلام، 1952م.

¹⁰ رحيم آبادي، احتشام علي. تفهيم الدروس (الأول والثاني). لكاناؤ: إدارة تعليمات إسلام. د.ت.

برعاية من إدارة تعليمات إسلام بلكناؤ. ويتضمن الجزء الأول 24 درساً في 84 صفحة، بينما يشتمل الجزء الثاني على 30 صفحة. وقام المؤلف أولاً بتقديم العبارات الأردية، ثم عرب العبارات العربية، ثم نقل الأردية إلى العربية.

تعلم لغة القرآن الكريم¹¹:

قد صدرت لهذا الكتاب المؤلف بالإنجليزية، طبعت من جدة وبيروت وسنغافورة وأمريكا وكراشي. وأما الناشر الحالي فهو مولانا عبد الكريم باريك من ناغبور، واهتمت بطبعه مكتبة فريد في دلهي، الهند. وقد زاد الكتاب رونقا وبهاء تقاريط وكلمات ثناء للشيخ عبد الكريم باريك، والشيخ أبي الحسن الندوي، والشيخ عبد الله عمر نصيف، والشيخ محسن باروم. ويشتمل الكتاب على 430 صفحة، تتضمن مقدمة وثلاثين باباً. وفي المقدمة تحدث الدكتور عبد الله عباس الندوي عن العوامل التي كانت وراء تأليف الكتاب. وقد انتقيت من المقدمة بعض النقاط المهمة، التي أوردتها فيما يلي:

بعد العكوف على دراسة ترجمات لعاني القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، وصل المؤلف إلى نتيجة أن "الترجمات -مهما تحري أصحابها الدقة والإجادة- عاجزة عجزاً كلياً عن استيفاء المدلولات الكاملة لأي الذكر الحكيم، فضلاً عن نقل ما في كتاب الله من الروعة والجمال وما فيه من قوة التأثير في القلوب والنفوذ إلى العقول. وليس مما يحل هذه المشكلة أن تضاف ترجمة أخرى إلى مجموعة ترجمات موجودة، فإن طبيعة الترجمة تأبى أن تكون آمنة ومستوفية، حيث إن كل لغة تمتاز في صياغة ألفاظها وتراكيبها النحوية التي تلبس الكلمات حللاً في المعاني والأساليب البيانية، مما لا يمكن نقله إلى أية لغة أخرى على الإطلاق. فكان الحل الوحيد أن يدعى المسلمون إلى تعلم هذه اللغة التي هي للوحي الصادق، وهذا المطلوب

¹¹ الندوي، عبد الله عباس. تعلم لغة القرآن الكريم. دلهي: مكتبة فريد. د.ت.

أن يتعلم المسلمون العربية حتى يفهموا القرآن الكريم مباشرة بدون وسائط الترجمات"¹².

ولأجل ذلك، اتجه المؤلف "إلى وضع منهج يراعي فيه التبسيط والتيسير، ويمكن تلقي العربية عن طريقه في مدة وجيزة. والبحث عن مثل هذا المنهج الذي يلائم عقول الطلاب الأجانب والمتقنين بثقافة إنجليزية، جعل الكاتب يلقي نظرة على المناهج الموضوعية باللغة الإنجليزية لتعليم العربية، فاطلع على عدد كبير منها، وضع باللغة الإنجليزية لهذا الغرض. فوجد المؤلف أن الأمر الذي يشترك فيه جميع المؤلفين هو أنهم يهدفون إلى تعليم أبناء بلادهم اللغة العربية لأغراض دبلوماسية وسياسية وتجارية، فكان تركيزهم على أساليب الصحف السائرة ولغات الأفلام والروايات، كما لاحظ المؤلف أن هؤلاء مع مقدرتهم العلمية لم ينجحوا في إخفاء ما في صدورهم من غل وحقد وكراهية للعرب والإسلام". وقد قدم المؤلف بعضاً من الأمثلة للمؤلفين الغربيين وكراهيتهم للإسلام والعرب. وقد شعر المؤلف بأن هناك فراغاً يحتاج إلى أن يُسدَّ من قبل المسلمين أنفسهم، فحركه هذا الشعور لوضع هذا الكتاب.

وقد توخى المؤلف من خلال تأليف الكتاب عدة أمور، من أبرزها:

- الاعتماد على شواهد من القرآن، ليكون الطالب المسلم منسجماً مع لغة القرآن الكريم منذ أول خطوة يخطوها نحو تلقي العربية.
- تبسيط القواعد واختصار الطريق، حتى يتمكن الطالب من دراسة العربية في مدة وجيزة.
- جعل القرآن الكريم أداة لتعليم العربية وفتح المجال له للتوسع في دراستها وإتقانها إلى أقصى حد ممكن. وفي نهاية المطاف، أشار المؤلف إلى أن هذا المنهج الذي اتبعه ليس من ابتداعه، بل سبقه إليه أستاذه الدكتور عبد السلام القدوائى الندوي، ولكنه وسع هذا المنهج، وضمَّ أكثر القواعد النحوية التي تشد الحاجة إليها في تلقي العربية.

¹² الندوي، عبد الله عباس. مقدمة كتاب تعلم لغة القرآن الكريم. (رقم الصفحة مطلوب)

وقد اختار المؤلف في تأليف الكتاب الأسلوب العلمي الحديث المروج المقبول في الدوائر المثقفة بالثقافة الإنجليزية، والذي ألف به المعاصرون. وتحقيقاً لهذا الغرض، استفاد من مناهل الثقافات الأجنبية، إذ كانت له خبرة في هذا الحقل؛ لأنه استكمل الماجستير والدكتوراه في بريطانيا، ودرس الثقافة الإنجليزية مباشرة. وصفوة القول بأن المؤلف بواسطة هذه التحفة الثرية والهدية الغالية، فتح باباً للعصريين للخوض مباشرة وبدون التكلان على الآخرين في المحيط القرآني المملوء بالعجائب واللطائف، واستخراج واستنباط المعاني الحكيمة الراشدة للإنسانية جمعاء.

دروس الأطفال¹³:

صدر هذا الكتاب لأول مرة سنة 1951م، ولعله من باكورة المؤلفات للدكتور عبد الله عباس الندوي، وهو يقع في 64 صفحة. وقد قامت بطبعه مكتبة دين ودانش مكارم نغر بلكناؤ. ولقد أعد الدكتور هذا الكتاب بعد قضاء سنة كاملة في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية والحصول على خبرات واسعة في مجال تدريس اللغة العربية للأجانب، كأول كتاب لتعلم اللغة العربية بعد الفراغ من كتابة وإملاء اللغة الأردية كالنظام السائد في المدارس الإسلامية الهندية. والكتاب في الحقيقة عصاره تجربة المؤلف في مجال تدريس لغة الضاد لغير الناطقين بها. وحسب اعتراف المؤلف -رحمه الله- بأنه أولاً جرب هذه الدروس على الطلاب الصغار أثناء قيامه بعملية التدريس في دار العلوم لندوة العلماء، وبعد الحصول على النتائج المشجعة قدم هذه الدروس للطباعة.

وقد راعى المؤلف في الكتاب مبدء التكرار وإيراد الأمثلة ضمن كل درس، لكي يحفظ الأطفال القواعد عن طريق الأمثلة، كما زود جميع الدروس بملاحظات مهمة للمعلمين.

وقد نوّه الشيخ أبو الحسن الندوي بمجهودات المؤلف ومدحه بهذه الكلمات: "وهذه حلقة من حلقات المحاولات التي بذلها الخريجون من ندوة العلماء في تبسيط وتسهيل

¹³ الندوي، عبد الله عباس. مقدمة "دروس الأطفال". لكاناؤ: مكتبة دين ودانش، 1951م.

القواعد العربية، وللمؤلف خبرة واسعة لتدريس اللغة العربية للناشئين والأطفال. قضى المؤلف سنة كاملة في الرياض، واستفاد من مناهل اللغة العربية وجامعاتها مباشرة. قسم المؤلف الكتاب بين الجمل والتمارين والأسئلة مراعيًا القواعد النحوية والصرفية وقدمها تدريجياً، فأصبح الكتاب نموذجاً عملياً لتدريس اللغة والنحو والصرف¹⁴.

معلم الإنشاء (في ثلاثة أجزاء)¹⁵:

يعتبر هذا الكتاب من الكتب العديدة المؤلفة في موضوع الترجمة العربية منها وإليها والإنشاء وكتابة المقال والنحو التطبيقي والقواعد التطبيقية، حيث نال الكتاب بأجزائه الثلاثة شعبيةً واسعةً وقبولاً عاماً في شبه القارة الهندية. ونظراً لأهميته، أُدخل في المقررات الدراسية لمعظم المدارس الإسلامية العربية في الهند. والجدير بالذكر أنه قد ساهم في تأليف هذا الكتاب أستاذان جليلان للغة العربية لهما باع طويل في حقل التدريس والتعليم، وهما الأستاذ عبد الماجد الندوي والأستاذ محمد الرابع الحسيني الندوي، حيث ألف الأستاذ عبد الماجد الجزء الأول والجزء الثاني، بينما ألف الجزء الثالث الأستاذ محمد الرابع الحسيني الندوي. واستفاد المؤلفان من الكتب الحديثة في العالم العربي على الموضوع، وجاء بكتاب قيم ومفيد قلما يضاويه كتاب آخر في الإفادة والنفع في مجال الترجمة والإنشاء، لأن الطلبة الكثيرين استفادوا من هذا الكتاب. والكتاب أساساً يعالج النحو والترجمة العربية منها وإليها والإنشاء وكتابة المقال وأشياء أخرى مفيدة. وقامت بنشر هذا الكتاب الشهير في ثلاثة أجزاء، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء بلكناؤ.

مظهر النحو: (في أربعة أجزاء)¹⁶:

¹⁴ الندوي، عبد الله عباس. مقدمة "دروس الأطفال". (رقم الصفحة مطلوب)

¹⁵ الندوي، عبد الماجد ومحمد الرابع الحسيني الندوي. معلم الإنشاء (في ثلاثة أجزاء). لكاناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر. دت.

¹⁶ الندوي، مظهر الحق. مظهر النحو (أربعة أجزاء). دت.

يشتمل هذا الكتاب على قواعد نحوية مهمة مع إيراد الأمثلة والتمارين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والعامل الأساسي وراء تأليف الكتاب أنه حينما تولى الأستاذ مظهر الحق الندوي مهمة تدريس هداية النحو في دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ، شعر بحاجة ماسة إلى كتاب يطبق القواعد النحوية باستخدام آيات من القرآن وكلمات من الحديث النبوي، وهكذا نحا طريق استنباط القواعد من الآيات والحديث.

النحو الميسر¹⁷:

لقد ألف علماء العربية كتباً مختلفة في عصور مختلفة لمعرفة قواعد اللغة العربية. وأمامنا كتاب جديد باسم "النحو الميسر" باللغة العربية السهلة للأستاذ الفاضل السيد عنايت الله الندوي، الذي يعمل مدرساً بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ، والذي اختار للكتاب مستوى كتاب "هداية النحو" الذي يُدرّس في المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية بصورة عامة.

اتبع المؤلف في هذا الكتاب منهج التسهيل، ليكون الطالب على شغف بمعرفة القواعد النحوية، كما أنه اقترح تمارين كثيرة حسب الدروس ليتمرن عليها الطالب، فلا يبقى هذا العلم نظرياً لديه فحسب، بل يكون عملياً أيضاً. ومن المهم أن المؤلف لم يذكر الخلافات بين النحويين، بل اكتفى بذكر المسائل النحوية الراجحة. ووزّع المؤلف الكتاب على ثمانية وعشرين درساً، وأدخل في كل درس تمريناً عملياً للتشكيل والإعراب والترجمة. وقد تم نشر الكتاب من مكتبة الشباب الجديدة في 133 صفحة.

تمرين النحو¹⁸:

قديمًا كانت المعرفة باللغة الفارسية وفهمها فهمًا تامًا، شرطًا أساسيًا للدارس الهندي في سبيل تعلم اللغة العربية، وكانت تلك الكتب الفارسية المؤلفة في بيان القواعد النحوية والصرفية تقضي حاجة الطلاب الكبار فقط. فنظرًا إلى هذه

¹⁷ الندوي، السيد عنايت الله. النحو الميسر. لكناؤ: مكتبة الشباب الجديدة. د.ت.

¹⁸ الندوي، محمد مصطفى. تمرين النحو. لكناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر. د.ت.

المشكلة، اعتزم المسؤولون في دار العلوم لندوة العلماء سدَّ هذا الفراغ العلمي الهائل، واهتموا بتأليف كتب دراسية جديدة في النحو والصرف والإنشاء تراعي أعمار الطالب، ومستواه العلمي.

وهذا الكتاب الذي هو من تأليف الأستاذ محمد مصطفى الندوي، والذي أضاف إليه الأستاذ عبد الماجد الندوي أشياء مهمة، يعد من الكتب الأولى التي ألفت للدارس العربي الصغير في لغته الأم. فهذا الكتاب ونحوه من الكتب التي قدمها أبناء دار العلوم لندوة العلماء، قد زالت مشكلة اللغة الفارسية، وتوفرت المواد اللغوية باللغة العربية والأردية مباشرة، الأمر الذي أتى ثمارا يانعة فيما أتى من الزمان.

تمرين النحو: (الجديد) الجزء الأول¹⁹:

حينما بدأت حركة ندوة العلماء بإصلاح المنهج التعليمي، ألف الأستاذ مصطفى الندوي كتاباً في النحو للمبتدئين باسم "تمرين النحو" قبل ستين عاماً. وبعد مرور هذه المدة الكبيرة من الزمن، احتاج الكتاب إلى تغيير جذري، فلبى الأستاذ السيد عنايت الله الندوي هذا النداء، وقام بتعديل الكتاب حسب مقتضيات الطلبة، وحاول فيه أن يقوم بتحسين مستوى الكتاب وتصحيح النقائص الموجودة في كتاب "تمرين النحو" (القديم).

آسان عربي زبان²⁰ (الكتاب البسيط لتعليم العربية):

قام بتأليف هذا الكتيب الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي، الأمين العام للأكاديمية الفرقانية في بنغالورو، وأحد المثقفين المسلمين المهتمين بقضية النهضة العلمية والتكنولوجية المنتظرة في العالم الإسلامي. وله أكثر من خمسين مؤلفاً حول موضوعات شتى، وتدور معظمها حول كشف ما في القرآن من درر ومعارف وكنوز.

ويشتمل الكتاب على جزأين، أما الجزء الأول فيحتوي على 48 صفحة، وأما الثاني فعلى 84 صفحة. وتم نشر الكتاب من الأكاديمية الفرقانية في بنغالورو.

¹⁹ الندوي، السيد عنايت الله. تمرين النحو (الجديد) الجزء الأول. د.ت.

²⁰ الندوي، محمد شهاب الدين. آسان عربي زبان. بنغالورو: الأكاديمية الفرقانية. د.ت.

وراعى المؤلف في تأليفه المدارك العقلية للأشخاص الذين يرغبون في دراسة اللغة العربية ولغة القرآن، وليست لديهم فرصة تكفيهم للذهاب إلى المدارس والالتحاق بها لتعلم العربية، فمن خلال هذين الكتابين، يمكنهم تعلم لغة القرآن وفهمها مع الوقوف على القواعد الضرورية.

واستهدف المؤلف بواسطة هذا الكتاب طبقة التجار، وملاً الفراغ الذي كان في المكتبة العربية الهندية، بحيث لم يكن يوجد أي كتاب يساعد هذه الطبقة على تعلم اللغة العربية، ويرشدهم إلى تعلم هذه اللغة وفهم كتاب الله الخالد وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم. وبإعداد هذا الكتاب، زالت تلك العرقلة الكبيرة التي كانت حائلة دونهم ودون تعلم لغة القرآن.

تحفة النحو²¹:

ألف الأستاذ سراج الدين الندوي هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، واتبع نفس المنهج الذي نهج في كتابه "تحفة الصرف". ولقد وضع الأستاذ الندوي الدروس حسب المراحل والمستويات وقسمها إلى ثلاث مراحل. وفي هذا الكتاب، نهض المؤلف بالدارسين نهوضاً تدريجياً في تعليمهم اللغة العربية.

فيض النحو²²:

هذا الكتاب من الكتب المؤلفة حديثاً في مجال النحو العربي لملء الفراغ في المكتبة الأردنية في علم النحو بعد إحلال اللغة الأردنية محل الفارسية وتغطيتها كل مجالات العلم والثقافة، وذلك بقلم الأستاذ المحنك صاحب التجارب الطويلة في حقل مادة النحو العربي.

وحاول المصنف أن يحل كتابه المؤلف مكان الكتب الرائجة مثل "كتاب النحو" للحافظ عبد الرحمن الأمرتسري، لأن لغة "كتاب النحو" وأسلوبه لا يلائم ولا يناسب مستوى الناشئين، وأيضاً قد مضى على تأليفه أكثر من قرن، فحاول الأستاذ شير أفغن الندوي تبسيط اللغة وشرح القواعد النحوية في لغة يفهمها الطالب بسهولة. وفي

²¹ الندوي، سراج الدين. تحفة النحو، (الجزء الأول)، ط1. دلهي: مركزي مكتبة إسلامي، 1995م.

²² الندوي، شير أفغن. فيض النحو، ط1. لكانا: جامعة المؤمنات الإسلامية، 1999م.

الوقت نفسه، راعى المؤلف المصطلحات اللازمة الرائجة في النحو، وقدم الأمثلة من اللغة العربية الحديثة السهلة لا من اللغة القديمة الميتة، وذلك إلى جانب تقديم التمارين للتدريب وترسيخ الجذور النحوية والصرفية في ذهن الدارس. وركز المؤلف على بيان القواعد النحوية التي يحتاج إليها الطلبة كثيرا، وصرح بالمباحث التي لا غنى عنها لفهم تلك القواعد، وقدم التحليل النحوي لكل المباحث النحوية كنموذج. فهذا الكتاب حسب قول المؤلف: "... محاولة متواضعة لتقريب الطلبة إلى النحو وترغيبهم إليه، ومساعدتهم في عملية الإنشاء والترجمة". ويحتوي الكتاب على 210 صفحة، إضافة إلى مقدمة إضافية للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، وتصدير من المؤلف. وتولت نشره جامعة المؤمنات الإسلامية في دوبغا بلكناؤ عام 1999م.

أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها²³:

يحتوي هذا الكتاب على 80 صفحة. وتم نشره للمرة الأولى عام 2007م من المكتبة الندوية بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ. وقد ساهم في إكماله الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي والأستاذ محسن العثماني الندوي والأستاذ عبد الماجد الغوري، وأشرف عليه الدكتور عبد الله عباس الندوي، وهؤلاء الأساتذة ساهموا في هذا العمل الجليل، وجعلوه قابلاً للطباعة والنشر.

وجاء في مقدمة الكتاب: "وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في شتى ميادين اللغة كالقواعد والإملاء والتعبير في شمولية واسعة واستيعاب كامل، بحيث يجد الطالب والقارئ بغيته بسهولة ويسر بعيداً عن التعقيد والتفاصيل المسهبة. ويضم هذا الكتاب حسنات التأليف من حيث إيراد النصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر العربي المنتقى المختار الهادف إلى

²³ الندوي، محمد واضح رشيد وآخرون. أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها. د.ت.

جانِبِ نصوصٍ نثرية متميزة ذات مضمون مفيد وتعبير تخدم الفكرة العامة، وتكون ذخيرة لغوية لكل دارس ومطلع²⁴.

يتمتع الكتاب بالطريق المباشر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بدون واسطة أي لغة، وهذا الطريق لتعليم اللغة لم يكن متداولاً في الأوساط الإسلامية في الهند، فالمؤلفون الآخرون بواسطة هذا الكتاب حاولوا ترويح هذا الأسلوب، لأنه طريق مفيد للغاية لتعلم لغة ما.

ويشتمل الكتاب على ثلاثة مستويات، أما المستوى الأول فهو خاص بالتعبيرات العربية السهلة، والمستوى الثاني بالقواعد، والمستوى الثالث بالنماذج الأدبية شعراً ونثراً.

اللغة العربية الوظيفية²⁵:

قامت بإعداد هذا الكتاب النادر المفيد والأول من نوعه في الهند لجنة من المؤلفين برئاسة البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي، وقد ساعده في إكمال هذا الكتاب كل من البروفيسورة فرحانة الصديقي والبروفيسور حبيب الله خان والدكتور نسيم اختر الندوي.

ويعد هذا الكتاب فتحة جديدة على الكتب القديمة، وكانت بداية لإقامة نظرية جديدة بالنسبة إلى المناهج المتبعة في أرجاء الهند، وهي نظرية تعليم اللغة بطريق مباشر بمساعدة النصوص التي تتخللها قواعد النحو والصرف.

ويشتمل الكتاب على أربعة أجزاء مع الدليل لكل جزء منه. ويتكون كل جزء من الكتاب من وحدتين، وكل وحدة مشتملة على ثمانية دروس.

ويقول البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي عن الكتاب والأهداف المتوخاة من تأليفه: "يتكون هذا المنهج من 8 وحدات في أربعة مجلدات. وكل وحدة تتكون من

²⁴ الندوي، محمد واضح رشيد وآخرون. مقدمة أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها. (رقم الصفحة مطلوب) دت.

²⁵ الندوي، شفيق أحمد خان وآخرون. اللغة العربية الوظيفية، ط1. نيو دلهي: المجلس القومي لترويج اللغة الأردنية، 2002م.

8 دروس، بالإضافة إلى دلالتها المنفصلة المستقلة في أربعة مجلدات أخرى. وتحتوي وحداتها السبع على المحادثات. وأما الوحدة الثامنة والأخيرة فإنها مخصصة للمراسلات التجارية، وللطلبات والنماذج المختارة من بعض الوثائق والمستندات. ولما كان الهدف الأساسي من هذا المنهج هو تقليل الفجوة المتواجدة بين العربية المدروسة والعربية المنطوقة وتوصيل طلاب المدارس العربية الهنود بالتقنيات المعلوماتية الجديدة، فإننا ركزنا على الاهتمام بتعليم الكلمات الوظيفية والتدريب على التعابير العربية السليمة حسب المواقف والظروف والمناسبات، لكي تتوفر الكلمات والتعابير المنشودة لدى الدارس، فتفجر على لسانه عند اللزوم بصورة تلقائية. وأما بالنسبة إلى الدرس فإنه يتضمن نصاً وتدريباً خاصة بالأسئلة، وطلب استكمال الجمل وترتيبها ترتيباً عربياً سليماً، وملء الفراغات، ومحاولة ترسيخ الجذور النحوية والصرفية في ذهن الدارس²⁶.

اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها²⁷:

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب من مطبعة هاورد مالويه نغر بنيو دلهي سنة 2008م باسم "اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها". وأما الاسم الإنجليزي لهذا الكتاب فهو (Basic Arabic for Non-Arabic speakers).

أعد هذا الكتاب المكون من خمسة أجزاء للطلاب الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية كلغة وسيطة لهم. ويتكون الجزء الأول من الكتاب من عشرة دروس وملحق. وتسلط العبارة التالية من مقدمة الكتاب الضوء على الغرض من تأليف هذا الكتاب، فيقول البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي: "وهذا الكتاب الذي نتقدم به إليكم هو الجزء الأول من سلسلة "اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها"

²⁶ المرجع نفسه، ص: 17-19.

²⁷ الندوي، شفيق أحمد خان. مقدمة اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها. نيو دلهي: إسلامك بك سروسز، 2008م.

المكونة من خمسة أجزاء، والموجهة إلى طلاب وطالبات المدارس العصرية التي تستخدم اللغة الإنجليزية كلفة وسيطة لها²⁸. وقد حاول المؤلفون الأفاضل بمن فيهم البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي والبروفيسور أيوب تاج الدين الندوي والدكتور نسيم اختر الندوي، تقديم أنماط لغوية بسيطة مستخدمة في الحياة اليومية، وترسيخها في أذهان الدارسين عن طريق التدريبات اللغوية المتنوعة الخالية من أثقال نحوية وصرفية، ولكنهم أضافوا ملحقا بعد الدروس العشرة في نهاية الكتاب، وأوضحوا فيه القواعد الضرورية، مع ذكر معاني المفردات اللغوية بالإنجليزية، بالإضافة إلى ترجمة توجيهات التدريبات إلى الإنجليزية، لكي يسهل الاستفادة منه دون استعانة أي معلم. في الواقع، إن الكتاب محاولة جادة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، والأمر المهم في هذا الصدد أن الاستفادة من هذا الكتاب سهل للغاية.

تعليم اللغة العربية: طريقة عملية (الأول والثاني)²⁹:

نُشر هذا الكتاب الضخم للدكتور ولي اختر الندوي في جزأين من قبل أكاديمية تحقيق الدراسات الإسلامية الخاصة المحدودة، جامعة نغربنيو دلهي، سنة 2008م. وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب كل ما يحتاج إليه الطالب حول موضوع اللغة العربية نحواً وصرفاً وترجمة وإنشاءً. ويحتوي الجزء الأول لهذا الكتاب على 295 صفحة، والجزء الثاني على 406 صفحات.

ومما يجدر بالذكر أنه لم يكتب المؤلف بذكر القواعد النحوية فقط، بل جعل في الكتاب مكانا صالحا لعلم التصريف والتمارين لكلا العلمين (النحو والصرف).

والكتاب مزدان بتصدير ومقدمة، وأما التصدير فكتبه البروفيسور نعمان خان، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي سابقاً، وأشار إلى أن هذا الكتاب قد صمم لمساعدة الطلاب الذين يودون تعلم اللغة العربية وقواعدها، وخاصة طلبة الدبلوم

²⁸ المرجع نفسه، ص:6.

²⁹ الندوي، ولي اختر. تعليم اللغة العربية: طريقة عملية (الأول والثاني). نيو دلهي: أكاديمية تحقيق الدراسات الإسلامية الخاصة المحدودة، 2008م.

والشهادات في العربية التابعة لجامعة دلهي. ويعد الكتاب من الكتب الشاملة للموضوع، وسيخدم كدليل مفيد للطلاب الذين يتعلمون اللغة العربية دون مساعدة الأستاذ.

ويحكي المؤلف نفسه قصة تأليف هذا الكتاب قائلاً: "حينما انضم إلى سلك التدريس بجامعة دلهي فُوض إليه تدريس قواعد اللغة العربية، فكان من عادة المؤلف أنه يكتب كل ما يدرسه ويوزعه بين الطلبة بعد إنهاء ذلك الموضوع. والرد الذي لاقى تجاه هذا العمل كان دافعا ومحركا إلى الأمام ونهائيا إلى تأليف هذا الكتاب بعد إدخال تعديلات وإضافة تمارين إليه"³⁰.

ويستهدف الكتاب الطلبة الذين يستطيعون قراءة النصوص والكلمات العربية ونطقها بسهولة، ولديهم معرفة تامة عن الحروف الشمسية والقمرية. والكتاب موزع بين أساسيات وفصلين وملحق. ففي الأساسيات شرح المؤلف بإيجاز بعض القواعد الأساسية للغة العربية مع إيراد الأمثلة كالأبجدية العربية والتذكير والتأنيث والتذكير والتعريف والمفرد والمثنى والجمع وما إلى ذلك.

والفصل الأول للكتاب مقسم إلى 21 وحدة، ويعالج الجملة الاسمية في أشكالها المختلفة، وكل وحدة تناقش قاعدة واحدة فقط، وكل وحدة تبتدئ بعدد من الأمثلة مع بيان المعاني الحرفية لتلك الحروف، ثم المعنى الكامل للجملة. ولتبسيط النقاط النحوية والصرفية تم شرح وإيضاح القاعدة كلها في فقرة جديدة، وأبرزت النقاط المهمة. وعند نهاية كل الوحدات، تم تقديم عديد من تمارين الترجمة للتدريب، وكل وحدة لها صلة بالوحدة التالية.

ولقد حاول المؤلف كل المحاولة لجعل هذا الكتاب سهلاً وبسيطاً للمتعلمين، وأوضح كل قاعدة بأسلوب يدفع الطالب إلى الأمام تدريجياً من الجمل البسيطة إلى الجمل المعقدة. واعتنى المؤلف بالقواعد اعتناء يناسب مستوى الطالب العلمي في تلك المرحلة.

³⁰ المرجع نفسه، ورقم الصفحة مطلوب

وفي الفصل الثاني، وتمت مناقشة الجملة الفعلية. فمن الوحدة الأولى حتى الوحدة السابعة، ناقش المؤلف المعروف من الفعل الماضي والفعل المضارع، والمجهول من كلا النوعين، إلى جانب فعل الأمر والنهي، مع إيراد تمارين عديدة. وفي الوحدات التالية، عالج المؤلف أوزان الفعل الثلاثي المجرد، غير أنه لم يذكر (المعتل والمضاعف) الأفعال غير الصحيحة في الأمثلة ولا في التمارين، لكي لا يختلط الأمر على المتعلم. وأضاف المؤلف 12 تصريفاً كاملاً للمعتل والمضاعف في الماضي والمضارع والأمر والنهي في ملحق للكتاب. وفي الملحق، جاء المؤلف أيضاً بحروف الجر، وظرف في الزمان والمكان، وأيام الأسبوع، وأسماء الشهور، والعدد الأصلي والوصفي، وأفعال صحيحة كثيرة الاستعمال، وأفعال غير صحيحة كثيرة الاستعمال، ومسرد للكلمات العربية-الإنجليزية، والإنجليزية-العربية. وختم الجزء الأول والثاني بمسرد المفردات الواردة في كلا الجزأين ومعانيها بالإنجليزية.

خلاصة البحث:

لقد تعرفنا فيما سبق على الإسهامات الأكاديمية الفعالة التي قدّمها الأكاديميون البارزون المنتمون إلى دار العلوم لندوة العلماء في مجال تأليف كتب أو كتيّبات تعرض القواعد النحوية والصرفية بشكل مبسط وجميل، وهو ما قد حبّب اللغة العربية إلى دارسيها وحتى مدرسيها أيضاً. ومن خلال الصفحات التي مرت، يمكننا أن نتأكد من أن دار العلوم لندوة العلماء ساهمت في تقليل حجم المشاكل التي قد تحول بين المتعلم وتعلمه اللغة العربية، ونجحت في تأطير منهج اللغة العربية وتقديم مادة تعليم وتعلم هذه اللغة في أسلوب يسهل تناوله. ومما ينبغي أن لا يغيب عن البال أن المتعلمين للغة العربية قبل صدور هذه المحاولات الجديرة بالتقدير والثناء، كانوا يضطرون إلى تعلم القواعد العربية باللغة الفارسية، وكان ذلك يمثل تحدياً كبيراً لدى الطلاب في سبيل تعلم العربية.

المصادر والمراجع:

- بحري آبادي، مشير الحق. تفهيم الدروس، ط1. لکناؤ: مكتبة تعليمات إسلام، 1952م.

- رحيم آبادي، احتشام علي. تفهيم الدروس (الأول والثاني). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام.
- الندوي، السيد سليمان. دروس الأدب (الجزء الأول والثاني). أعظم جراه: مطبعة معارف، 1388هـ.
- الندوي، السيد عنايت الله. النحو الميسر. لکناؤ: مكتبة الشباب الجديدة. دت.
- الندوي، السيد عنايت الله. تمرين النحو (الجديد) الجزء الأول. دت.
- الندوي، سراج الدين. تحفة النحو، (الجزء الأول)، ط1. دلهي: مركزي مكتبه إسلامي، 1995م.
- الندوي، شفيق أحمد خان وآخرون. اللغة العربية الوظيفية، ط1. نيودلهي: المجلس القومي لترويج اللغة الأردية، 2002م.
- الندوي، شفيق أحمد خان. اللغة العربية الأساسية لغيرالناطقين بها. نيودلهي: إسلامك بك سروسز، 2008م.
- الندوي، شير أفغن. فيض النحو، ط1. لکناؤ: جامعة المؤمنات الإسلامية، 1999م.
- الندوي، عبد السلام القدوائی. تمرين الدروس (الثاني). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام، 1959م.
- الندوي، عبد السلام القدوائی. تمرين الدروس (الأول). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام، دت.
- الندوي، عبد السلام القدوائی. تمرين الدروس (الثالث). لکناؤ: إدارة تعليمات اسلام، 1959م.
- الندوي، عبد السلام القدوائی. سلسلة لتعليم اللغة العربية القرآنية (في أربعة أجزاء). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام. دت.
- الندوي، عبد السلام القدوائی. عربي زبان کے دس سبق، ط1. لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام، 1954م.
- الندوي، عبد السلام القدوائی. قرآن مجید کی پہلی کتاب (في أربعة أجزاء). لکناؤ: إدارة تعليمات إسلام. دت.
- الندوي، عبد الله عباس. تعلم لغة القرآن الكريم. دلهي: مكتبة فريد. دت.
- الندوي، عبد الله عباس. دروس الأطفال. لکناؤ: مكتبة دين ودانش، 1951م.
- الندوي، عبد الماجد ومحمد الرابع الحسنی الندوي. معلم الإنشاء (في ثلاثة أجزاء). لکناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر.
- الندوي، محمد شهاب الدين. آسان عربي زبان. بنغلور: أكاديمية فرقانية. دت.

- الندوي، محمد مصطفى. تمرين النحو. لكاناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر. د.ت.
- الندوي، محمد واضح رشيد ومحسن عثمانى الندوي وعبد الماجد الغوري. أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها. د.ت.
- الندوي، مسعود عالم. الترجمة العربية. لاهور: معهد القرآن، 1954م.
- الندوي، مظهر الحق. مظهر النحو (أربعة أجزاء). د.ت.
- الندوي، ولي أخت. تعليم اللغة العربية: طريقة عملية (الأول والثاني). نيودلهي: أكاديمية تحقيق الدراسات الإسلامية الخاصة المحدودة، 2008م.

ندوة العلماء تختار اللغة العربية كبدل ثقافي عن الثقافة الإنجليزية

د. تبريز أحمد*

Email: tabrez49@gmail.com

ملخص البحث:

نسعى في هذا البحث إلى دراسة تطور ندوة العلماء -الحركة الإسلامية التجديدية- التي تأسست في أواخر القرن التاسع عشر وتركزت نشاطاتها في مؤسستها التعليمية، وإلى تحليل اختيارها اللغة العربية كلفة التدريس والكتابة والتواصل مع العالم الإسلامي وتقويم جهودها للجمع بين العلوم الإسلامية الأساسية والعلوم الإنجليزية الحديثة، في خضم الفلسفات التربوية المتناقضة، بينما كانت الحركات الإصلاحية والتجديدية الأخرى التي نشأت في القرن التاسع تمسكت بأي منهما، ولم تتطرق إلى الهجنة. يتناول البحث أيضاً فهم كيفية تنفيذ هذه الهجنة، خاصة يحاول البحث أن يجادل أن اختيارها اللغة العربية كان بمثابة رفضها الواعي لكونها مجرد مترجمة بين الحاكم والمحكوم، وتأكيد الواعي لكونها مترجمة بين الفضايات الإسلامية الفكرية.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، العلوم الإسلامية، ندوة العلماء.

Abstract:

The paper tries to study the evolution of Nadwatul Ulema, (the council of Ulema), a revivalist Islamic movement founded in the late nineteenth century with its major focus on education, and to analyse its conscious choice of the Arabic language as the medium of instruction, and to evaluate its efforts to synthesize fundamental Islamic sciences with the utilitarian modern sciences, navigating through contradictory educational philosophies, in a time when the other reformist and renewal movements that arose in the 19th century adhered to either of them, and did not go for hybridity. The research also deals with understanding how this hybridization was operationalized. Especially, it tried to argue that her choice of the Arabic language was akin to its conscious rejection to be mere interpreter between ruler and ruled and conscious assertion to be interpreter between the transnational intellectual Islamic spaces.

* باحث في المركز الثقافي الهندي العربي، الجامعة المللية الإسلامية، نيودلهي، الهند.

مقدمة:

تُعد اللغة وسيلة قوية للتعبير: التعبير عن الأفكار والعواطف، والتعبير عن المفاهيم والمشاعر المعقدة، والتعبير عن الهوية الثقافية والقيم الخلقية والاجتماعية. وهي أيضاً تستخدم كوسيلة للتفاعل الاجتماعي. ولكن من اللافت للنظر أنها ليست وسيلة فقط كوعاء خالٍ يستخدم للوضع والنقل بل كل لغة لها محتوياتها الخاصة بها ولا تتجزأ منها. فمحتوياتها تمثل ثقافة خاصة لطبقة خاصة، ولذلك في عصرنا الحديث تدرس اللغة ليس فقط كوسيلة للتعبير والتواصل، والتفاعل الاجتماعي بل أنها تدرس أيضاً كعامل قوي لخلق الهويات وتشكيل الخطابات المعرفية، والأيديولوجيات السياسية. فتم معالجتها في كثير من العلوم والدراسات الأكاديمية من نواح شتى، أحيانا، كموضوع للدراسة، وأخرى، موقعا للدراسة، فيتم التركيز الخاص عليها في الدراسات ما بعد الكولونية، والدراسات الجنساوية والدراسات النفسية والدراسات الثقافية.

الثقافة الإسلامية في العهد الإسلامي في الهند:

فبانطلاقاً من أن هيمنة اللغة تشير إلى هيمنة الثقافة، والثقافة لها طبقة، كانت الثقافة الفارسية الإسلامية غالبية في عهد الترك والمغول في الهند وفي آسيا الوسطى كثقافة حاکمة لأن اللغة الفارسية كانت لغة رسمية بصفتها لغة القراءة والكتابة والتعليم والتدريس، ولغة الديوانية والبيروقراطية الملكية ولغة التواصل بين الحاكم والمحكوم. ولذا في ظلها وخلالها ظهر الثقافة الفارسية الإسلامية وترعرعت واكتسحت الهند وآسيا الوسطى. بدأت هذه الثقافة تتشأ حينما وصل الأتراك المسلمون في الهند كفاتح وحاكم. تركزت هذه الثقافة على أربع دعائم، وهي: اللغة الفارسية والأدب الفارسي، والتركيز الرئيسي على المعقولات من العلوم الإسلامية والتصوف الذي قام على فلسفة وحدة الوجود التي راجت وعمت في الهند عن الطريق الجشيتية من الطرق الصوفية¹.

¹ Robinson, Francis. *The 'Ulama of Farangi Mahall and Islamic Culture in South Asia*, London: Hurst & Company, 2001, PP. 9-40.

وفي مقابلها، كانت هناك ثقافة عربية إسلامية بدأت تنشأ في الهند منذ أن دخل العرب والمسلمون في الهند للتجارة عن طريق التوابل من الطرق السلوكية وظلت تنمو وتزهر ببطء في ظل محاولات علمية قام بها العلماء عبر القرون بدون معونة حكومية كافية. ظلت هذه الثقافة العربية كامنة تحت سيطرة الثقافة الفارسية الإسلامية الحاكمة، لأن اللغة العربية لم تكن لغة التواصل بين الحاكم والمحكوم أو لغة التفاعل الاجتماعي في الهند، لكنها مع ذلك كانت تحتل مكانة القداسة بين المسلمين وأدّت علامات لغة القداسة دوراً في خلق شعور اجتماعي للرابطة الإسلامية العالمية والتضامن الإسلامي والأمة الإسلامية الدينية، لأن الأمم ليست مجرد كيانات سياسية ولكنها أيضاً بناءات ثقافية وإن الانتماء إلى الأمة هو بناء ثقافي واجتماعي. "فالثقافات القدسية الكبرى"، كما يجادل بينديكت أندرسن في كتابه "الجماعات المتخيلة"، "تشتمل على تصور جماعات هائلة" وأن هذه الجماعات تترايط من خلال اللغات المقدسة وأن تخيلها "كان يجري في قدر كبير منه عبر وسيط اللغة المقدسة والنص المقدس المدون، لأن حين يلتقي مسلم من ماجنادانا مع مسلم من البربر في مكة من دون أن يعرف أحدهما أي شيء من لغة الآخر ويعجز عن التواصل الشفهي معه، فإنهما يفهمان على الرغم من ذلك علامات أحدهما الآخر الكتابية، لأن النصوص المقدسة التي يتقاسمانها لا توجد إلا بالعربية الفصحى"². وإلى جانب احتلال اللغة العربية مكانة القداسة في الهند للترايط بين الرابطة الإسلامية العالمية، ازدهرت اللغة العربية في ايجاد الأدب العربي، ولو بقدر بسيط، والعلوم الإسلامية³. فبمثل الثقافة الفارسية تقوم الثقافة العربية أيضاً على ركائز اللغة العربية والأدب العربي والاهتمام الخاص بالمنقولات من العلوم الإسلامية خاصة العناية بعلم الحديث الشريف، والتصوف الذي قام على فلسفة وحدة الشهود

² أندرسن، بينديكت. الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: نائر أديب، ط1. بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009م، ص:57.

³ Ahmad, Zubaid. *The contribution of India to Arabic literature: From Ancient times to the Indian Mutiny of 1857*. Punjab: Maktab-i-Di-o-Danish, 1946.

التي عمت عن الطريق النقشبندية من الطرق الصوفية خاصة والبعد عن العادات الهندوسية التي تغاير العربية⁴.

ومع انهيار الحكومة المغولية إلى عدة حكومات صغيرة ظلت الثقافة الفارسية تذوب ببطء في ظهور اللغات المحلية من خلال طباعة الرأسمالية، ولا سيما ظهور اللغة الأردية، وأيضاً أن اللغة الفارسية، مع بداية قيام الحكومة الانجليزية في الهند، لم تعد ثقافة غالبية في الهند لأنها لم تعد تستعمل في المؤسسات الحكومية، وأن اللغة الفارسية كانت تحمل ثقافة إسلامية استغريتها الحركات الإصلاحية والإحيائية والتجديدية لكونها "ممتزجة بالعقائد الوثنية ومختلطة بأوهام المتصوفة عن وحدة الوجود والحلول والبروز ومدنسة بأنواع من الشرك"⁵ والتي تم وصفها في الكتابات الندوية "بإسلام اليد الثانوية"⁶ لأنها لا ترتبط بالكتاب والسنة برابط مباشر ولا يتمكن من الإحياء والتجديد والبعث الإسلامي. ندوة العلماء قامت على التيارات الإحيائية والتجديدية التي انبثقت من مدرسة الشاه ولي الله والتي تمثل الثقافة العربية الإسلامية في الهند.

الثقافة الإنجليزية في الهند:

في سنة 1813م، أصدر برلمان المملكة المتحدة القانون تجديداً لميثاق شركة الهند الشرقية ويسمى هذا القانون بقانون الميثاق لعام 1813م والذي حصل على الموافقة الملكية في 21 يوليو عام 1813م، وفقاً لهذا الميثاق تم تخصيص مئة ألف روبية لتتفق على تعليم السكان الأصليين ولإحياء الأدب الهندي وتعزيز التعليم بين الجماهير الهندية. ولكن بدلاً من حل مشكلة التعليم في الهند، قام هذا القانون

⁴ Alavi, Seema. *Muslim Cosmopolitanism in the Age of Empire*, London: Harvard University Press, 2015, pp. 33.

⁵ الندوي، مسعود عالم. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند. دار العروبة، دت، ص: 11-15.

⁶ الندوي، أيوب. محمد الحسني: حياته وآثاره، ط1. جمو وكشمير: مؤسسة الفيصل التعليمية، 2004م، ص: 25.

بإثارة وتصعيد ما يعرف في التاريخ الهندي بالجدل الاستشراقي-الإنجيلي⁷ بصدد على أي نوع من التعليم ينبغي أن تتفق هذه المخصصات المالية. دعا المستشرقون⁸ إلى أن ينفق المال على التعليم الشرقي حيث تكون اللغة السنسكريتية والعربية والفارسية وسيلة للتعليم مستدلين بأن في الهند يجب أن تكون الإدارة البريطانية على الطريقة الهندية مستفاداً بتعليمها وقانونها وأخلاقها وعاداتها وطقوسها وتقاليدها.

وإلى جانب آخر، دعا الإنجيليون⁹ الذين يؤمنون بتفوق الأفكار المسيحية والمؤسسات الغربية، إلى أن ينفق كل المال على التعليم الغربي وينشر من خلال اللغة الإنجليزية ويستدلون بأن العلم الشرقي ليس في وسعه تحسين ظروف الهنود ولا يحقق أي أغراض نفعية للإدارة الاستعمارية البريطانية في استمرار هيمنتها واستغلال موارد الهند لصالح إمبراطوريتها.

ولذا في سنة 1835م، قدم العالم النفعي توماس بايندر ميكاوولي، الذي كان رئيساً للجنة العامة للتعليم العام، وثيقته التعليمية التي تم الموافقة عليها من قبل الحاكم العام للهند وويليام بينتينك. تعتبر هذه الوثيقة بداية لتعليم اللغة الإنكليزية في الهند، وكان لها تأثير بارز على نظام التعليم في الهند حتى الآن.

إن ميكاوولي لم يقصد بوثيقته تعليم اللغة الإنجليزية فقط، خالية عن محتوياتها الخاصة بها، بل إنه أراد بها للثقافة الإنجليزية الحديثة التي تبرر وجود الاستعمارية البريطانية في الهند على حساب الثقافة الهندية والإسلامية الشائعة في المؤسسات التعليمية في ذلك الوقت. إنه أراد بتعليم اللغة الإنجليزية الثقافة الإنجليزية التي

⁷ For the Orientalist-Evangelical Controversy, see: Moir, Martin and Zastoupil, Lynn, **The Great Indian Education Debate: Documents Relating to the Orientalist-Anglicist Controversy, 1781-1843**, New York: Rutledge, 1999.

⁸ أثناء الجدل التعليمي في الهند في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، تم تسمية المستشرقين على أولئك الذين كانوا في حق تعليم العلوم الشرقية: الإسلامية والهندية. من أبرز محاميها للعلوم الشرقية وارين هاستينغز (1773-1785) أول حاكم عام على الهند.

⁹ خلال الجدل التعليمي، الإنجيليون هم الذين كانوا في تعليم اللغة الإنجليزية في الهند ومن أبرز محاميها تشامس غرانت، توماس ميكاوولي، جيمس مل، وويليام بينتينك وغيرهم.

تستعد، حسب قوله "طبقة هندية بالدم واللون، لكن إنجليزية بالأذواق والآراء والمعتقدات والأخلاق والأفكار"¹⁰ والتي "يمكن أن تكون مترجمة بيننا وبين الملايين الذين نحكمهم"¹¹.

يجادل برنارد س. كوهن في كتابه "الاستعمار وأشكاله من المعرفة: الهند البريطانية" أن الغزو الاستعماري لم يكن نتاج قوة الأسلحة المتفوقة والتنظيمات العسكرية، أو السلطة السياسية، أو الثروة الاقتصادية فحسب، بل نجح الغزو الاستعماري بفضل تقنيات الحكم الثقافية بقدر ما نجح بفضل أساليب الغزو المادي. في هذا المعنى كان الاستعمار في حد ذاته مشروعاً ثقافياً للسيطرة¹².

وكذلك تقول الأكاديمية الأمريكية المتخصصة في ما بعد الاستعمارية، الأستاذة في العلوم الانسانية في جامعة كولومبيا الأمريكية غوري فيشفاناثن في كتابها "أقنعة الغزو: الدراسة الأدبية والحكم البريطاني في الهند" موضحة دور تعليم اللغة الانجليزية وأدبها في بناء وتوطيد الحكم الإمبراطوري البريطاني وكيف غالباً ما كانت تهتم بتلبية احتياجات الطبقة الحاكمة، أن الأدب الإنجليزي واللغة الإنجليزية لعبت دوراً كان بمثابة أداة للمستعمرين البريطانيين لتأكيد هيمنتهم وتثبيت سيطرتهم على الهند بمعنى أنهم استخدموا النصوص الأدبية الإنجليزية لإضفاء الشرعية على السلطة الاستعمارية وتعزيزها، وأيضاً أن اللغة الإنجليزية ساهمت في إرساء الهيمنة الثقافية الاستعمارية في الهند ولم تكن النصوص الإنجليزية وسيلة للتواصل فحسب، بل كانت أيضاً وسيلة لتشكيل المشهد الثقافي والفكري، والتأثير على الطريقة التي ينظر بها الهنديون إلى أنفسهم وإلى مستعمرهم، وأيضاً أن اللغة الإنجليزية ساهمت في بناء المعرفة حول الهند وتشكيل الهويات الاستعمارية،

¹⁰ Rahman, Tariq. **Language and Education (Selected Documents:1780-2003)**. Islamabad: National Institute of Pakistan Studies, 2004, p. 88.

¹¹ المصدر نفسه.

¹² Bernard S. Cohn, **Colonialism and Its Forms of Knowledge: The British India**, Princeton: Princeton University Press, 1996, p. IX

وأيضاً أنها لعبت دوراً في تشكيل نظرة النخبة الهندية وساهم في خلق طبقة من الناس التي كانت أكثر توافقاً مع القيم البريطانية من القيم الهندية التقليدية¹³. وخير مثال هذه الطبقة التي كانت أكثر توافقاً مع القيم البريطانية من القيم الهندية التقليدية هو خريجي مدرسة العلوم التي أسسها السير سيد أحمد خان في مدينة علي كراه عام 1875م والتي تعرف فيما بعد بجامعة عليكراه الإسلامية حينما تم اعترافها الرسمي كجامعة من قبل الحكومة الهندية البريطانية سنة 1920م، وذلك لأن السير سيد أحمد خان استقبل، استجابة لدعوة ميكاولاي، تعليم اللغة الإنجليزية بكل محتوياتها الثقافية والسياسية والفكرية والمعرفية الحديثة، معتبراً إياها وسيلة وحيدة للتحويل والتقدم في الهند¹⁴.

وفي جانب آخر، تأسست دار العلوم بديوبند في عام 1866م، مقاومة لخطر ما يترتب من تعليم اللغة الإنجليزية على العلوم الإسلامية القديمة، وللحفاظ على التراث الإسلامي وتلبية الحاجات الروحانية وسد المتطلبات الاجتماعية للمسلمين في الهند، فلذا اتخذت للتدريس والتواصل والتفاعل مع عامة المسلمين اللغة الأردية التي ظلت تحتل مكاناً مركزياً في الأوساط العلمية الإسلامية في شمال الهند من خلال ظهور وسائل الإعلام المطبوعة. وتمسكت دار العلوم بديوبند بالعلوم الإسلامية القديمة بأسرها، بصالحها وطالحها وعضت عليها بالنواجذ حتى لم تتمكن من تقديم بديل ثقافي عن الثقافة الإنجليزية الحديثة الغالبة مع أنها تمكنت، إلى حد كبير، من الحفاظ على التراث الإسلامي القديم ومن الترويج والتركييز على الحديث الشريف ومواجهة المشروع الثقافي الاستعماري¹⁵.

¹³ Viswanathan, Gauri. **Masks of Conquest: Literary Study and British Rule in India**, New York: Columbia University Press, 1989. The argument runs through the book.

¹⁴ Lelyveld, David. **Aligarh's First Generation: Muslim Solidarity in British India**, New Jersey: Princeton University Press, 1978, pp.113-118

¹⁵ Metcalf, Daly Barbara. **Islamic Revival in British India: Deoband, 1860-1900**, New Jersey: Princeton University Press, 1982, pp.200-258.

ندوة العلماء وفكرها الأساسي:

على هذه الخلفية، تأسست ندوة العلماء عام 1892م كرابطة للعلماء الكبار في الهند الذين يفكرون في خلق ثقافة إسلامية عالمية تتمكن ليس فقط من مواجهة الثقافة الإنجليزية بل من تقديم بديل ثقافي عن الثقافة الإنجليزية. وارتكزت ندوة العلماء على مبدئين رئيسيين اشتق منهما كثير، هما: توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم والجمع بين صالح العلوم الإسلامية القديمة وما ينفع من العلوم الغربية الحديثة. فاخترت ندوة العلماء تعليم اللغة العربية كلغة حية عالمية لتقدم بديلاً ثقافياً عربياً مقابل الثقافة الإنجليزية الحديثة وعالمية أديها ولغتها واسترعت جل اهتمامها في التركيز على اللغة العربية وثقافتها والذي يتمثل في شتى نواح: منها العناية الجديدة بإحياء العلوم النقلية كالقرآن والحديث، والاعتماد على نصوصها الأصلية بالعربية، والميل إلى المنهجية السلفية لتعبيرها وشرحها وتفسيرها وترك البحوث الكلامية الجامدة التي تعتمد أساساً على المنطق اليوناني، والتعويض عنه بالتعامل الجدي النقدي مع العلوم الحديثة النافعة¹⁶.

في البداية، اجتمع معظم الفرق والجماعات المسلمة تحت رؤية ندوة العلماء لكن سرعان ما ظهرت تناقضات داخلية وانفصلت عنها جماعة أهل الشيعة والجماعات الصوفية التي تستمد من فلسفة وحدة الوجود وتمارس الرسوم الهندوسية-الإسلامية والتي تعرف في العلوم الاجتماعية والدراسات الثقافية بـ"الثقافة التوفيقية"¹⁷ والتي راجت في المناطق الريفية من الهند بين الطبقات الفقيرة والتي تشكلت بالاحتكاك مع تعدد الثقافة الهندية إما تحريفاً وبدعةً للإسلام العربي أو كما يجادل عاصم

¹⁶ أنظر للتفصيل: الندوي، أبو الحسن. *ندوة العلماء: مدرسة فكرية شاملة*. لكاناؤ: مطبعة ندوة العلماء، دت، ص: 1-8، الندوي، أبو الحسن. *موقف المسلمين في الهند من التعليم والتربية ودورهم في إثراء التاريخ الإسلامي*، لكاناؤ: المجمع العلمي الإسلامي، دت.

¹⁷ ما يعرف في الكتابات الإنجليزية بالثقافة التوفيقية Syncretic Culture يعرف في الكتابات الندوية بمحاولات لوحد الأديان. والتيارات الإحيائية لا توافق مع فكرة وحدة الأديان بل تقدم بدلاً منها فكرة الرسالة الإنسانية والتعامل الاجتماعي بالتسامح.

روي، تطورت تاريخياً مستقلاً في منطقة مختلفة تماماً عن الشرق الأوسط¹⁸. ولم يبق في رأيها إلا العناصر التي كانت تخضع للتيار الإحيائي الإسلامي والتي تتحدر من السلالة الفكرية لشاه ولي الله الذي هو قام بدور كبير في إبقاء وتطوير الثقافة العربية في الهند ووالده الشاه عبد الرحيم أنشأ مدرسة تعرف فيما بعد باسم "مدرسة رحيمية" ويدرس فيها منهج دراسي يختلف عن منهج ملا نظام الدين "درس نظامي" وركز فيه على العلوم الإسلامية التي تساند الثقافة العربية الإسلامية¹⁹.

ولذا، لتقديم بديل ثقافي عن الثقافة الإنجليزية الحديثة، اختارت ندوة العلماء اللغة العربية للتعبير عن القيم والتراث العربي في عصر التغيير والتطور الثقافي وتشكيل ثقافة عالمية، لأنها لم تكن هناك أي لغة غيرعربية تصلح لهذه الأغراض لأنها لم تحظ أي منها بشعبية عالمية وقداسة دينية شاملة وأيضا أن النصوص الأساسية للإسلام لم تكن إلا باللغة العربية. ولكن قبل أن نتحدث عن البديل الثقافي عن الثقافة الإنجليزية، يجب علينا أن نفهم أولاً المشروع الثقافي الاستعماري والأساسيات التي بني عليها صرح الحداثة والثقافة الإنجليزية، لكي نفهم التكوينات الأساسية والتشكيلات الرئيسية للثقافة العربية الإسلامية وكيف قامت موازية للثقافة الإنجليزية.

للحداثة نقطتان أساسيتان في التاريخ الفكري الأوروبي، إحداها متجذرة في النهضة الإيطالية للقرن السادس عشر والأخرى متأصلة في مشروع التنوير. ولكن ركز كلاهما على "الإنسانية" وفهم النزعات الإنسانية. تُعرف إنسانية عصر النهضة بالإنسانية الأدبية لأنها ركزت إلى حد كبير على الأدب والفنون بينما تسمى إنسانية التنوير بالإنسانية العلمية لأنها جعلت الإنسان مصدراً للمعرفة العلمية.

¹⁸ Roy, Asim. **The Islamic Syncretistic Tradition in Bengal**, New Jersey: Princeton University Press, 1983, pp: 69-72

¹⁹ Hartung, Jan-Peter. "Standardizing Muslim Scholarship: The Nadwatul Ulema", **Assertive Religious identity: India and Europe**, New Delhi: Manohar, 2006, p:121-140.

كثيراً ما يعتبر عصر النهضة الإيطالية، الذي ازدهر في فترة ما بين القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر، فجر الحداثة، ويتميز بإحياء التعلم الكلاسيكي، والاهتمام المتجدد بالإمكانات البشرية، والتركيز على الفرد. فركزت إنسانية عصر النهضة على دراسة النصوص الكلاسيكية، والاحتفال بالإبداع والإنجاز الإنسانيين. وشددت على أن الإنسان هو الذي يشكل مصيره فمصيره لا يتعين بقوات خارقة للطبيعة. تتمثل هذه الفكرة في التحول الكبير عن هيمنة السلطة الدينية في تشكيل الخطاب الفكري وتكوين رؤية عالمية أكثر علمانية ومتمحورة حول الإنسان. وكما لاحظ ديدرو، مفكر النهضة الإيطالية "لقد أصبح الإنسان المكان الوحيد الذي يبدأ منه كل شيء، والذي إليه ينتهي كل شيء". ومن هنا ظهر فرع من الدراسات يعرف باسم الدراسات الإنسانية أو العلوم الإنسانية. ويسمى هذا الفرع بالعلوم الإنسانية لأنه، كما يؤكد عالم النهضة الإنساني ليوناردو برونو، يقدر على تشكيل الإنسان المثالي وإنتاج الإنسان الكامل أو التمثيلي، وبالتالي يتفوق على فروع المعرفة التي لا تأتي ضمن العلوم الإنسانية. الفروع من المعرفة التي لا تندرج تحت العلوم الإنسانية هي: المنطق والرياضيات والعلوم الطبيعية وعلم الفلك والطب والقانون وخاصة العلم الكلامي الإلهي وما يتفرع منه. في جملة، تتفوق علوم الإنسان على علوم الطبيعة في الخطاب النهضوي الإيطالي²⁰.

وفي جانب آخر، جعلت إنسانية عصر التنوير الإنسان مصدراً للمعرفة العلمية وركزت على حقوق الإنسان والحريات الفردية، ورفضت التقاليد القديمة التي قد تقيد حرية التفكير والتتقيب. وكان مشروع التنوير يهدف إلى تحرير الفكر الإنساني من الخرافات والعقيدة الدينية. فبالجملة، يمكن القول بأن إنسانية عصر النهضة تهدف إلى الأغراض التربوية من خلال العودة إلى دراسة النصوص الكلاسيكية الأصلية كما تهدف إنسانية التنوير إلى الأغراض المنهجية المعرفية من خلال جعل الإنسان مصدراً للمعرفة ورفض المصادر الأخرى للمعرفة.

²⁰ Gandhi, Leela. *Post-colonial Theory: A Critical Introduction*, Sydney: Allen & Unwin, 1998, pp. 27-31.

ولذلك، حينما رفض ميكاولاي بغطرسة العلوم الشرقية في وثيقته التعليمية قائلاً "إن رفأً واحداً من مكتبة أوروبية جيدة يساوي ويستحق كل الأدب المحلي في الهند والجزيرة العربية"²¹ إنه ردد صدَى الإنسانيتين التربوية والمنهجية المعرفية وقصد به ثلاثة أشياء: 1: منهجية العلوم الشرقية لاهوتية غير إنسانية لا تقوم على أصول علمية، 2 وهي تشتمل على العلوم التي لا تقدر على تشكيل الإنسان الكامل أو الإنسان المثالي، 3 والمتقف بهذه العلوم لا يفي الحاجات الاستعمارية بحيث لا يكون، بلفظ ماكولاي "مترجماً بيننا وبين الملايين الذين نحكمهم".

ولذلك يجب علينا أن نفهم حركة ندوة العلماء للإصلاح في المنهج الدراسي في السياق التربوي والمنهجي للحدثة الغربية. كمثل إنسانية عصر النهضة، دعت ندوة العلماء أيضاً إلى ترك العلوم الإلهية الغامضة والمنطق اليوناني، ودعت إلى التركيز على النصوص الأساسية للإسلام مثل القرآن والحديث مستفيدة من المنهجية السلفية للشرح والتفسير لبناء إنسان إسلامي مثالي أو كامل. واقتُرحت تدريس هذه النصوص مباشرة باللغة العربية.

وحينما قال شبلي النعماني مع الأعضاء الآخرين لندوة العلماء إن المنهج النظامي لا يقدر على إنتاج باحثين يمكنهم فهم تحديات العصر الحديث وأنه متوسخ بالمناقشات الكلامية التي لا داعي لها، ربما كانت مفيدة في العصور الوسطى، ولكن في العصر الحديث فقد فائدته، إنه ردد صدَى الخطاب النهضوي الإيطالي في رفضه العلوم الكلامية والمنطقية ودعوته إلى دراسة النصوص الكلاسيكية، ويقول شبلي:

وإن هذه العلوم اليونانية ليست علومنا الدينية ولا يتوقف عليها فهم دينها ومعرفته، إن الإمام الغزالي في عصره قد ضم هذه المواد الدراسية إلى مناهج التعليم في عصره لكي يطلع العلماء على الأساليب الجدلية اليونانية التي نشطت في نشرها الفرقة

²¹ Rahman, *Language and Education*. p: 78.

الباطنية في ذلك العصر، ويقاوموا بذلك حركة الإلحاد المتفشي في ذلك العصر. لكن الآن لا وجود لأولئك الملاحدة ولا لتلك العلوم اليونانية، ولا يعقد صدقها وصحتها المتورون ولا من يدعى الفطنة لذلك فقدت تأثيرها ولا خطر على الاسلام اليوم منها، وقد احتلت مكانها علوم حديثة وقضايا جديدة ودراسات وأبحاث جديدة، وقد أصبح من الضروري أن يطلع علماءنا على الأبحاث الجديدة والعلوم العصرية المفيدة ليقدموا حلولاً للعضلات الحديثة، وليردوا على الشبهات رداً علمياً مؤسساً على الدراسة والتحقيق²².

وإذا قمنا بتوسيع حجة شبلي بقليل، فيمكن القول بأن رفض ماكولاي للمعرفة الشرقية ودعوة شبلي لإصلاح الدرس النظامي متشابهان منطقياً إلا أن ميكاولاي قد أفرط في تعميم العلوم الإسلامية ولم يتمكن من التمييز بين النصوص الإسلامية الأساسية والمناقشات اللاهوتية المصاحبة لها. وأشار شبلي أيضاً إلى نوعين من المفهوم الإسلامي للعلوم التي كانت رائجة في العصور الوسطى أي العلوم المقصودة بالذات والعلوم الآلية²³ فتوخت العودة إلى العلوم الأساسية المقصودة بذاتها واستبدال العلوم الآلية القديمة بالعلوم الآلية الحديثة.

فيتخلص تركيز ندوة العلماء على تدريس اللغة العربية إلى أربعة أسباب محددة؛ أولاً: تساعد اللغة العربية على إعادة النظر في النصوص الإسلامية النقية وتفسيرها في سياق حديث، وثانياً، تساعد على التواصل مع العالم الإسلامي الكبير جغرافياً ونصياً، زمانياً ومكانياً، وثالثاً: تساعد على إعادة تنظيم الحياة الاجتماعية للمسلمين ليتشكل مجتمع إسلامي أقرب إلى مجتمع الفترة الأولى المثالية للإسلام لأن اللغة العربية ليست مجرد لغة أخرى في العالم، بل هي أيضاً لغة قداسية تتوفر بها النصوص الإسلامية الأصلية الأساسية، ولها طاقة روحية مقدسة تستعمل في إعادة

²² الندوي، أبو الحسن. ندوة العلماء. ص: 3-4.

²³ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة، الجزء الثالث، تحقيق: علي عبد الواحد وايفي، ط7. مصر: دار نهضة مصر للنشر، 2014م، ص: 1114.

تشكيل الحياة العربية الإسلامية، رابعاً: يمكن حمل اللغة العربية على النقيض من اللغة الإنجليزية التي كانت تهدف، كما أكد ميكاولاي، إلى استعداد طبقة من الناس تكون بمثابة مترجمة بين الحاكم والمحكوم. وبهذا المعنى اختيار اللغة العربية كلغة التواصل عبر الأمة الإسلامية كان بمثابة الرفض الواعي لكون مجرد مترجمة بين الحاكم والمحكوم، والتأكيد الواعي لكون مترجمة بين الفضاءات الإسلامية الفكرية العابرة للحدود الوطنية جغرافياً ونصياً، زمانياً ومكانياً.

خاتمة البحث:

من خلال دراسة نشأة وتطور ندوة العلماء في أواخر القرن التاسع عشر في خضم ظهور الحركات الإصلاحية المتنوعة مع الأفكار المتناقضة، وتحليل جهودها الفكرية التربوية يظهر لنا أنها قامت على التيارات الإحيائية والتجديدية التي تشبعت من النمط الفكري لشاه ولي الله فتسعى إلى توحيد معاييرها والتلفيق بينها ويظهر أيضاً أن اختيارها اللغة العربية كلغة التواصل عبر الأمة الإسلامية كان بمثابة الرفض الواعي لكون مجرد مترجمة بين الحاكم والمحكوم، والتأكيد الواعي لكونها مترجمة بين الفضاءات الإسلامية الفكرية العابرة للحدود الوطنية جغرافياً ونصياً، زمانياً ومكانياً، فبهذا المعنى أنها قدمت بديلاً ثقافياً عربياً عن الثقافة الإنجليزية.

المصادر والمراجع:

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة، الجزء الثالث، تحقيق: علي عبد الواحد وايفي، ط7. مصر: دار نهضة مصر للنشر، 2014م.
- أندرسن، بينيدكت. الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: لثائر أديب، ط1. بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2009م.
- الندوي، أيوب. محمد الحسني: حياته وآثاره، ط1. جامو وكشمير: مؤسسة الفيصل التعليمية، 2004م.
- الندوي، أبو الحسن. موقف المسلمين في الهند من التعليم والتربية ودورهم في إثراء التاريخ الإسلامي. لكتاؤ: المجمع العلمي الإسلامي، د.ت.

- الندوي، أبو الحسن. ندوة العلماء: مدرسة فكرية شاملة. لكانا: مطبعة ندوة العلماء، د.ت.

- الندوي، مسعود عالم. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند. دار العروبة، د.ت.

المراجع الأجنبية:

- Ahmad, Zubaid. **The contribution of India to Arabic literature: From Ancient times to the Indian Mutiny of 1857.** Punjab: Maktab-i-Di-o-Danish, 1946.
- Bernard S. Cohn, **Colonialism and Its Forms of Knowledge: The British India,** Princeton: Princeton University Press, 1996.
- Gandhi, Leela. **Post-colonial Theory: A Critical Introduction,** Sydney: Allen & Unwin, 1998.
- Hartung, Jan-Peter. "Standardizing Muslim Scholarship: The Nadwatul Ulema" Sabrewal, Satish. **Assertive Religious identity: India and Europe,** New Delhi: Manohar, 2006.
- Lelyveld, David. **Aligarh's First Generation: Muslim Solidarity in British India,** New Jersey: Princeton University Press, 1978.
- Metcalf, Daly Barbara. **Islamic Revival in British India: Deoband, 1860-1900,** New Jersey: Princeton University Press, 1982.
- Moir, Martin and Zastoupil, Lynn, **The Great Indian Education Debate: Documents Relating to the Orientalist-Anglicist Controversy, 1781–1843,** New York: Rutledge, 1999.

الببليوغرافية العربية عند كارل بروكلمان: "تاريخ الأدب العربي" أنموذجاً

* د. محمد عبد الواحد

Email: mohdabdulwahid9@gmail.com

ملخص البحث:

يقدم كتاب "تاريخ الأدب العربي" للمستشرق الألماني كارل بروكلمان (1868-1956م) معلومات ببليوغرافية تاريخية حول الأعمال المكتوبة باللغة العربية، مع التركيز الخاص على المخطوطات الكلاسيكية. تم ترتيب المعلومات في هذا الكتاب زمنياً، مع تصنيف حسب النوع الأدبي. ويسلط الضوء على سيرة كل مؤلف مع قائمة بأعماله الأدبية والعلمية، سواء كانت مخطوطة أم مطبوعة، ويُعتبر هذا الكتاب موسوعة ضخمة تستعرض تاريخ الأدب العربي من أقدم العصور حتى العصر الحديث.

يهدف هذا البحث العلمي إلى مناقشة موجزة حول النسخة الأصلية للكتاب وتصنيفه ضمن فترات الأدب العربي. ويركز على الترجمة العربية لتسليط الضوء على أهميتها التاريخية وتقديم استعراض موضوعي منذ نشرها، ويتناول المقال دور بروكلمان في تعزيز انتشار العلوم والثقافة العربية خارج الحدود الجغرافية للعالم العربي. كلمات مفتاحية: الببليوغرافية، بروكلمان، التاريخ، المخطوطة، المستشرق.

Abstract:

Brockelmann's "Geschichte Der Arabischen Litteratur" stands as a significant contribution to the documentation of Arabic literary heritage. This work provides essential bibliographical data that remains an indispensable resource for those interested in delving into, analyzing, and appreciating the intricate tapestry of Arabic literature. Widely acclaimed as an extensive encyclopedia, this article explores how the book comprehensively traces the evolution of Arabic literature from its earliest periods to the contemporary era. Special attention is given to the Arabic translations of this work, highlighting its historical significance and offering an objective review since its initial release.

* جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند.

Additionally, the article discusses the role of an Orientalist in disseminating Arab science and culture beyond the geographical confines of the Arab world.

مقدمة:

يشير مصطلح البليوغرافيا إلى فن تسجيل وتنظيم المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع محدد، وتتضمن معلومات شاملة حول المواد المطبوعة وغير المطبوعة، مثل المؤلف وتاريخ الطباعة ومكان التوزيع وطرق الاستخدام. يمتد نطاق هذا المصطلح ليشمل مجموعة واسعة من الأنشطة، من بينها البحث والتوثيق، والدراسة المفصلة للكتب. وتعتمد ممارسات البليوغرافيا على تحليل النصوص بهدف مقارنة النسخ المطبوعة مع النسخ الأصلية أو المسودة. كما قال الأستاذ أبو بكر محمود الهوش: "قائمة بالكتب أو الأشرطة أو التسجيلات... إلخ. والهدف من هذه القائمة هو أن تساعد المستفيد على الوصول إلى المادة أو المواد التي يريدونها. أي: تحديدها وتعيينها أو معرفة مكانها أو الاختيار من بينها، إذ هي تفرض نوعا من التنظيم على هذا الحجم الكبير من الموضوعات والعناوين"¹. رغم أن البليوغرافيا ظهرت كفرع مستقل من العلوم والفنون في القرن التاسع عشر، إلا أن جذورها تمتد إلى فترة قبل اختراع طباعة الكتب. على مر العصور، قام العرب بتطوير ممارسات شاملة تتضمن الأرشفة والتوثيق والجمع والتصنيف والفهرسة، سواء في الفترات القديمة أو الحديثة. تعكس المصنفات البليوغرافية في ساحة اللغة العربية إسهامات عظيمة لعلماء بارعين، من بينهم ابن النديم صاحب كتاب "الفهرست"، وابن الأكفاني صاحب كتاب "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد" وطاش كبرى زاده صاحب كتاب "مفتاح السعادة"، ويوسف إلياس سركييس في "معجم المطبوعات العربية والمعربة" وغيرهم². وخلال القرن العشرين في هذا السياق، حازت شخصيتان بارزتان على اعتراف عالمي، الأول هو المستشرق الألماني كارل بروكلمان، المشهور بكتاب "تاريخ الأدب

¹ الهوش، أبو بكر محمود. المدخل إلى علم البليوغرافيا، ط1. طرابلس: منشورات الكتب والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981م، ص: 26.

² المصدر نفسه، ص: 28.

العربي"، والثاني هو المؤرخ التركي فؤاد سزكين، مؤلف كتاب "تاريخ التراث العربي".

تاريخ الأدب العربي (Geschichte der arabischen Litteratur):

لعب المستشرقون الألمان دوراً بارزاً في تطور العلوم العربية من خلال الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية. وقد لاحظوا أن فهم الأدب العربي يتطلب إلى دراسة تاريخية، وهو ما دفعهم إلى إعادة صياغة تاريخه بناءً على أسس منطقية مستقيمة، خاصةً من خلال تقسيمه إلى عصور. ويُعتبر كارل بروكلمان بأبرز الألمان في توثيق التراث العربي، واحتل كتابه "تاريخ الأدب العربي" (Geschichte der arabischen Litteratur) مكانة مرموقة في دراسة الأدب العربي، وما زال مرجعاً موثقاً به للعلوم العربية، في البداية قام كارل بروكلمان بتقسيم كتابه الألماني إلى فصلين رئيسيين: حيث اختار للفصل الأول عنواناً يلخص مضمونه بشكل عام وهو "أدب الأمة العربية من أوليته إلى سقوط الدولة الأموية". أما الفصل الثاني، فاختر له عنواناً محددًا "عصور الأدب الإسلامي العربي". ونشرت الطبعة الأولى لهذا العمل لأول مرة في مجلدين (1898-1902م)³، بهدف توفير إطار يُصنف فيه الأدب العربي حسب الأزمنة والمواضيع. ومع ذلك، قام المؤلف في وقت لاحق بكتابة سلسلة من ثلاثة مجلدات تكميلية وسعت نطاق العمل الأصلي بشكل كبير. ورغم ذلك، لم يخل من وجود نقص وسهو وظهرت أخطاء بعد صدوره بسبب ضخامة المادة. واضطر بروكلمان إلى العمل فوراً على إصدار طبعة ثانية بوساطة الناشر البارز "بريل" الهولندية في مدينة ليدن.

وبعد خمس وثلاثين سنة من الطبعة الأولى نشر ملحقين واسعين في عام 1937م⁴. الملحق الأول والثاني من الكتاب لا يختلفان كثيراً عن نظيريهما في إصدار النسخة الأصلية، حيث يقدمان شرحاً مفصلاً للنصوص بتفسير طويل، ويشملان تصحيحاً

³ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج1، ط5. (ترجمة: عبد الحليم النجار)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، المقدمة، ص: م.

⁴ المصدر نفسه، المقدمة، ص: ن

للأخطاء بالإضافة إلى توضيح المطبوعات والمخطوطات التي تم اكتشافها في الفترة بين صدور الطبعتين. ورغم ذلك، فإن البيانات المتعلقة بالمخطوطات التي ذكرت في الطبعة الأولى لم تُدرج عمومًا في الطبعة الثانية للكتاب. لذا، يتعين على القارئ الرجوع إلى الطبعة الأولى إذا كان يرغب في الحصول على استفادة كاملة وعدم فوت أي جزء من المعلومات. وفي إطار هذه الطبعة الثمينة، قدم بروكلمان قائمة أبجدية بأسماء الكتّاب الذين لا نعرف تواريخ حياتهم بالإضافة إلى مؤلفاتهم، وترك المؤلفات المجهولة دون تغيير في هذه الطبعة أيضًا.

وتمت طباعة الملحق الثالث في عام 1942م، يقوم المؤلف فيه بوصف الأدب العربي الحديث خلال الفترة منذ عام 1882م إلى عام 1939م. على عكس الجزئين الأولين حيث لم يغفل فيهما التركيز على الأدب المتخصص من الناحية الفنية، انحصر اهتمامه في الجزء الثالث في التناول العميق للنظم والأدب والفنون. ومن الناحية الأخرى، وبخلاف ما ورد في الجزئين الأولين، فإن الجزء الثالث لا يقتصر على تقديم جداول وقوائم جافة مليئة بالتواريخ وأسماء الكتب والمطبوعات والمخطوطات، بل يتعداها ليصف مستقبل عظماء كتّاب الأدب العربي الحديث بوصف دقيق، مُنتقدًا بشكل فعّال مؤلفاتهم من حيث اللغة والأسلوب والدوافع الأدبية.

خلال هذه الفترة، التي شهدت نشر كتاب بروكلمان الأصلي وملاحقه، استمر بروكلمان في تفانيه في مجال دراسته، مثابرًا على نشاطه وجهوده البحثية. ولم يكتفِ بمرحلة النشر فقط، بل أظهر اهتمامًا دائمًا بمحتوى الكتاب الذي وجده عميقًا في عقله. وكان يعيد النظر فيما كتبه في الطبعة الأولى، تارة بالتعديل والتصحيح، وتارة أخرى بالنسخ والتغيير. ومع مرور الزمن، جمعت جهوده مبلغًا كبيرًا، مما دفع إلى إعادة طبع الجزئين الأولين بتحسينات في عامي 1943 و1949م. وأعرب عبد الحلیم النجار عن وجهة نظره بخصوص مجهودات المؤلف وإخلاصه للغة العربية وآدابها بهذا الشكل، "لو أن بروكلمان قدر له أن يعيش أطول مما عاش لكان أغلب الظن أن يغير كثيرًا، وأن يصحح كثيرًا، وأن يزيد بعد

أكثر من ذلك، وهذه هي سنة العلم والعلماء⁵. أما الملحقات التي أعدها بروكلمان كإضافة لكتابه الأصلي، فقد أكمل فيه ما لم يتناوله في العمل الأصلي من ذكر المؤلفات أو استكمال المخطوطات، حتى أصبح الكتاب أكثر كمالاً ودقة.

تصنيف العصور الأدبية عند بروكلمان:

قام بروكلمان بدراسة الأدب العربي عبر مختلف أزمنته ومناطقه، حيث استعرض أصول اللغة العربية، ووصف الشعوب والأجناس والبيئة ونظام المعيشة. وفي هذا السياق، قدم تحليلاً مفصلاً للغة العربية وخصائصها، ولم يقتصر اهتمامه على هذه النقاط فحسب، بل كرس جهوده لعرض الآثار الأدبية التي ترتبط بالعالم العربي المحيط. وقسم المؤلف كتابه إلى فروع متعددة وفقاً للموضوع والمنطقة، واستناداً إلى الأوضاع السياسية في العالم العربي والإسلامي، فصنف تاريخ الأدب العربي إلى عدة عصور. يظهر اعتقاد بروكلمان في الارتباط الوثيق بين الأدب العربي والإسلام بوضوح من خلال اختياره للعناوين التي تميز مختلف أجزاء تاريخه. وينقسم الكتاب إلى ثلاث فترات رئيسية، ويتم إضافة فترة رابعة في الملاحق. سنستعرض هذه الفترات بتفصيل، واحدة تلو الأخرى، لفهم الرابط العميق بين الأدب العربي وتأثير الإسلام.

الأدب القومي العربي (Die arabische Nationalliteratur): هذه الفترة تنقسم إلى عصر ما قبل الإسلام، وزمن النبي صلى الله عليه وسلم، والعصر الأموي. يركز بروكلمان على هذا التراث باعتباره تجسيداً مباشراً للروح العربية البدوية قبل التأثير الكبير الذي أحدثه الاختلاط الثقافي بالعناصر الأعجمية. تحدث فيه عن الشعراء من العصر الجاهلي، وقد خصص المؤلف أقساماً منفصلة للرسول صلى الله عليه وسلم، مدرجاً ذلك ضمن الجزء المخصص للتراث العربي الوطني. وفي هذا السياق، قدم المؤلف دراسات تتعلق أيضاً بالعصر الأموي، الذي ارتبطت حكومته بشكل وثيق بحياة البادية العربية وثقافتها وبلاغتها. يمتد هذا التحليل ليشمل فترة معينة من التاريخ العربي الوطني، حيث يرى بروكلمان أن هذا الفصل يمثل نهاية عصر التراث العربي الوطني لينطلق بعده عصر جديد مع سقوط الدولة الأموية (750م).

⁵ المصدر نفسه، المقدمة، ص: ن.

Die islamische Literatur in Arabischer) الألب الإسلامى فى اللغة العربىة (Sprache): هذا العنوان يتعلق بالدولة العباسىة، حىث قام المؤلف بتقسىم هذه الفترة الواسعة إلى مرحلتىن: امتدت الفترة الكلاسىكية الأولى من حوالى عام 750م إلى عام 1000م، وسمىها بـ"عصر النهضة العربىة"⁶. فىما بعد، بدأت الفترة الكلاسىكية الثانىة فى القرن الحادى عشر المىلادى التى انتهت مع سقوط بغداد (1258م). وتعتمد خصوصىة هذا العصر على العقىدة الإسلامىة، وترتبط بىن جمىع الأدباء والمؤلفىن من مآتلف الثقافات والأعراق، سواء كانوا فرساً، أو تركاً، أو بدواً، أو مصرىىن، أو مغارىة. كانت اللغة العربىة وسىلة التعبىر عن هذه الحضارة وتراتها، فىما نشأت حضارة العرب الإسلامىة الذهبىة. وفى هذا السىاق، برز بروكلمان الفروق الواضحة فى طبیعة التراث بىن العصر العربى الوطنى وعصر التراث الإسلامى العربى. إذ كان الشعر يحتل موقع الصدارة فى الفترة الأولى، بىنما شهد التراث فى الفترة الثانىة تنوعاً هائلاً ىشمل النثر الفنى مثل علم اللغة والنحو، وعلوم الطبىعىة والتارىخ وأدب الرحلات والتصوف والفلسفة والرياضىات والفلك والجغرافىا والطب بجانب الشعر العربى. وقد ىذكر بروكلمان مؤلفات كل فرع من هذه العلوم، إلى جانب مناقشته لحركة الترجمة والموسوعات.

انحطاط الألب الإسلامى (Der Niedergang der islamischen Literatur): بعد العصر العباسى، قام بروكلمان بتصنىف الألب العربى إلى ثلاثة أقسام فرعىة تحت العناوین المآتلفة:

(ألف) عصر ما بعد سقوط بغداد: تم تخصىصه لاستعراض التراث الإسلامى خلال فترة لاحقة، حىث قام بروكلمان بتخصىص الفصول العىدة لهذا الكتاب استعراضاً تطور الآداب العربىة للفترة التى تمتد منذ الغزو المغولى (1258م) إلى دخول السلطان سلیم إلى مصر (1517م). وقدم المؤلف رؤىة شاملة لتلك الفترة بنظرة عامة على تطور العلوم المتنوعة فى كل إقلىم على حدة، بإلقاء الضوء على مصر

⁶ بروكلمان، كارل. تارىخ الألب العربى، ج2، ط5. (ترجمة: عبد الحلیم النجار)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص:7.

والشام كوحدة جغرافية وحضارية واحدة. وقد ينقسم إلى المناطق المختلفة، مثل شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وإيران والهند والترك والدولة العثمانية والمغرب العربي وإسبانيا الإسلامية وغيرها. وبهذا، قدم المؤلف عنصر البعد الجغرافي كعنصر جديد في تحليله، مضيفاً بعداً جديداً يتناغم مع العصر ويتفاعل مع فروع العلم المتنوعة.

(ب) **العصر العثماني:** وبعد ذلك يهتم بروكلمان بتسليط الضوء على تطور التراث العربي والإسلامي ابتداءً من دخول السلطان سليم إلى مصر (1517م) وصولاً إلى حملة نابليون بونابرت على مصر (1798م). يظهر أن المؤلف قد التزم بالتقسيم الجغرافي في استعراضه لهذه الفترة، حيث يعتني المؤلف بتحليل مفصل لمصر وسوريا في العصر الحديث، مع تقليل التفصيل فيما يتعلق بالعراق. وتلاشت المادة أمام بروكلمان في سعيه للبحث عن التراث العربي في جزيرة العرب وإيران وأفغانستان والهند والمغرب، وخصص فصلاً للسودان في العصر العثماني، وهو الأمر الذي لم يقيم المؤلف به في المراحل الزمنية السابقة. ويرى بروكلمان أهمية هذا التفصيل في ضوء طبيعة التراث الذي كان يقوم بتصنيفه.

(ج) **من حملة نابليون على مصر إلى الاحتلال البريطاني لمصر (1882م):** نشهد اهتمام بروكلمان بحملة نابليون على مصر والاحتلال البريطاني لها، نظراً لكونها فترة تاريخية ذات أهمية بالغة، بدأت هذه الفترة بانتشار الأفكار والأساليب الأدبية الفرنسية، وشهدت إقامة مؤسسات تعليمية جديدة. حيث تأثر الأدب العربي بتيارات النهضة الثقافية والحركات الوطنية التي سعت إلى تحقيق الاستقلال وتعزيز الهوية الوطنية العربية. تطور الأدب العربي في مصر بتأثير من الأفكار الأوروبية، وظهرت تيارات جديدة في الأدب تتناول القضايا الاجتماعية والثقافية المعاصرة. ولم يغفل بروكلمان عن ذكر تيارات التحرير السياسي في البلدان العربية، ودور الشعراء والأدباء والعلماء العرب في هذا السياق.⁷

⁷ هادلونك، الهيرو ويلفريد. "فليشر وبروكلمان"، دعوة الحق، ع72، <https://www.habous.gov.ma>، تاريخ الاطلاع: 25 ديسمبر 2022م.

الأدب العربي الحديث (Die moderne arabische Literatur): تمت معالجته في الملحق الثالث للكتاب، قام بروكلمان فيه بجهد ناجح للغاية في وصف الآداب الحديثة في العالم العربي. يتناول هذا التحديث الخمسين عاماً الأخيرة من طبعة الملحق، ويعد هذا العمل محاولة فريدة من نوعها، حيث يمكن أن يكون مرجعاً ذا أبعاد لم يسبق لها مثيل. ويظهر في القسم الأخير التخلي عن أي إشارة إلى الإسلام، يفسره بروكلمان من خلال استيعاب الثقافة الأوروبية بشكل متزايد في عالم الإسلام وحجم الكتابة المتزايد الذي يتم إنتاجه فيه⁸. وخصص المؤلف هذا الجزء لتناول الأدب والحياة الثقافية في العالم العربي الحديث في جميع الأقطار العربية حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية. ولم يقتصر المؤلف في عرضه للعصر الحديث على إطار الأدب والثقافة الإنسانية، بل تجاوز ذلك ليتحدث عن مختلف العلوم، على غرار ما قدمه في المجلدات السابقة. وهكذا ساهم الكاتب بشكل فعال في بحث وعرض وتحقيق التراث العربي من مختلف الجوانب، بما في ذلك وصف المجموعات وتحقيق المخطوطات وكتابة فصول موجزة في تاريخ الأدب العربي.

ويقوم كل قسم من الكتاب على عدة فصول، يتناول كل منها موضوعاً خاصاً: ففي الفصول تدرس المشكلات العامة المتصلة بتاريخ الأدب العربي، كما نجد في الكتاب الثاني أن معظم الفصول من مقالات يتناول كل منها عدداً من الكتاب والأدباء ممن عاشوا في فترة واحدة وربط بينهم نوع واحد من الأدب، وقد يكونون فضلاً عن هذا من بلد واحد... ولقد أخذ المؤلف في الاعتبار العناوين العربية فقط، باستثناء كتابات المسلمين بأي لغة أخرى، واقتصر على سرد الأعمال الباقية، متجاهلاً العناوين التي لم تُعرف إلا من الاقتباسات والمراجع. كما استبعد عناوين المؤلفين غير المسلمين خلال العصور الوسطى الإسلامية. هكذا اختتم المؤلف عرضه لهذه المادة المعقدة والمتخذة تخصصاً تاريخياً، والتي امتدت جغرافياً عبر مناطق متعددة.

⁸ سمايلوقتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. بيروت: دائرة المعارف، 1974م، ص: 564-565.

مصادر الكتاب:

كرس بروكلمان نفسه خمسين عاماً لتكميل هذا المشروع العظيم. وفي سياق مختلف، عندما نشر بروكلمان طبعته الأولى، اعتمد على فهرس المخطوطات والمطبوعات المتاحة لديه آنذاك، والتي بلغ عددها أربعة وثلاثون فهرساً أو دليلاً. ومع اكتشاف مخطوطات جديدة ونسخ إضافية للمخطوطات السابقة، بالإضافة إلى النشر المستمر للتراث العربي من قبل العرب والغربيين، زاد عدد هذه الفهارس. ويُشير ويتكامل القول بأن الملحق الثالث للكتاب، في صيغته النهائية، يضم حوالي 25 ألف عنوان لنحو 18 ألف مؤلف، بالمقارنة مع الطبعة الأولى التي احتوت على نحو 15 ألف عنوان لحوالي 10 آلاف مؤلف. وذكر الجزء الأول من النسخة العربية 168 مخطوطة عربية ووجودها في مختلف مكتبات العالم⁹.

وبلغت صفحات الطبعة الكاملة، التي تضم المجلدين الأولين والملحقات الثلاثة إلى 4706 صفحة التي صدرت باللغة الألمانية في عام 1947. حيث يبلغ عدد صفحات الجزء الأول إلى 320 صفحة، والثاني 686 صفحة، وكان المجلد الأول من الملحقات يحتوي على 973 صفحة، بينما تجاوز المجلد الثاني من الملحقات بواقع 1045 صفحة، وارتفعت صفحات المجلد الثالث إلى 1326 صفحة. ويشير المستشرق الألماني يوهان فك إلى أن ذاكرة بروكلمان الممتازة كانت العنصر الذي مكنه من تحقيق هذا المشروع الضخم وتنفيذه وفقاً لخطة مدروسة داخل حدود الواقع الممكن.

النسخة العربية وأجزائها:

تتألف النسخة العربية لهذا الكتاب من ستة أجزاء، وتمت ترجمة ثلاثة أجزاء أولى إلى اللغة العربية على يدي عبد الحلیم النجار، وقام الأستاذ محمد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب بترجمة ثلاثة أجزاء أخرى. تتميز الترجمة العربية للكتاب الأصلي بجمع وتنظيم شتى الموضوعات، ووضع الزيادات والتعليقات والملاحق في مواضعها المناسبة داخل كل موضوع. يتم ذلك بأسلوب عربي رصين يُسهّم في إبراز

⁹ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج1، ط5، (ترجمة: عبد الحلیم النجار). القاهرة: دار المعارف، دت، ص:31.

جمالية وسهولة فهم المحتوى. على عكس الأصل الألماني، توضح الترجمة العربية أسماء جميع المؤلفين، مما يجعل الرجوع إلى الترجمة أسهل بكثير. تم أيضاً تصحيح الأخطاء الطفيفة عند الترجمة. وتُعدّها دائرة معرفية شاملة تحيط بجميع عصور الأدب العربي، وتتقب في كنوز تراث العرب عبر مختلف فتراتة.

يحتوي الجزء الأول للكتاب على 320 صفحة، الذي يعالج الفترة التاريخية التي تشمل منذ بداية اللغة العربية إلى سقوط الأمويين، ويتحدث الباب الأول عن العصور الأولى للأمة العربية من العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام¹⁰، ويستعرض الباب الثاني الأعمال الأدبية من عصر النبي صلى الله عليه وسلم مثل دراسة القرآن وقصص الأنبياء فيه ثم ذكر رسالة محمد وأصالته، وأضاف فيه الشعراء المخضرمين مثل حسان بن ثابت وكعب بن زهير والخنساء وغيرهم¹¹، ويتناول الباب الثالث عصر الأمويين بذكر شعراء الغزل العذري وشعراء النقائض مثل جرير والأخطل والفرزدق¹²، ويشير هذا الجز إلى النثر الأموي أيضاً. يسلط الضوء أيضاً على وحدة الأمة العربية قبل الإسلام من خلال الديانة والعادات، مؤكداً على دور اللغة الشعرية العربية في دعم هذه الفكرة.

ويشتمل الجزء الثاني من الكتاب على 293 صفحة، نقله د. عبد الحلیم النجار إلى اللغة العربية، ويناقش بابه الثاني القصائد العربية وشعرائها من مختلف الأمصار العربية مثل بغداد والشام ومصر والمغرب، والأندلس، مع تسليط الضوء على أصولهم وموطنهم. وفي هذا السياق، وتم الذكر على شعراء سيف الدولة بشكل منفصل¹³، وفي مرحلة لاحقة من النص، تطرق الباب الثاني إلى الانتقال إلى النثر الفني، مثل الرسالة والكتابة، وكان لهؤلاء تأثيرهم البارز في هذا السياق الأدبي. وبعد ذلك،

¹⁰ المصدر نفسه، ص: 41-132.

¹¹ المصدر نفسه، ص: 164.

¹² بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج2، ط5. (ترجمة: عبد الحلیم النجار)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص: 209.

¹³ المصدر نفسه، ص: 81.

الباب الرابع تم التركيز على استعراض علم اللغة العربية ومدارسها المختلفة، على سبيل المثال، بصرة والكوفة. وختاماً، تم ذكر تطور اللغة العربية خارج حدود العرب، حيث تم التركيز على الفارس وتأثيرهم في هذا السياق اللغوي¹⁴.

ويحتوي الجزء الثالث على 376 صفحة، نقله د. عبد الحليم النجار إلى اللغة العربية. ويتناول هذا الجزء على سيرة الرسول صلى الله عليه السلام وأصحابها مثل ابن إسحاق وابن هشام وغيرهما، وعلم الحديث وتدوينه منذ صدر الإسلام إلى الأئمة الكبرى: البخاري ومسلم وأبو داود وجهودهم في هذا الفن مع ذكر الكتب المساند¹⁵، ويسجل تطور كتابة التاريخ العربي الإسلامي وحضارته، والفقه بمذاهبه المختلفة مثل الحنفية والشافعية والمالكية بالإضافة إلى مذاهب الشيعة¹⁶.

ويشتمل الجزء الرابع على 338 صفحة، نقله د. السيد يعقوب بكر إلى اللغة العربية، الذي يتناول أولاً فهارس المخطوطات ورموزها، ثم يقوم المؤلف بتسليط الضوء على علوم القرآن وتفسيرها مع ذكر أصحابها، ثم يذهب إلى علم العقائد والتصوف الإسلامي، والفلسفة¹⁷ وأصحابها مثل الكندي والفارابي وإخوان الصفاء وغيرهم، ثم ذكر تطور علم الرياضيات، وعلم الفلك والجغرافيا والطب والعلوم الطبيعية وعلم الموسوعات وأهم المترجمين من هذا العصر.

أما الجزء الخامس يحتوي على 369، نقله د. رمضان عبد التواب. وهذا الجزء للكتاب مخصص للعصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي الذي يمتد منذ عام 1010م إلى 1258م. يعالج الباب الأول منه الشعر العربي وقد قسّمت فصوله إلى أسماء البلاد المختلفة وذكر الشعراء الذين ينتمون إلى تلك البلاد مثل العراق والشام والجزيرة العربية ومصر والأندلس وغيرها. والباب الثاني يتناول بالنثر الفني

¹⁴ المصدر نفسه، ص: 257.

¹⁵ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج3، ط5. (ترجمة: عبد الحليم النجار)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص: 154.

¹⁶ المصدر نفسه، ص: 232.

¹⁷ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج4، ط3. (ترجمة: السيد يعقوب بكر)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص: 125- 159.

والبلاغة¹⁸. ويهتم الباب الثالث بعلم اللغة، وقد قسّم هذا الباب إلى أسماء البلاد المختلفة، على سبيل المثال، العراق وسوريا وشمال إفريقية وصقلية وفارس ومصر والأندلس وغيرها مع ذكر أعمال علماء اللغة الذين ينتمون إليها¹⁹.
وأما الجزء السادس الذي مشتمل على 367 صفحة، نقله د. السيد يعقوب بكر إلى اللغة العربية. يواصل بروكلمان معالجته للأدب العربي في مراحل ما بعد عصره الذهبي، حيث يبدأ بالكتابة فن التاريخ، حيث استمرت الكتابات التاريخية الموسوعية التي تحدثت عن فجر التاريخ واستمرت حتى لحظة الكتابة. وتطوّرت أشكال جديدة متخصصة وموضوعية، مثل كتب السير التي تقوم باستعراض حياة أشخاص معينين، وتواريخ المدن والأمصار والدول المستقلة، التي تعكس حالة تفتت العالم الإسلامي. ثم ينتقل المؤلف إلى ما يُسمى بـ"السمر في النثر"²⁰، حيث يظهر أنه يشير إلى الموضوعات العامة، ويستعرض في هذا الفصل كتابات تميل أكثر إلى القصص أو بعض الأبحاث المتعلقة بمشكلات معينة في زمن المؤلف. وفي الفصل الثالث، يتناول المؤلف علم الحديث، حيث يرصد أهم المؤلفين في هذا الموضوع خلال الحقبة التي يتناولها. ينتهي الجزء بفصل مخصص للفقهاء تحت الباب السابع، حيث يركز المؤلف بشكل خاص على المذهب الحنفي²¹، وربما يكون ذلك بسبب انتشار هذا المذهب في ذلك العصر. ويقدم المؤلف تصوّره الجغرافي للأدب العربي في هذا القسم، إذ يستعرض المؤلفين في كل موضوع وفقاً للبلدان التي عاشوا فيها، مما يعكس حالة التمزق الثقافي التي تعرض لها العالم الإسلامي في تلك الفترة نتيجة للضربات التي تلقاها من المغول والصليبيين.

الميزات والخصائص:

¹⁸ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج5، ط3. (ترجمة: رمضان عبد التواب)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص: 137 - 158.

¹⁹ المصدر نفسه، ص: 159 - 367.

²⁰ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج6، ط2. (ترجمة: السيد يعقوب بكر)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص: 18.

²¹ المصدر نفسه، ص: 285.

التحديث المستمر: يصل بروكلمان جمع المعلومات الجديدة حتى بعد طبع الكتاب الأول. وبجهوده المستمر تظهر رغبة المؤلف في نشر طبعة ثانية إضافية وتصحيحها. ومن أجل الحفاظ على الارتباط بين المجلدين الأصليين والملاحق الثلاثة، تمت الإشارة باستمرار إلى أرقام صفحات الطبعة الأصلية. وفي نهاية كل مجلد إضافي، تم تضمين الإضافات والتصحيحات على الطبعة الأصلية. تحتوي الفهارس الموجودة في الملحق الثالث على إشارات إلى المجلدين الأصليين لعامي 1898-1902م والملاحق الثلاثة المنشورة حديثاً. تمت الإصدار للطبعة الثانية المحدثه من المجلدين الأصليين في بين عامي 1943-1949م، مع الإشارة إلى المجلدات التكميلية. كان ترقيم الصفحات في الطبعة الأولى من الكتاب هو المصدر المرجعي للمجلدات التكميلية وتم إدراجها في فهارس الملاحق. الآن، في الطبعة الجديدة للمجلدين الأصليين، كان من المقرر استخدام نفس نظام ترقيم الصفحات القديم. ولهذا السبب فإن الطبعة الجديدة من المجلدين الأصليين تحتوي على أرقام صفحات الطبعة الأولى محفوظة في الهوامش. وإلى أرقام الصفحات الهامشية هذه تشير فهارس المجموعة الجديدة بأكملها.

التغطية الشاملة: يشمل هذا العمل مجموعة واسعة من الأنواع الأدبية العربية، بما في ذلك الشعر والنثر والنصوص الدينية والمؤلفات العلمية. تم تنظيم المعلومات الببليوغرافية حسب الفترات الزمنية، مما يوفر للباحثين رؤية شاملة لتطور الدراسات العربية. يمثل هذا الكتاب بالفعل نقطة انطلاق حقيقية لفن تاريخ الأدب العربي. الذي أصبح اليوم واحداً من أهم المراجع التي لا يستغنى عنها كل باحث في الدراسات العربية، كما قال المؤرخ الكبير عمر فروخ: "إن كتاب بروكلمان جريدة إحصاء لكل من كتب ولجميع ما كتب باللغة العربية، ومن هذه الناحية لن يستطيع الباحث العربي أن يستغني عن ذلك الجهد الجبار، وسيظل كتاب بروكلمان دليلاً ثميناً في يد الباحثين في آداب اللغة العربية وفنونها مدة طويلة

جداً²². ويُعتبر كتاب بروكلمان واحداً من أبرز الأعمال الأوروبية التي ركزت على توثيق التراث العربي منذ العصر الجاهلي حتى أوائل القرن العشرين. **فهرسة المخطوطات العربية**: يوفر المؤلف مصدراً غنياً للعلماء والباحثين المهتمين بالمخطوطات العربية والإسلامية ومواقعها في المكتبات والمراكز. يتناول هذا الكتاب الاستشهادات العديدة، على سبيل المثال، نسخ المخطوطات المعروفة، والمراجع إلى الفهارس المناسبة، والإصدارات المطبوعة التي توضح مكان الطبع، وتاريخ الطبع، والمحرر، بالإضافة إلى الاستشهادات من الأعمال الببليوغرافية الأقدم باللغة العربية²³. هكذا نجح المؤلف في استقصاء جوانب متعددة للتراث العربي. وقد حظيت هذه السلسلة بشهرة واسعة في الأوساط الأدبية والعلمية. ولا تزال قيمته العلمية كبيرة بين علماء العرب والغرب.

المعلومات الإضافية: قد وضع بروكلمان معياراً للعلماء المنخرطين في اللغة العربية، يتجلى اهتمامه الدقيق بالتفاصيل في دراسة التراث العربي. وهو لا يقدم العناوين فحسب، بل يوفر أيضاً معلومات مفصلة حول المؤلفين وأعمالهم العلمية ضمن السياقات التاريخية والثقافية الأوسع للعالم العربي. ويعزز هذا المنهج السياقي فهم القارئ لكيفية تشكيل العوامل الاجتماعية والسياسية للاتجاهات الأدبية على مر القرون، مما يعزز فائدة المورد للعلماء والمحققين. يتميز العمل بتوثيق دقيق للمصادر والمراجع، مما يجعله أداة قيمة لمزيد من البحث الأكاديمي، و يتيح الفرصة للدارسين استكشاف موضوعات محددة بمزيد من التعمق. هكذا وضع المؤلف خطة دقيقة تهدف إلى توثيق جميع النصوص العربية التي وصلتنا في مجالات الآداب والعلوم المتنوعة، مما جعل كتابه أساساً للبحوث العلمية المستقبلية.

الأهمية التاريخية: صار الكتاب رائداً ومرجعاً أساسياً في الدراسات العربية. تعمل المداخل الببليوغرافية التفصيلية بمثابة سجل تاريخي للإنتاج الأدبي العربي، مما يسمح للعلماء بتتبع تطور الأشكال والأنواع الأدبية على مر القرون. حيث يتحدث عن

²² فروخ، عمر. **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ط4. بيروت: دار العلم للملايين، 1981م، ص: 18.

²³ حسين، محسن محمد. **الاستشراق برؤية شرقية**، ط1. بيروت: دار الفرات للنشر والتوزيع، 2011م، ص: 270.

العوامل الاجتماعية والسياسية التي أثرت على التطور الأدبي العربي في العالم الإسلامي. وتظهر الرؤية التاريخية الغربية الاستشراقية للأدب العربي منذ البداية حتى العصر الحديث. وأن المؤلف يجمع بين المنهج التاريخي الكلاسيكي التقليدي والمناهج الغربية الجديدة آنذاك.

تجاهل الكتاب غير المسلمين: يحذف بروكلمان جميع النصوص المخصصة لليهود والمسيحيين في كتابه خلال العصر الذهبي الإسلامي، ويكرر هذه الآراء في بداية الملحق أيضاً. لأنه يرى أن الأدب العربي هو إسلامي في جوهره، مما يسمح بظهور المسيحيين واليهود في كتابه حتى القرن الثالث عشر ثم ينفهم، ويعجز الباحثون عن اكتشاف سبب اختفاء الكتاب المسيحيين واليهود من هذه الفترة الوسطى وفجأة. ظهرت مرة أخرى في بداية القرن الثامن عشر. ما الذي مكن جيولا جرمانوس (Gyula Germanus) وفرحات ونيكولاس تايه من العودة إلى الأوساط الأدبية العربية الإسلامية بعد انقطاع دام نصف ألفية؟

استخدام الرموز: ذكر بعض الرموز للمجلات والدوريات مثل JRAS (Journal of the Royal Asiatic Society)، وAJSL (American Journal of Semitic Language and Literature) وغيرهما²⁴، وأشار كل الأجزاء إلى فهرس لأعلام الأشخاص العربية والأجنبية، وفهرس لأسماء الكتب العربية والأجنبية أيضاً.

خاتمة البحث:

كتاب "تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكلمان يبرز كواحد من أهم المحاولات الشاملة والناجحة في مجال الببليوغرافيا للأدب العربي وفهرسة المخطوطات. يشكل هذا العمل مرجعاً أساسياً للباحثين والدارسين في دراسة الثقافة العربية والإسلامية، حيث يتيح فهماً عميقاً لتطور الأدب العربي عبر العصور. يظهر تأثير الكتاب بشكل مباشر أو غير مباشر على الكتب اللاحقة في تاريخ الأدب العربي، مما يجعله لا غنى

²⁴ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج1، ط5. (ترجمة: عبد الحليم النجار)، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة، ص: 319.

عنه في الأبحاث والدراسات الأكاديمية. يقدم المؤلف في هذا العمل حصيلة تجاربه العلمية المثمرة، وعلى الرغم من الانتقادات الحادة التي وجهها العديد من الباحثين العرب لمنهجه وحقائقه التاريخية، إلا أنهم ما زالوا غير قادرين على تجاهل إعجابهم وامتنانهم الكبير لمساهمته وجهده في استكشاف المكتبات الأوروبية وتوثيق مخطوطاتها العربية.

المصادر والمراجع:

- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج1، ط5، ترجمة: عبد الحلیم النجار، القاهرة: دار المعارف، دت.
- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج2، ط5، ترجمة: عبد الحلیم النجار، القاهرة: دار المعارف، لا توجد سنة الطباعة.
- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج3، ط5، ترجمة: عبد الحلیم النجار، القاهرة: دار المعارف، دت.
- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج4، ط3، ترجمة: السيد يعقوب بكر، القاهرة: دار المعارف، دت.
- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج5، ط3، ترجمة: رمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف، دت.
- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج6، ط2، ترجمة: السيد يعقوب بكر، القاهرة: دار المعارف، دت.
- حسين، محسن محمد. الاستشراق برؤية شرقية، ط1، بيروت: دار الفرات للنشر والتوزيع، 2011م.
- سمايلوقتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. بيروت: دائرة المعارف، 1974م.
- فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي، ج1، ط4. بيروت: دار العلم للملايين، 1981م.
- الهوش، أبو بكر محمود. المدخل إلى علم البليوغرافيا، ط1. طرابلس: منشورات الكتب والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981م.

المجلات والمجلات:

- فلايشامر، مانفريد. "عرض تاريخ الإسلام وحضارته في مؤلفات كارل بروكلمان ويوهان فوك"، التراث العربي، 1982م، ع8.
- القيم، علي. "بروكلمان مستشرق ألماني أنصف العرب"، المعرفة، 2011م، ع578.

المراجع الإلكترونية:

- صفية، شعثان. "التراث الإسلامي...بين يدي كارل بروكلمان"، الريئة- <https://arrabiaa.net>، تاريخ النشر: 19 أبريل 2019م، تاريخ الاطلاع: 5 يناير 2023م.
- هادلونك، الهيرو ويلفريد. "فليشر وبروكلمان"، دعوة الحق، ع72، <https://www.habous.gov.ma>، تاريخ الاطلاع: 25 ديسمبر 2022م.

تمظهر حضور الرجل في الخطاب السردى المعاصر رواية أحبيتك أكثر مما ينبغي "لأثير عبد الله النشمي" أمثلة

د. متلف آسية*

Email: metlef.assia@gmail.com

ملخص البحث:

إن من أهم القضايا المطروحة في الرواية النسوية العربية قضية مواجهة الذات الأنثوية للآخر الذكوري، إذ اتخذت المرأة المبدعة من الكتابة الأدبية وسيلة للتعبير عن ذاتها في مواجهة الآخر، فتمثلت لها أيقونة الخلاص من الحتمية الثقافية والتاريخية التي قدّست النص الفحل وانتصرت للمركزية الذكورية، ما جعلها تحطم حواجز الصمت وتثور على كل النظم الاجتماعية والثقافية السائدة التي همشتها وفق وعي كتابي اتخذ من البوح والبحث عن الذات ومواجهة الآخر مرتكزا له. ففي ظلّ هذا التشظي الأنثوي ورحلة إثبات الذات في مواجهة الرجل ارتأينا ملامسة نص سردي أنثوي اختار تيمة البوح مسلكا له وجرأة الطرح فكرا وقناعة، وهي الرواية السعودية "أحبيتك أكثر مما ينبغي للروائية أثير عبد الله النشمي، التي حاولت الروائية في ثنايا صفحاتها التعبير عن واقعها من خلال رؤيتها لصورة الرجل في مجتمعها وانعكاساتها النفسية والاجتماعية والثقافية على المرأة. كلمات مفتاحية: صورة الرجل، حضور الرجل، الخطاب السردى المعاصر.

Abstract:

One of the most important issues raised in the Arab feminist novel is the issue of confronting the feminine self with the other masculine, as the creative woman used literary writing as a means of expressing herself in facing the other, so she represented an icon of salvation from cultural and historical inevitability that sanctified the stallion text and triumphed for masculine centralism, which made her destroy The barriers of silence and revolt against all the prevailing social and cultural systems that have marginalized them, according to a written awareness based on revelation, searching for oneself, and confronting the other.

* أستاذة محاضرة، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف- الجزائر.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن للكتابة النسوية نكهة سردية خاصة في مجال الإبداع الأدبي، ما جعلها تتميز بخصوصية الطرح وأنثوية التيم، فشغلت مكانة متميزة ضمن المشهد الثقافي العربي بسبب ما فتأت تحقّقه المدونة الروائية النسائية من تمام في النصوص وفتنة في الكتابة، فقد اتخذت المرأة العربية من الكتابة وسيلة لإبراز ذاتها ككيان مختلف وإثبات هويتها الأنثوية المتميزة وتحرير نفسها من ذلك النسق الثقافي المهيمن عليها ركحا من الزّمن، فقد حاولت كاتبات الرواية استعادة هويتهم الأنثوية عبر فعل الكتابة الذي يسمح لهن بإعادة تشكيل كيان الأنثى تشكيلاً جديداً يتأسس على رؤية جديدة للمرأة والذي يتم عبر التخيل من خلال اقتراح منطوق الذات المتكافئة بدلاً من المركزية الذكورية وتفكيك قداسة النص الفحل ورفع الحصانة عليه، فتارت على كل النظم الاجتماعية والأسرية والثقافية والتراثية التي حاولت إقصاءها كذات مختلفة لها خصوصيتها وفكرها وطروحاتها، فحطمت حواجز الصمت وفق وعي كتابي ورؤية أنثوية تضمن هذه الخصوصية والتفرد عن القلم الذكوري.

ففي ظل ثقافة يسيطر على نواميسها الرجل، ومن خلال مرارة تجربة الإقصاء والتهميش الذي عاشته المرأة، انكفأت على ذاتها تسائلها تحت أقنعة القراءة النقدية الثقافية الكاشفة عن ذلك الصراع الدفين بين أناها والآخر المختلف، ومن النصوص السردية التي دغدغت شغف الدراسة والبحث لدينا رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" للروائية السعودية أثير عبد الله النشمي، هذا النص الأنثوي الذي يجعلنا نقف عند حافة النهاية في محاولة النجاة بهذه الثنائية التي تتضام تارة لتشكّل التكامل والتواشج وتتضاد تارة أخرى لتشكّل قوى متصارعة يسعى كل طرف منها للبحث عن خصوصية التشكّل في جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والفكرية، فطبيعة الدراسة التي نحن بصدد إنجازها وفي منحى تتبع صورة الرجل في هذا النص السردية فإنه يتحتم علينا تحديد حيثيات هذه الثنائية ومعالمها ونقصد الذات الأنثوية والآخر الذكوري .

وسيتم التركيز في هذه المقالة العلمية على تلك الأدوات التي توسّلتها أثير عبد الله النشمي لاستطاق ذاتها والبوح عنها في تصوير الرجل والتعبير بحميمية حيناً وبشراسة حيناً آخر عن مشاعرها وخلجات عالمها الداخلي.

صورة الرجل في "رواية أحبتك أكثر مما ينبغي" بين سلطة المرجع وحرية المتخيل:

لطالما شغل الرجل الحيز الأكبر في الكتابات النسوية العربية فقد كان "أدب المرأة رسالة مقاومة ودفاع ضد كل أشكال القهر المادي والمعنوي وساهم في تمزيق النفاق الاجتماعي وفضح الازدواجية التي تعرقل المرأة المبدعة وتحّد من عطائها"¹، فجاءت الكتابة النسوية لكسر تلك الصورة النمطية للمرأة والتي تحصر حياتها في الرجل ومعه لتأخذ هي دور البطولة في كتاباتها فتعبّر عن ذاتها وآمالها وطموحاتها بعيداً عن الرجل، فقد اختارت المرأة الكتابة كفعل علاجي للإفصاح والبوح عما يسري داخلها من طموحات وآمال في تغيير تلك الثقافة السائدة التي تمارس ضدها أشكال مختلفة من القهر والاحتقار والنظرة الدونية لها فقد خاضت معارك جسيمة لإثبات وجودها فهي تكتب عن حياتها وطفولتها كأنها تشعر بفقدان الذات وأن الثقافة هي التي سلبت منها ذاتها، فالمرأة المبدعة تستأنس بعالمها الداخلي حين تتاجي ذاتها بالنظر إلى واقعها فخطابها يسعى "إلى تفجير المكبوت والمخفي من خلال أشكال كتاباتها الجسدية والرمزية وتستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن لتعلنه في حوارها -صراعاها- مع الرجل"²، هذا الشعور بفقدان الذات يتجلى على الصعيدين الثقافى الذي ينتصر للآخر الرجولي والسيكولوجي النفسي الذي يعيش الكتمان والتخفي؛ إلا أن هذا يؤكد وجودها ككينونة مستقلة وموحّدة لا يمكن تلمسها إلا في ظل التفاعل مع ذلك التكوين الثقافى والاجتماعى، فليس غريباً كما يشير الأخضر بن السائح "أن تبق المرأة المبدعة ملتزمة بالضمير "أنا" ولا تريد أن تبرحه بغية

¹ بعيو، نورة. الرواية النسوية في الجزائر (النشأة وأسئلة الكتابة في الجزائر- يومي 28-29 ماي 2013م، أعمال الملتقى الوطني، ص:89.

² وذنانى، بوداود. الكتابة النسائية بين إرغامات الواقع وفسحة التخيل، فاطمة العقون أنموذجاً، 2013م. مخبر تحليل الخطاب، أعمال الملتقى الوطني، الرواية النسائية في الجزائر، ص:171.

إثبات حضورها وتعويض هذا التغييب الذي طالها ذاتا وروحا وفكرا وجسدا، مثلما يجب أن ينظر إلى المرأة بوصفها فاعلا وبوصفها فعلا، وأنموذجا، ولغة³، فأصبحت هي بؤرة الحدث وتيمة السرد.

ولعلنا في هذا نؤكد أن فعل الكتابة عند المرأة إنما يتشكل في ظل ثنائيات متضادة كالحضور والغياب والكينونة والعدم، تتحاور وتتجادل لتثبت الاختلاف والخصوصية للذات الأنثوية كفاعلة منتجة للخطاب على مستويين، مستوى السرد ومستوى فعل السرد من خلال تلك اللغة التي تتساق تحت ضمير "أنا" في نزيه لغوي يكشف عن تلك التدفقات الشعورية والوجدانية والانكسارات العاطفية، وتضريح الذات في قالب البوح والاعتراف في رحلة البحث عن الخلاص والتحرر من الكبت والانطلاق إلى عوالم التخيل التي تتمثل في علاقة الذات بالذات وعلاقتها بالآخر المختلف، فاستخدام ضمير المتكلم "أنا" يعني أن المرأة قد صارت ذات متكلمة "ويعني حينئذ تأنث أقل ضمائر اللغة وهذا حرج ضخم لا يمكن تمثله في ظل خطاب الخوف الأدبي"⁴، فتحوّل الهامشي إلى المركزي في ظل غواية مغرية⁵. فالمرأة الكاتبة استطاعت مجابهة الرجل والوقوف كالند له وتعريته من فحولته ومن تلك الصورة النمطية المتعارف عليها.

نسجت "أثير عبد الله النشمي" خيوط روايتها على سنفونية الحب والألم والرضوخ والتمرد في محاولة الخلاص من حب لعين أتلّف تلايب قلبها وأطفأ بريق العطاء في ذاتها، فقد أبدعت الروائية في نقل تلك المشاعر المتضاربة والمتناقضة التي تختلج ذات "جمانة" البطلة وذلك الألم الداخلي الذي يؤكد لها في كل مرة صعوبة استمرار

³ الأخضر، بن السائح. سرد المرأة وفعل الكتابة، دراسة نقدية في السرد وآليات البناء. الجزائر: دار التنوير، 2012م، ص:55.

⁴ الغدامي، د. عبدالله. المرأة واللغة، ط01. المركز الثقافي العربي، 1996م، ص:44.

⁵ ينظر: متلف، د. آسية. ملامح البوح وتشظي الذات الأنثوية في مواجهة الآخر، رواية ساقذف نفسي أمامك "لديهية لويز أنموذجا"، كتاب جماعي "الرواية النسوية المعاصرة في الجزائر، النص والتأويل، ط01. الجزائر: دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، 2021م، ص:120.

حبها لعبد العزيز "...لكنني أجلس اليوم في جوارك أندب أحلامي الحمقى غارقة في حبي لك ولا قدرة لي على انتشار بقايا أحلامي من بين حطامك..."⁶.
تمثل جمانة الشخصية الرئيسية في الرواية وهي طالبة سعودية سافرت إلى كندا لأجل الدراسة فصادفتها الأقدار بطالب سعودي يدعى "عبد العزيز" هو شاب نرجسي متعطش للذات الحياة متناقض في اختياراته وفي حبه لجمانة ولوطنه، فكانت نظرته لجمانة نظرة اشتياق وانتماء لأنها تمثل وطنه الذي غادره بيد أن هذه الصورة سرعان ما تتبدد ملامحها فيعبر عن تمرد ورفضه لكل ما يربطه بهذا الوطن وحتى بجمانة، فقد تولدت علاقتهما من رحم عشق مرصع بالألم مفجوع بالفقدان والتخلي تقول جمانة في بداية الرواية "أحببتك أكثر مما ينبغي، وأحببتني أقل ما أستحق" وبذات المقطع أنهت روايتها في الصفحة 326 لتجسد خضوع ذاتها لهذا الحب الذي ألقى وجودها في فكرة عدم تحققه.

حملت الرواية في طياتها عالما مفتوحا مفجوعا بالألم والمآسي عبّرت من خلاله على قيمة الحب والوجع الانثوي في ظل تسلط الرجل "عبد العزيز"، هي رواية تحمل في ثناياها معادلة متناقضة الاطراف يصعب تفكيك شفراتها الحميمية وحسّها بالذات وانكساراتها في ظل سيطرة الآخر، فتوغلت الرواية في أزقة الغربة المظلمة لدى جمانة والمضيئة لدى عبد العزيز.

اختارت أثير عبد الله النشمي عنوانا دلاليا مكثفا رصّعت به ناصية روايتها، يشي منذ الوهلة الأولى بعنفوان الحب وذلك باستخدامها صيغة التفضيل "أفعل" للدلالة على المبالغة في الحب الذي غدا مدمرا لها ولذاتها، وكما أشار الناقد تغريد عبد الخالق هادي سبع بأن العنوان "مثقل بالدلالات أبرزها صلاحيته لأن يكون مثلا نظرا للتكثيف الشعري داخله، فضلا عن صلاحيته لأن يكون جملة جاهزة للرسائل الالكترونية التي يتبادلها المحبون عادة وكأنها حال كل نساء الشرق في

⁶ أثير، د. عبد الله النشمي. أحببتك أكثر مما ينبغي، ط10. بيروت: دار الضرابي، تشرين الأول 2013م، ص:11.

مقابل الآخر (الرجل) بمختلف انتماءاته⁷. ولعل اتصافه بالقصر والدلالة هو ما يجذب القراء نحوه بل ما يثير رغبة القراءة ومعرفة مصير المحب في هذا العمل. حاولت جمانة رسم صورة "عبد العزيز" فيلوحتين متناقضتين تتشكّلان لتثبت هي نفسها كذات أنثوية فالعلاقة بينهما وبين الآخر عبد العزيز إنما مردّها (هو) فالانكسار هو من يوجده والسعادة هو من يحققها، فكأنما لا حديث عن الأنا/جمانة إلا بوجود الآخر/عبد العزيز، وعلى هذا الأساس يتشعب مفهوم الآخر/الرجل ويتسع ليشمل حمولات فكرية تتشابك في علاقتها مع الذات فالآخر في أبسط صورة هو نقيض الذات أو "أنا" إذ لا يمكن الحديث عن الآخر بمعزل الذات⁸ وهذا ما نتلمس خيوطه في الرواية فلا تتردد جمانة وفي أكثر من موضع في الرواية لتثبت بأن عبد العزيز هو فرحتها وآلامها تقول في الصفحة الأخيرة من الرواية "أشعر وكأنك تخنقني بيدك القوية يا عزيز تخنقني وأنت تبكي حبا.. لا أدري لماذا تتركني عالقة بين السماء والأرض ..

لكنني أدرك بأنك تسكن أطراف في.. وبأنك (عزيز) كما كنت..
 (أحببتك أكثر مما ينبغي، وأحببتني أقل مما أستحق ...

لن تنتهي...)

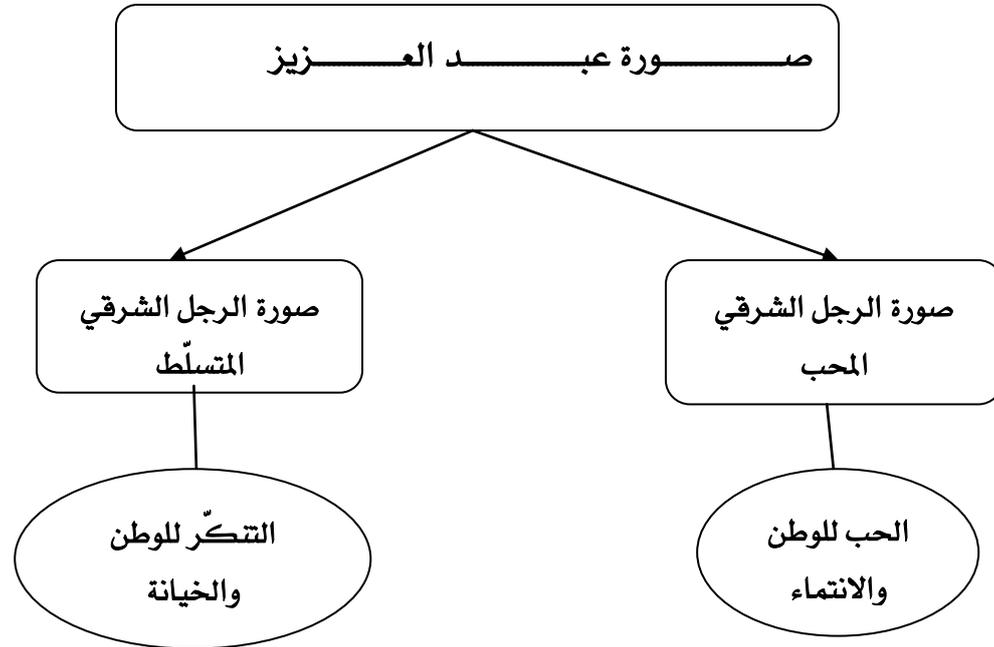
والملفت للانتباه ذكاء الراوية في استخدام ضمير المتكلم لسرد أحداث روايتها فهذا الضمير يخلق شيئاً من الحميمية بين القارئ والراوي إذ يتوهم قارئ الرواية بأنه يقرأ بوحا ذاتيا أو قصة لشخص ما يعرفه، إذ يسمح ضمير المخاطب للكاتب بالهيمنة عليها ورصدها، فشخصية الراوي (جمانة) هي شخصية مراقبة وراصة، يرى القارئ من خلالها الأحداث كونها شخصية مشاركة فيه وتدور حولها العقدة والصراع تقول جمانة في الصفحة 11 من الرواية "تظن أنت بأننا قادرون على أن

⁷ عبد الخالق هادي سبع، د. تغريد. الشخصية في رواية أحببتك أكثر مما ينبغي، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية - ابن رشد، جامعة بغداد، 2015م، م 21، ع 19.

⁸ سلمى، د. الوافي. المناقضة النقدية وسؤال الهوية تفاعل الذات بالآخر، مجلة الآداب، ع 02. الرياض: جامعة الملك سعود، 2014م، ص: 04.

نبتدئ من جديد... لكن البدايات الجديدة ما هي إلا كذبة... كذبة نكذبها ونصدقها لنخلق أملاً جديداً يضيء لنا العتمة؛ فادعاء إمكانية بدء حياة جديدة ليس سوى مخدر نحقن به أنفسنا لتسكن آلامنا ونرتاح؛ بدأت البطلنة سرد أحداث قصتها بفيض شعوري يعكس قصة حب منتهية وهو نص استذكارى ممهد لما سيأتي بعد ذلك تقول: "بت الآن لا أحلم إلا بالانتهاء مما يجري.. أكذب عليك إن قلت بأنني لا أرجو سحقتك.. لكنني منهكة الى درجة أكاد فيها غير قادرة على سحق نملة..".

إن المسترعى في ثنايا الرواية يتلمس حضور الشخصية الذكورية البطلنة وهي "عبد العزيز" التي حاولت الروائية إثيرة عبد الله النشومي تقديمها على لسان جمانة وبعدها طرق فتصورها في منحرجات عدة (الرجل المحب) و(الرجل المتسلط):



صورة الرجل الشرقي المتسلط:

أبدعت الروائية في نقل صورة الرجل الشرقي المتسلط المضطرب في تكوينه الثقافي وانتمائه الاجتماعي المفتون بالآخر الغربي ومجتمعه وثقافته المحب للسهر والمجون،

الثائر على عادات وتقاليد المجتمع السعودي المنغلق، على عكس جمانة المحبة للوطن بعدة الهوية والانتماء فقد حددت أول لقاء لهما في الثالث والعشرين من سبتمبر وهو العيد الوطني السعودي، فكأنها بحديثها عن الوطن تؤكد انتماءها فجعل النصوص الروائية النسوية تستحضر الوطن "كقيمة وكبعد يؤسس النص ويتأسس النص به"⁹، باعتبار أن الكتابة عن الوطن تحدد الانتماء والهوية حتى وإن كانت صورته تحمل نوعاً من الخيبات وغياب بعض القيم، إلا أن عبد العزيز لا يكتفئ بهذا فيتضح رفضه وتمرده الصريح ضد وطنه تقول جمانة في الصفحة 17 على لسان عبد العزيز في الرواية:

"...أفتقدين وطننا يقممعك؟

أجبتك بالعربية، أيفتقدك وطن تخجل منه..؟

ابتسمت: أنت سريعة البديهة..!

قلت لك بلا مبالاة: وأنت جاحد..

تجاهلتني: كيف عرفت أنني عربي؟.. سألتك بالانجليزية..

أشرت إلى الكتاب العربي الذي كنت تقرأه.. بدون أن أنطق.. لم أخبرك بأن ملامحك عربية للغاية.."¹⁰.

تمثل التوليفة اللغوية "أفتقدين وطننا يقممعك" جملة ثقافية تحمل من التشظي وعدم الانتماء ما يوضح ملامح هذا الشاب الذي يعيش تناقضاً نفسياً واجتماعياً وثقافياً؛ فحبه لجمانة ولطهرها لأنها من وطنه الذي لا يحبه ليمارس عليها نوعاً من السلطة هي "سلطة الرجل الشرقي المتعصب في القمع والاذلال لذا فهو يخاف أن يخسرهما ويخاف أن يرتبط بها، ويخاف أن تتركه، كما يخاف أن يهجر حريته"¹¹، بل هو

⁹ حسن، أزرزي. "تأسيس جمالية الاختلاف بلغة الآخر في كتابات ما بعد الاستعمار". دفاثر البحث العلمي رقم 10 تمثلات الأنا والآخر، مختبر الترجمة - أدب مقارن - كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية، ص: 75.

¹⁰ عبد الله النشمي، أثر. أحببتك أكثر مما ينبغي، ص: 17.

¹¹ ينظر: عبد الخالق الهادي سبع، تفريد. "الشخصية في رواية أحببتك أكثر مما ينبغي"، ص: 162.

يحبها كما يريد وهذا ما يظهر جليا على لسانه في الصفحة 34 من الرواية: "أريدك أن تفهمي أمرا واحدا فقط...أنا أحبك بطريقتي، قد لا تروق لك لكنّها طريقتي ...

قلت لك : No Comment

أحسن !

إن تكوين شخصية عبد العزيز الذي حددت ملامحه أثير عبد الله النشمي واخترقت به عالم المتخيل يأبى في كل مرة أن يكون وفيا أو حتى يرفض العودة إلى الوطن فهو يتكّر له ولذاته ولحبه فلا يتردد في كل مرة أن يكون وفياً بل يرفض أصلا العودة إلى الوطن فهو يتكّر له ولذاته ولحبه فلا يتردد في كل مرة وفي مواضع متعددة في الرواية للإشارة إلى هذا الموقف، تقول جمانة لعزیز في إحدى صفحات الرواية:

"سألتك :أتري كم هي رقيقة مدينتنا؟

قلت لي بسخرية: والله ما أشوف إلا غبار !..انكتم صدري!..

صحت فيك بغضب: ولد!

قلت وأنت تضحك: والله انني صادق!... تبيني أكذب عليك وأقلك إيه شايف وأنا ما أشوف إلا غبار؟"12.

فلعل جمانة هي الشخصية الوحيدة التي كانت تفهم عبد العزيز وترسم تفاصيل دواخله بدقة شديدة تقول في ذات السياق "أعرف أن رجلا مثلك لن يتمكن من أن يكمل حياته في مدينة كمدينتنا، أعرف أنك لن تعيش فيها... ولا حتى قريبا منها.. تخنقك الرياض يا عزيز، تخنقك الرياض ومن فيها، ولعل المفارقة بين شخصية جمانة وعبد العزيز تكمن في الانتماء فجمانة لا تهمها الأرض التي ستعيش فيها مع عزيز لأنه يمثل لها الوطن والاستقرار والسند والسكينة على الرغم بتمسكها الشديد بوطنها الرياض وحبها لها "لكنني أحبها يا عزيز..أحبها! ..المدينة الأقسى التي لا تضاهيها في قسوتها مدينة أخرى على اتساع هذا الكون ..مدينة خلقت في نفسي طهرا وحباً وطيبة. ولم تخلق في أعماقك سوى القسوة، مدينة جعلت مني

¹² عبد الله النشمي، أثير. أحببتك أكثر مما ينبغي، ص:205.

امرأة؟ هشة، يكسرها أي شيء، وجعلت منك رجلا صلبا يحطم كل شيء! خلقت لدي الطهر ليلوثني عهرك وخلقت فيك الكره لينهار أمامه حبي ..¹³.
 وفي الحوار ذاته الذي دار بين جمانة وعبد العزيز يمحي هذا الأخير كل ذكريات مدينته ووطنه فلا يجد مشكلة في الارتباط بامرأة أجنبية غريبة، لأنه غير ملتزم للإخلاص لها فهي تمثل مجتمعا يستهويه في ممارساته الثقافية والاجتماعية والأخلاقية. تقول جمانة في الصفحة 207 "ألومك كثيرا على كرهك لمدينة جمعنا هواها في طفولتنا وتلومني كثيرا على دفاعي عنها، أنت الذي هربت منها تاركا وراءك كل شيء يربطك بها.. وأنا التي أطل عليها بين الحين والآخر لأتأكد أنها بانتظاري!

هل ستأرلي تلك البعيدة..؟! وتتصفني من رجل يدعي منها..ولا يحمل في أعماقه شيئا من همومها الكثيرة!؟

سألتك مرة: ألا تحمل للرياض شيئا..؟

أجبتني وأنت تطعم السمك: نسيت كل شيء كنت أحمله لها في مطارها الدولي..".
 فقساوة الرياض وتعصب المجتمع هو من صنع قساوة عبد العزيز وتملصه من كل شيء يربطه به وتروي جمانة أيضا تفاصيل تمتعه بغصة السمك بعدما رمى لها اللبان وهي في الحوض بل استمتعاه بذلك فتركيبته الانسانية وقساوة شخصيته جعلت جمانة تغضب منه لأجل السمكة الضعيفة ولأجل مدينة عريقة لا يكثرث بها.

صورة الرجل الشرقي المحب:

لعل محاولة كشف العلاقة التي تربط صانع الرواية وشخصياتها تجعلنا أمام جدل قائم بين الحقيقة الواقعية والتمثيل السردى المتواجد في ثنايا الرواية والمحرك لأحداثها فإذا أردنا كشف صورة عبد العزيز الشاب السعودي حبيب جمانة نصطدم بأثير عبد الله النشمي ومحاولة نقلها للمرجعيات الثقافية التي تريد التعبير عنها وتميرها عبر هذه الشخصيات التي صنعتها هي ولقنتها ما تقول محاولة تفجير خصوصية الرجل الشرقي المحب لأرضه وانتمائه والمتكسر لهما في آن واحد، فعلى

¹³ المرجع نفسه، ص: 207.

الرغم من كونها -الشخصيات- كائنات من ورق تقف بين المتخيل والواقع إلا أنها تثبتق من سياق ثقافي واجتماعي يحمل سؤال الهوية والانتماء.

والجدير بالذكر أن جمانة اختارت طريقة سردية متميزة لتقديم نفسها فقد أوكلت هذه المهمة لعبد العزيز بحيث انعكست صورة حبيبته في كتاباته الأدبية فيقول: "حبيبتي بدوية لا تعرف طعم القهوة! ولا تأكل من نعمات (البحر) شيئاً...تسكن بـ(صوت المطر) وتخاف من غضب الرعد فتتكشم في فراشها في كل ليلة يفضب فيها الرعد راجية إياي أن أظل معها على الهاتف لأنها... (مشتاقة إلي)!"¹⁴، فكان تقديمه لها فنيا رومانسيا ولكنه سرعان ما أخذ بعدا نفسيا واجتماعيا أعمق يقول في الصفحة ذاتها "ترغب بإنجاب ثلاثة أطفال وتوأم (مني)، من أنصار (المسيدس) على الرغم من أنها تخشى السرعة، تعاني من (فوبيا) الأماكن المرتفعة وتوترها المناسبات (المكتضة) بالناس تظن بأن الأسود يجعلها أجمل، بينما تبدو برأيي كحلم ملائكي بفستان أبيض اللون...تفضل من الأزهار الزئبق... تؤمن بحب فعلي بحت، تشد الأقوال مثلما تشد الأفعال، لذا أنا أقول!.. هذه المرة أقول وأعرف بأنني لم أكن أقول ولم أكن أفعل.. فهل تعيد النظر..؟! "إن تقديم عبد العزيز لجمانة في أدق تفاصيل تكوينها الاجتماعي والثقافي إنما دليل صارخ عن حبه لها ومعرفته بها وبأحلامها وتطلعاتها وحتى بحبهاله.

وسنحاول في هذه الجزئية تتبع صورة عبد العزيز الرجل المحب الذي يعشق اللجوء إلى أحضان وطنه وحبيبته وكيف يتشكل ذلك الهوس بالاستقرار والانتماء. ولعلنا في هذا سنركز على فعلي "البكاء" والتعري" واللذان يأخذان بعدا نفسيا عميقا في تكوين شخصية عبد العزيز .

تقول جمانة في الصفحة 214 من الرواية "ضحكت بقوة، ودموعك لا تزال على خديك فمسحتهما بيدي.. قلت مبتسما: لة تعرفين كم من المريح أن أبكي أمامك!. هذه العقدة الشرقية الوحيدة التي عتقك الرب منها!

¹⁴ عبد الله النشمي، أثير. أحببتك أكثر مما ينبغي. ص:118.

أبشرك ..هي عقدة من عقدي!.. ما زلت أرى في بكاء تالرجل بشكل علني ضعفا لا يقبل.. ما بالك ان بكى أمام امرأة؟
ولماذا تبكي أمامي إن كنت ترى في بكائك ضعفا؟
لأنك حبيبتني..."

يتجلى لنا في مقاطع سابقة ولاحقة لهذا المقطع السردي سبب بكاء عزيز وهو خوفه الشديد من فقدان جمانة وفراقها وما بكاء الرجل أمام حبيبته إلا تطهير لذاته وكشف عن تخوفاته من الحياة معها أو حتى بدونها إذ نتلمّس سبب بكاء عزيز في قوله "أترين ما الأكثر وجعا يا جمانة؟!.. أن أشهد على حزنك علي، أن أراك كل ليلة وانت تتحبين وحيدة في فراشك، أن أراقبك وأنت تقرأين رسائلي وأنت تتأملين صوري القديمة ..أن تديري التسجيل لتستمعي إلى الشريط الذي سجلت به بعض الأغاني بصوتي!.. لا قدرة على تصور الألم الذي سأشعر به وأنت تفعلين!
... قلت من بين دموعك: أعرف أنني عدّبتك في حياتي ..لا أحتمل فكرة أن يعدّبك غيابي وموتي أيضا يا جمانة..

قلت لك وقد دمعت عيناى :إعتني بي إذا ..!..أنت وجع قلبي!..

إن المتأمل فيما قاله عزيز يتضح له معالم شخصية نرجسية منتصرة لذاتها لها حب تملك الطرف الآخر الذي يراه ضعيفا لا يمكنه الحياة بدونه والسيطرة حتى في المشاعر الإنسانية فهو يستبعد أن تعيش جمانة حياة عادية بدونه وهذا أيضا ما يؤكد ضعف الطرف الثاني "جمانة" واستسلامه رغم احساسه بصعوبة تحقق هذا الحب.

فقد حاولت أثير عبد الله النشمي نقل صورة الرجل الشرقي النرجسي المحب والخائن والمتسلط في آن واحد، من خلال تصويرها لشخصية عبد العزيز لتؤكد فكرة امتلاكه لجمانة كذات أنثوية ضعيفة خاضعة مستسلمة لمركزية الرجل، فحب جمانة له هو ما أدخلها في قفص حديدي يصعب الفرار منه تقول: "تظن أنت بأنني أذكى من أن يسعدني رجل ..وأظن أنا بأنني أغبى من أن أدعي الغباء فأسعد معه! كان من الخطأ أن أبتدئ حياة عاطفية مع رجل خبير... لكنني لم أخترقدري معك

..كنت قليلة خبرة، غرة وطاهرة، قبل أن يلوثنى هذا الحب...¹⁵، لتختلف بعدها صورة الحب عند جمانة وعبد العزيز "تظن بأن الحب يطهرنا وأظن أنا بأنه يلوثنا ويشوهنا في أغلب حالاته...."¹⁶.

إن حب عبد العزيز لجمانة حبّ صنع هو تفاصيله فكان هو المسيطر على مقاليد، أما جمانة فأرادها أن تكون جارية له وفي مملكته وسلطانه يقول عبد العزيز في الصفحة 23 من الرواية: "جمانة اسمعي..أنا رجل لعوب.. اشربوا عريد وأعاشر النساء..لكنني أعود إليك في كل مرة..جمانة هذا أنا..عرفتك في الثلاثين من عمري .. فات وقت التغيير يا جمانة..لا أستطيع أن أتغير..أحبك أنت ..أرغب بك أنت..لكنني لا أتغير.. ولم تتغير.."، يحمل فعل الحب هنا بعدا نفسيا وثقافيا يمجّد مركزية الرجل ويلغي ذات المرأة بكل تفاصيلها ففي ظل تعبيره عن حبه لها لا يخف رغبته القوية في كسرها والسيطرة عليها تقول جمانة في حوارها مع عزيز:

"أنهكتني..أنهكتني كثيرا يا عزيز..!..

قلت لك مرة أنت تهكني..أشعر وكأني في مخاض طويل..

أجبتني واثقا: سيأبى رحمك أن يلفظني يا جمان..فلا تحاولي!..¹⁷.

ومن الأفعال التي جسدت حب عبد العزيز لجمانة أيضا هو فعل التعري الذي أخذ معنى التطهير والتكفير عن الذنب، فقد عشقت جمانة عري عبد العزيز من كل شيء لما في ذلك من صفاء لذاته وتعبيرا عما بداخله والبوح عن مشاعر حقيقية لم يتجرأ للبوح بها لأحد فهذا العري كما أشارت جمانة ينقيه ويجعلها تمتلكه ولو للحظات تقول "كان عريك ليلتها أظهر عري يا عزيز..لو تدري كم أحببت عريك وتعريك أمامي..أشعر أحيانا بأن ما يسترك هو ما يعيبك وما يجعلك حالكا...تغطي نفسك بمظهر عابث، غير مبال .. كذبة هنا تغطي عورتك وخدعة هناك تستر ما

¹⁵ عبد الله النشمي، أثير. أحببتك أكثر مما ينبغي، ص:290.

¹⁶ الرواية، ص:290.

¹⁷ عبد الله النشمي، أثير. أحببتك أكثر مما ينبغي، ص:24.

بقي من جسدك المكشوف..أحب عريك لأنه لا يخفي شيئاً ولا يغلفك من بعده شيء!..كم أحب أن تظهر أمامي كالحقيقة!..."¹⁸.

خاتمة البحث:

نصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أن تصوير شخصية ذات أبعاد متناقضة كشخصية عبد العزيز في الرواية ليست بالأمر الهين وخاصة إذا كانت شخصية شرقية جامحة تنتمي إلى مجتمع مغلق في عاداته وتقاليده ومفهومه الأيديولوجي الذي يحصر معنى الحب في الحب والامتلاك والسيطرة، فقد حاولت أثير عبد الله النشمي نقل صورة الرجل وتمثالاتها على الصعيدين الاجتماعي والثقافي.

عملت الشخصية الذكورية داخل الرواية جنبا إلى جنب والشخصية الانثوية ما أضفى بعدا دلاليا متفردا، فكلاهما تعاضدا وتساندا لخدمة الحدث، فقد كانت الحبكة الفنية التي نسجت من خلالها عبد الله النشمي في رسم صور الشخصيات داخل الرواية متميزة في بنائها وتركيبها إذ استطاعت من خلاله إيصال هذا الدفق الشعوري من امرأة شرقية محبة حد الفناء اتجاه رجل متسلط عاطفيا يعيش وهم امتلاك كل شيء ولكنه وفي الحقيقة لا يمتلك شيئا.

كما أبدعت أثير عبد الله النشمي في إيجاد الصراع المستمر منذ بداية الأحداث والذي يأخذ طابع مد وجزر في صور ذات أبعاد متناقضة في جميع صورها وهذا ما يزيد من احتدامه الحب/التجاهل -الانتماء إلى الوطن/التتكسر له- الوفاء والاخلاص/الخيانة، ونشير في الأخير إلى أن تميز هذا النص إنما مرجعه تجاوز السائد والمألوف في النصوص الروائية التقليدية بحيث عمدت أثير عبد الله النشمي إلى إدخال بعض من آليات التجريب على مستوى الشكل والمضمون التي كان فيها الانتقال بالتييمات من المركز إلى الهامش حيث تناولت قضية البوح الأنثوي المتمرد على الهيمنة الذكورية وأشكال القهر المعنوي الذي عاشته جمانة البطلة.

¹⁸ المرجع نفسه، ص: 214-215.

المصادر والمراجع:

- عبد الله النشمي، أثير. أحبتك أكثر مما ينبغي، ط11. بيروت: دار الفرابي، تشرين الأول 2013م.
- بن السائح، الأخضر. سرد المرأة وفعل الكتابة، دراسة نقدية في السرد وآليات البناء. الجزائر: دار التنوير، 2012م.
- سلمى، الوايف. "الثقافة النقدية وسؤال الهوية تفاعل الذات بالآخر"، مجلة الآداب، ع 02. الرياض: جامعة الملك سعود، 2014م.
- نورة، بعيو. "الرواية النسوية في الجزائر (النشأة وأسئلة الكتابة في الجزائر)" - أعمال الملتقى الوطني يومي 28 - 29 ماي 2013م.
- عبد الخالق الهادي سبوع، تغريد. "الشخصية في رواية أحبتك أكثر مما ينبغي"، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية - ابن رشد، جامعة بغداد، م 21، ع 19، 2015م.
- أزرزي، حسن. "تأسيس جمالية الاختلاف بلغة الآخر في كتابات ما بعد الاستعمار"، دفاثر البحث العلمي رقم 10 تمثلات الأنا والآخر، مختبر الترجمة - أدب مقارن - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية .
- الغدامي، عبد الله. المرأة واللغة، ط01. المركز الثقافي العربي، 1996م.
- آسية، متلف. ملامح البوح وتشظي الذات الانثوية في مواجهة الآخر رواية ساقذف نفسي أمامك "لديهية لويز أنموذجا"، كتاب جماعي "الرواية النسوية المعاصرة في الجزائر النص والتأويل، ط01. الجزائر: دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة.
- بوداود، وذناني. الكتابة النسائية بين إرغامات الواقع وفسحة التخيل، فاطمة العقون أنموذجا، مخبر تحليل الخطاب، أعمال الملتقى الوطني، الرواية النسائية في الجزائر 2013م.

قصص حمود الصوافي

توجه جديد في السرد العماني المعاصر: دراسة نقدية

أ.د. أحمد عبد المنعم حالو*

ملخص البحث:

يحمل الأدب نسبية النظرة مما عليه العلوم الكونية، وما يراه المسرود له مجرد خبر قد يحمل في طياته موقفاً يحيط بالإنسان في زمن وبيئة محددة وانتماء معين، وقد يتجاوز ذلك إلى الناس جميعاً، وربما إلى فضاءات كونية لا حد لها مثلها مثل شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ومن هنا كانت النظرة إلى "قصص من واقع الحياة" لحمود الصوافي في أنها لا تمثل أخباراً وثنائيات حوارية -كما هو ظاهرها- بل سيبين البحث تنوع فواعلها وتعدد شخصياتها مما وقف عليه كبار النقاد أمثال عز الدين إسماعيل، وعبد الملك مرتاض وغيرهما، وسيبين تنامي أفعالها وجماليات من حبكتها متلوّاً ذلك بمواقف الانتماء والرفض لكثير من زيف الحضارة الغربية مما يجب أن يكون عليه العربي بحكم تفرده الحضاري وما يحمله من موروثات عرويته وإسلامه، ومثل هذا يشكل توجهاً جديداً في السرد العماني.

كلمات مفتاحية: الحكمة، الحدث، السرد، الشخصية، الصوافي، القصص.

Abstract:

Literature bears a relativistic view, similar to that of cosmic science, where what the reciter sees is merely a news that may carry in its folds a situation surrounding a person in a specific time, environment and affiliation. Moreover, it may include all people, and perhaps unlimited cosmic spaces. Hence, the perception of "Qissas min Waqeil Hayat" by Hammoud Al-Sawafi, is that they do not only represent news and dialogue duos. The current research will clarify the diversity of their actors and the multiplicity of their personalities following the methodology of great critics such as Ezz El-Din Ismail, Abdul-Malik Mortadh and others. Moreover, the present research will show the growth of its actions and the aesthetics of its plot, the attitudes of belonging and rejection of much of the falseness of Western civilization, the matter that the Arab should be on, because of his cultural uniqueness and the legacies of his Arabism and Islam. This constitutes a new trend in the Omani narrative.

* أستاذ الأدب القديم، جامعة نزوى، سلطنة عُمان.

مقدمة:

البحث الذي بين أيدينا مرهون بعنوانه، ويسعى سعياً حثيئاً لإثبات موضوع العنوان وما توجه إليه، من أنّ توجّهاً جديداً بدأ ينتاب السرد العماني، وإن كنا نراه على قلة، فاليوم نرى قاصاً مبدعاً هو الأستاذ حمود بن عامر الصوايف المدرس في جامعة نزوى، يركب هذه الموجة، ولنقل من البساطة والوضوح والعظة المباشرة بملامح تنبئك بالقصدية في هذا التوجه؛ الأمر الذي أعادني إلى حكاياه وقصه أكثر من مرة محاولاً أن أعرف الجديد الذي يمكن أن يُوسم به هذا العمل، إلى أن كانت الدعوة للمؤتمر الأدبي الكريم (القصة العربية القصيرة في دول الخليج، أبعاد واتجاهات) أقبلت أحمل زادي القليل أريد أن أشارك المؤتمرين أعمالهم وأبحاثهم النقدية محاولاً في بحثي إنصاف هذا العمل ووضعه في مكانه اللائق.

وقد جعلت ذلك من خلال تمهيد وعدد من المباحث رتبته على النحو الآتي:

- التمهيد، ويضم مشكلة البحث وتساؤلاته وأهميته.
- المبحث الأول في خلفيات السرد من زمان ومكان.
- المبحث الثاني في شخصيات السرد وفواعله (التنوع والطواع).
- المبحث الثالث في الحوار السردى والحدث والحبكة.
- المبحث الرابع موقع قصص حمود الصوايف في السرد العماني والجديد الذي جاء به.
- ومما سبق يمكننا أن نلج عالم السرد ومعطياته، ثم عالم الصوايف في حكاياته وقصصه من واقع الحياة، ومنه ختام الدراسة ونتائجها ثم فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

ولدت القصة مع الإنسان منذ فجر التاريخ، ولم تكن حياته -أنى كانت - سوى قصة طويلة هو بطلها الأوحى، وإن لم يكن كاتبها الوحيد، ومن ثم رأينا رولان

بارت يذهب إلى أن السرد موجود في كل الأزمنة، وكل الأمكنة وفي كل المجتمعات، يبدأ السرد مع التاريخ، أو مع الإنسانية، ولا يوجد شعب دون سرد¹. ولما كان السرد يمت بصلة وثيقة للحكي كونهما من طبيعة لفظية واحدة أمكننا أن نقول: إنّ السرد هو التواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكي كمرسلة يتم إرسالها من مراسل إلى مرسل إليه². ولا يوجد قول سردي دون حكاية، والقول السردي شكل من أشكال الكلام ويتم نقله إلى المتلقي بشكل مباشر أو غير مباشر³. والطبيعة اللفظية للسرد، وارتباطه بمفهوم الحكاية أمران جعلتا معاني السرد في اللغة تتطوي على المهارة في النسج والسبك والاتساق والتوالي وجودة سياق الحديث⁴.

ولم يكن لي أن أبدأ تمهيدي بما بدأت به لولا اطلاعي على كتاب القاص حمود الصوايفي الأول (حكايات من واقع الحياة)⁵، وكتابه الثاني (قصص من واقع الحياة)⁶ إنهما وإن بدا عليهما كسوتهما بثوب الحكي، فإنهما يشفان عن ملامح قص أصيل في الزمان، والمكان، والشخص، والأفعال، ناهيك بالحوار وما عليه الشخص من تعدد وطواع مختلفة، مما نجد الكثير منه في السرد العربي أو العماني.

ومثل هذا لا يمرّ دون أن تعقبها مشكلة تتتاب البحث نلخصها في الآتي:

مشكلة البحث:

¹ بارت، رولان. النقد البنيوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، ط1. بيروت: منشورات عويدات، 1988م، ص:89.

² يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير، ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1989م، ص:41.

³ البوعلي، آسيا بنت ناصر. "فنية القص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، مطبوع ضمن: قراءات في القصة العمانية المعاصرة، ط2. 2006م، ص:223.

⁴ ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 2003م. مادة (سرد).

⁵ الصوايفي، حمود بن عامر. حكايات من واقع الحياة، ط1. عُمان: مكتبة مسقط، 2016م.

⁶ الصوايفي، حمود بن عامر. قصص من واقع الحياة، ط1. عُمان: مكتبة مسقط، 2020م.

وهي إنما تتجلى في صورة السؤال عن عدم تقيد الكاتب بمعطيات السرد كاملاً، واعتماده على بعض منها، وهل يعد ما أنتجه قصاً أو هو الحكوي والخبر فحسب؟ إن استقراء ما كتبه القاص الصوليّ يشعرك أنه وإن أهمل بعض القص على حساب بعض فإنما لغاية مهمة وضرورية تكاد تضيع في أيامنا هذه، وهي بناء الموقف أولاً والقص في أعقابه ثانياً، فهل يقبل مثل هذا في بناء القصة التي تكتظ بعناصرها ومعطياتها.

فمثل هذا التساؤل سيلاحقنا آناء البحث وفي أطرافه لنصل إلى ما أزمعنا الوصول إليه من أن هذا القص في توجهه ومبتغاه إنما هو توجه جديد في عالم السرد والقص العماني، وستكون اللوحات التطبيقية لقص حمود الصوليّ وحكاياته مرتكزاً أصيلاً في هذه الدراسة.

وأما عن أهمية البحث فهي نابعة من توجه أكبر مما تم العرض له في هذه الصفحات القليلة إنه التوجه لضرورة احتواء ذلك الكلام الأدبي الغني بمشاعره ووجدانياته ومواقفه النابعة من النفس الإنسانية، ومن العقيدة التي تتضاءل أمامها كل المعطيات الدنيوية، كأن يكون العمل الأدبي مصنوعاً لإرضاء أمير أو وزير - في سابق أيامنا - أو لإرضاء رغبة داخلية في الظهور والتعالي⁷ - في حاضرنا - فيجاء العمل غير مقنع لما ينقصه من العاطفة الفياضة والمشاعر الجياشة والانتماء البتاء.

ومثل هذا الأدب قد لا يقع في الكتب الأدبية خاصة، وإنما قد نجده في كتب التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والكتب الدينية من فقهية وصوفية، وفي السيرة النبوية، وفي التفاسير وسواها، وللتمثيل نشير إلى حديث كعب بن مالك عن تأخره في اللحاق بغزوة تبوك⁸، وحديث عائشة في الدفاع عن والدها⁹، وفي حادثة الإفك¹⁰،

⁷ ينظر في هذا التوجه: الندوي، أبو الحسن علي الحسني. *مختارات من أدب العرب*، تح: البلياوي. بيروت: دار ابن كثير، 1971م. والأشتر، عبدالكريم. "الأدب في غير كتب الأدب"، *مجلة الباحثين العلمية*، 2-8-2010م (متاح على موقع الباحثون الإلكتروني: www.albahethon.com) وحالو، أحمد عبد المنعم. "تفعيل النص الأدبي في المؤلفات العربية التاريخية والجغرافية"، *مجلة فكر وإبداع*، 2014م، إصدار خاص.

⁸ الندوي. *مختارات من أدب العرب*. ص: 10. والحديث مما ذكره البخاري في صحيحه، رقم الحديث 4066.

وما رواه الراوي سهم بن بنجاب في تاريخ الطبري¹¹ عن حروب الردة، وقد نمّت إلى أمثال ما كتبه الأمير أسامة بن منقذ في الاعتبار¹²، والشيخ علي الطنطاوي في حكايات من التاريخ¹³، فمثل هذا التوجه الأدبي الذي افتقد من صفحة الأدب، وحرى أن يكون في أولها على نحو ما فعل الأوروبيون بهذا النوع من الأدب¹⁴ يدعون لتنفيذ من التجربة السابقة فلا نترك أمثال قصص الصوالم في ضياع ويذهب سدى، وإنما نؤرخ له ونسجله في موضعه من السرد الأدبي العماني ثم العربي. ولعل ما أورده محمد مندور¹⁵ عن أهمية هذا الأدب مما فتح له الأوروبيون صدورهم وصحفهم فعده أدياً مدعاة للعناية بكل اتجاهات السرد والكتابة، فكيف إذا حملت ما حملت من عناصر القصص الأصيل.

المبحث الأول: صورة الزمان والمكان في السرد العماني

أ. الزمان:

لا خلاف في أنّ القصص فن زمني وأي قصة لا بد لها من نقطة انطلاق في الزمان، ولا بد لها من جذور ضاربة فيه، وهو مجال رحب للعديد من الدراسات والبحوث التي تؤكد قدرة هذا العنصر في تشكيل القصص والعديد من تقنياته. وليس من اليسير وضع تعريف دقيق جامع لأنواع الزمان في القصة، إذ لكل نوع مصدره ودلالته النابعة من تشابك الزمان ووحدته ببقية عناصر القصة "والمهتمون بالزمان في مجالات

⁹ ابن طيفور، أحمد بن طاهر. بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي. القاهرة: مطبعة مدرسة والده عباس الأول، 1908م، ص: 8-9.

¹⁰ الندوي. مختارات من أدب العرب، ص: 11-12. وابن هشام، عبد الملك المعافري. السيرة النبوية، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط3، ج3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م، ص: 243.

¹¹ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج3. القاهرة: دار المعارف، 1969م، ص: 301-311.

¹² ابن منقذ، أسامة. الاعتبار، تح: فيليب حتي. بيروت: دار الفكر العلمية، 1999م.

¹³ الطنطاوي، علي. حكايات من التاريخ، طبعة جديدة. جدة: دار المنارة، 2017م.

¹⁴ مندور، محمد. في الأدب والنقد. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1978م، ص: 5-6. وينظر: مندور، محمد. الأدب وفنونه. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1980م، ص: 6-7.

¹⁵ ينظر: مندور، محمد. في الأدب والنقد، والأدب وفنونه، مرجعان سابقان، الأول ص: 5-6، الثاني ص: 6-7.

الدراسات النقدية وغيرها أرجعوا صعوبة تعريفه أو تحديد مفهومه إلى كونه عنصراً نفسياً لا يُدرك بالحواس، وإنما أثره فقط من خلال الوعي أو الإحساس به¹⁶، ويمكننا الإشارة هنا إلى أنواع من الزمان، ولاسيما في القصة "فتمة زمن القصة، وزمن الحكاية، وزمن الحدث، وزمن السرد، وزمن الخطاب، وزمن النص، وزمن القصة الطبيعي الفلكي، وزمنها التخيل، وزمنها الباطني، وزمنها النفسي"¹⁷.

وفي استعراض سريع لتحقيق القاص حمود الصوليّ لهذا العنصر القصصي المهم نرى ومن خلال إطلالة غير محصورة بمكان أو قصة معينة اعتماده على عنصر الزمان في تكوينه القصصي من مثل حكايته: (الاستفزاز قد يظهر الحقائق) قوله بداية: (كنت يوماً في محل أكاليل سناو -بيع أدوات مدرسية- وأخذت ابنتي الكوثر ذات السبع سنين - قد دخلت المدرسة عام 2012)¹⁸ محاولة جادة لتبرير تصرفها في المحل فيما بعد؛ إذ أحببت الحقيبة ذات الألوان والفراشات وفضلتها على الحقيبة المصنوعة صناعة جيدة والمرتفعة في ثمنها.

وفي حكايته الثانية ذات الجزئين والمعنونة بـ"قوانين لا مرونة فيها" ابتداءً: (أخبروني في العام الماضي 2014 بأنّ منحة دراسية موجودة في وزارة التعليم العالي...) وما ذاك إلا ليبيّن على هذا المطلع الزمني أحداثاً ومقابلات وصراعات استمرت العام كله ولم يحصل على بغيته من المنحة الدراسية، ومن ثمّ ليدخل الجزء الثاني من الحكاية معنوناً له "الواسطة تغلب القانون" ليبيّن أن حصوله على هذه المنحة كان بقوة الواسطة وليست بقوة القانون كائنًا ما كان.

وفي مجموعته القصصية الثانية يذكر الزمان ويلح عليه ولو كان مجرد خلفية تتلاقى هي والمكان، فمن ذلك قصته: "تأثير القرآن في النفوس" إذ حدد زمان الرحلة

¹⁶ البوعلي. فنية القصص. ص:15.

¹⁷ يقطين، سعيد. انفتاح النص الروائي- الزمن- الشخصية، ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي القومي، 1990م، ص:32.

¹⁸ الصوليّ. حكايات من واقع الحياة. ص:125.

¹⁹ المرجع نفسه، ص:127-129.

إلى نزوى "الصباح الباكر" وحدد مكانها "القلعة والسوق"، وانتقل بخياله وهو يراقب طلاب معهد الشرعي يجيبون الأنحاء ويلتقون بالسياح الذين سمعوا منهم آيات كريمة تلاها أحد الطلاب فدهشوا لما سمعوا ودهش القاص وانتقل إلى عالم تخيلي قاطعاً المكان والزمان إلى حيث نزول الوحي وآياته العظيمة متذكراً ماضي عمان وإقبال أهلها للدفاع عنها بدافع هذا القرآن الذي بقي حياً في نفوسهم مئات السنين وما زال يؤثر فيهم ويدفعهم للحفاظ على مكرماتهم ومقدساتهم²⁰.

أ. المكان:

يرى بعض النقاد أن المكان بناء لغوي يشيده جمال المؤلف بواسطة الكلمات، فيجعل منه شيئاً خيالياً. والطابع اللفظي للمكان يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها²¹، وهو ذو أهمية في القصة بحيث يتجاوز كونه شيئاً صامتاً أو مجرد خلفية تقع عليها أحداث القصة، بل ربما كان محوراً تدور من حوله المحاور، ومن هنا رأى غاستون باشلار: "أنّ العمل الأدبي، حين يفقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته، وبالتالي أصالته"²². وترى الدكتورة آسيا بنت ناصر البوعلي أنّ المكان قد يتحول في داخل النص من مجرد خلفية تقع عليها الأحداث إلى عنصر تشكيلي من عناصر القصة، إذ للمكان دور مكمل لدور الزمان في تحديد دلالة القصة، كما أن له أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية، وتنظيم الأحداث نظراً لارتباطه بخطة الأحداث السردية... كما يحدد حركة السارد ويوجهها عبر مختلف الأماكن التي يجتازها²³.

²⁰ المرجع نفسه، ص:14.

²¹ البوعلي. *فنية القص*، ص:13. وينظر: الضبع، مصطفى. *استراتيجية المكان*. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998م، ص:151.

²² باشلار، غاستون. *جماليات المكان*، تر: غالب هلسا، ط3. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1987م، ص:65.

²³ البوعلي. *فنية القص*. ص:13.

والواقع أن المكان في النص السردي القصصي لا يستبعد تشبيهه بنقطة تجمع مهمة تجتمع فيها شبكة العلاقات التي تكون القصة، ومن هنا يمكن عده عنصراً أساسياً في تشكيل بنية الشخصيات والكشف عنها من خلال علاقة التأثير والتأثير بينها وبين المكان²⁴.

وبالعودة إلى سرد حمود بن عامر الصوايفي، حكاياته وقصصه وبدءاً من قصته: "تأثير القرآن في النفوس"²⁵ رأينا كيف صور السارد لنا المكان بجزئياته المتعددة ومعطياته الزاخرة من سوق ومسجد وقلعة رابطاً بين هذه الأماكن وحالته الخاصة بالفرح برؤيته، ثم عكف على ما تشتمل عليه من أبواب ومدخل ومدافع في أبوابها، وكأنه يستقصي جماليات هذا المكان، لا ليقف عند هذا الحد بل ليربط ذلك كله بالزمان الحاضر من جهة والغائب من جهة أخرى، متصوراً جهاد العمانيين عبر العصور وما كانوا عليه من حب لبلادهم والدفاع عنها.

وإذا ما انتقلنا إلى قصته الأخيرة: "رحلتي إلى بيروت"²⁶ والتي جعلها في خمسة وعشرين فصلاً، فإننا نلاحظ إدخاله قدرًا كبيراً من ذكر الأماكن، وما كان يطالعه فيها من أشخاص جلهم من العرب، من لبنانيين وسوريين وعراقيين وفلسطينيين، وعمانيين كونه ورفيقه يمثلهم، ناهيك بذكره لسكان بيروت وطرابلس، وقد كان ذكر في فصله الأول المطار، وذكر في فصله الثاني المطعم وأصدقاء المائدة، وفي الفصل الثالث عرض لبيروت وما تمتاز به من رؤية من الطائرة، مبانيها وعماراتها، وفي الفصل العاشر، وكان قد عرض قبله لطرابلس وهو الآن في جامعته التي أراد التسجيل فيها يربط بين الموظفين من ذكور وإناث، وما هم عليه من لياقة وأدب وحسن استقبال ومعاملة، وكأن المكان الجامعي خلق فيهم هذه المواصفات، وحلاهم بجملة هذه الآداب.

المبحث الثاني: شخصيات السرد وفواعله، التنوع والطوابع

²⁴ المرجع نفسه، ص: 14.

²⁵ الصوايفي. قصص من واقع الحياة. ص: 14.

²⁶ المصدر نفسه، "رحلتي إلى بيروت" فصول متعددة، ص: 174 وما بعدها.

أراني اليوم أميل إلى ما درج عليه بعض النقاد المتأخرين من تسمية الشخصيات بالفواعل²⁷ لما لها من دور فعال مؤثر في الأحداث نفسها، وفي تأزم حبكة وانفراجها، وفي الموقف الذي تتخذه من خلال السرد عامة، أو في نهاية القص إذا كانت من النوع الذي أوكل إليه السرد، فكان السارد هو البطل، وكان مجيئها على ضمير المتكلم²⁸، ومثل هذه الحالة المشار إليها لا تأتي في كل القص الخليجي أو العماني أو العربي عامة، فثمة تقسيمات أخرى للشخصيات أو الفواعل في تصرفاتها وأحاديثها غير التي رأينا، وقد أحصى الناقد شبر الموسوي عدداً منها وفصل في أنواعها وطوابعها²⁹ على ما سنأتي عليه موازنة مع آراء نقاد آخرين في تعدد الشخصيات وما هم عليه من نمو وجاهزية.

ولعل اعتماد اسم الفاعل للشخصية الرئيسية في القصة، وكذلك (الفواعل) للشخصيات يأتي من أن الشخصية في القصة هي التي تصنع الفعل، لا الفعل هو الذي يصنع الشخصية، ولو نظرنا إلى الشخصية في القصة القصيرة، وكيف يتم بناؤها، لوجدنا الشخصية تظهر أولاً في أعماق الكاتب، وربما لزمن طويل، أو قصير حتى يصبح لها كيان عضوي مع مر الزمن، ثم تبرز من خلال تشكيل لا تمثله فكرة، وإنما تمثله المواقف والأحداث والأفعال والحالات النفسية المتباينة حتى تولد ولادة إبداعية.

ومهما يكن فالبناء للشخصية المشار إليه آنفاً وجدناه عند القاص الصوايفي، ولكن مع تغليب للعقل العفوي والطبعي الذي تكون لدى القاص الصوايفي عبر سنين طويلة، وأنتج فيما بعد تشكيل شخصيته التي لم تكن لتمثلها فكرة أو فكرتان، وإنما تمثلها مواقفه الصارمة المبينة عن انتمائه وخصاله، وكذلك أفعاله وحالاته

²⁷ القاضي، محمد. تحليل النص السردي. تونس: دار الجنوب للنشر، 1997م، ص: 121-123.

²⁸ اللواتي، إحسان بن صادق. في السرد العماني المعاصر. عُمان: مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، 2013م، ص: 13.

²⁹ الموسوي، شبر بن شرف. القصة القصيرة في عُمان من عام 1970م وحتى عام 2000م، دراسة فنية موضوعية. مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2006م، ص: 232-260.

النفسية المتلونة مع المواقف التي يعرض لها حتى أمكننا أن نقول إننا أمام ولادة إبداعية من الدرجة الأولى.

وحيث كانت الشخوص في قصص الصوايف معظمها يتكئ على البطل أو الشخصية الرئيسية بما يغمرها ويتمحور فيها من زمان ومكان وانتماء أصيل كان لا بد أن نشير إلى أهمية هذه الشخصية، أو كما يُقال البطل، فيشير الدكتور شبر الموسوي إلى أن الفاعل القصصي ينهض بقدر كبير أو أكبر من عبء الخطاب في القصة، ولا فرق أن يكون الفاعل فرداً وحيداً أو أفراداً أو جماعةً أو مكاناً أيضاً³⁰.

هذا ويتنوع بناء الشخصية داخل القصة لتنوع وجودها داخل المجتمع، ويختلف النقاد حول هذه النقطة أنواعاً ومذاهب متعددة.

فمثلاً يرى الدكتور عبد الملك مرتاض أنها تنقسم إلى ستة أنواع، وهي الشخصية المدورة والمسطحة، والإيجابية والسلبية، والشخصية النامية والثابتة، والشخصية المدورة هي تلك الشخصية المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقاً ماذا سيؤول إليه أمرها كونها متغيرة الأحوال، متبدلة الأطوار، وأما الشخصية البسيطة فهي التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها³¹. وكنا قد رأينا نماذج من هذه الشخصيات فيما قصه الصوايف ولاسيما في شخصيته نفسها من حيث الإيجابية أو الثبات على اختلاف المواقف وتباينها.

بينما يرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن الشخصية تنقسم إلى نوعين: شخصية جاهزة وشخصية نامية، والشخصية الجاهزة هي الشخصية المكتملة التي تظهر في القصة دون أن يحدث في تكوينها تغير، وإنما يحدث التغيير في علاقتها دون تصرفها الذي يلزم طابعاً واحداً، وأما الشخصية النامية فهي الشخصية التي يتم تكوينها

³⁰ المرجع نفسه، ص: 160.

³¹ مرتاض، عبد الملك. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1998م، ص: 87 وما بعدها.

بتمام القصة، فتتطور من موقف إلى موقف ويظهر لها في كل موقف تطور جديد³²، ولسنا مبالغين إذا ما نسبنا الشخصية في قصص الصويجي وحكاياه إلى النوعين معاً حيث جاهزية الفكرة واكتمالها عند الشخصية الرئيسية، وإنما الطرح الفكري عند هذه الشخصية بحسب المواقف التي تمر بها.

هذا، وقد دلل الموسوي من خلال قصص كثيرة من السرد العماني على أنواع الشخصيات وضوابطها، وعدّها منها -كما مرّ بنا- الجاهزة والمأزومة والمتسلطة والمنتصرة والمتقفة والمهزوزة³³.

ونلاحظ وجود أمثال هذه الشخصيات في قصص الصويجي وحكاياه، فالشخصية الجاهزة والنامية بأنّ واحد هي شخص السارد نفسه، والشخصية المثقفة تظهر بكثرة في قصصه التي يتناول فيها موضوعات ثقافية أو اجتماعية ذات صلة بالواقع العلمي والثقافي في عُمان، وقد تبدو الشخصية المثقفة مأزومة لضعف ثقافة أو أنها لا تملك من مقومات النجاح مثل قصته الواردة في مجموعته الثانية: "التواضع سمة العلماء/ص18"، وقصته: "الدال على الخير كفاعله/ص64" وقصته: "الاعتزاز بالهوية/ص126" وقصته: "فما راء كمن سمع/ص139". وعلى العموم لم يبعد الصويجي عما أشار الموسوي من جاهزية الشخصية في القصة العمانية عامة.

المبحث الثالث: الحوار السري، الحدث والحبكة

الحوار كلام شفوي، بيد أنه يضم كل أشكال الكلام الشفوي السائد في اللغات بلهجاتها المختلفة، وهو بمفهومه الواسع في النص القصصي كل أشكال التفاعل التي تتحقق في سياق لغوي، على أنه يُقصد به كل تواصل يجري على شكل تبادل للأقوال، أي على شكل حوار، ولكي يتحقق هذا التبادل الحوارية والتفاعل

³² إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه، دراسة ونقد. القاهرة: دار الفكر العربي، 2013م، ص: 108.

³³ الموسوي. القصة القصيرة في عُمان. ص: 257-260.

اللفظي لا بد من توافر مقومات ثلاثة: الفضاء المشترك والمعرفة والفهم المشترك بينهم للسياق، وأخيراً التقويم المشترك بين المتحاورين لنفس السياق³⁴. والذي لا بد من ذكره أن الحوار في النص القصصي يأتي على نوعين حوار بين شخصية -أو أكثر- وأخرى يسمى (Dialogue) وحوار بين الشخصية وذاتها (Monologue) واستناداً إلى نوع الحوار يمكننا تحديد نوع النص المقروء واتجاهاته السردية، وأشكال السرد فيه، من حيث المباشرة أو عدمها، على أن الوقوف على نوع الحوار وهيمنته يتيح لنا الوقوف على تأويلات القضايا المطروحة في النص، ومن خلال الحوار أيضاً يمكن تحديد موقع الراوي في النص، ومدى سلطته ومن ثم اتجاهاته الأيديولوجية، وميله نحو الذاتية أو الموضوعية³⁵.

ومما تحسن إضافته في مقام الحوار السردية ما يسمى بالاستلزام الحوارية مما نعق عليه في اللسانيات الغربية، وتعود نشأته إلى الفيلسوف بول جرايس (Paul Grice) في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد عام 1967م، والتي حاول فيها "التفريق بين ما يُقال، وما يُقصد في الخطابات المختلفة، فهناك من يقصد ما يقول، وآخر يقصد عكس ما يقول، وثالث يقصد أكثر مما يقول، فما يُقال هو ما تحمله الألفاظ والعبارات من معنى حريفي (القيمة اللفظية) أما ما يقصد فهو ما يريد المرسل إيصاله إلى المرسل إليه بطريقة غير مباشرة، باعتبار هذا الأخير قادراً على التفسير والاستعانة بمختلف المعطيات السياقية لإدراك مراد المرسل، فكان الاستلزام الحوارية حلقة الوصل بين المعنى الحريفي الصريح والمعنى المتضمن..."³⁶.

مهما يكن فما وقفنا عليه من حوارات القاص الصوايفي في مجموعتيه القصصيتين لم تبق فيما يمكن أن يقرأه القارئ أو يشير إليه المستشهد بحواراته وما كانت عليه

³⁴ البوعلي. فنية القصص. ص:12. وينظر: المرتجى، أنور. سيميائية النص الأدبي. الدار البيضاء: مطابع إفريقيا الشرق، 1987م، ص:50-51.

³⁵ البوعلي. فنية القصص. ص:12-13.

³⁶ مجلة الأثر، ع28، جوان 2017م، (جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي- الجزائر).

من صفات الحوار السردى مجالاً لما أخذ يحبط عمله، بل على العكس، فالحوار هو ما ميز المجموعتين في عالم السرد، وأعطى لهذا التوجه وجهه المتألى. فمن الأمثلة ما ورد في حكاية "الشكل خادع"³⁷ من دايالوج ومونولوج بآن واحد، فالسارد يقول لنفسه حين رؤيته لهذا الإنسان الذي توحى تجاعيد وجهه بأنه إنسان غضوب: "يا ترى ما الحقد الذي يكنه هذا الرجل للآخرين؟" فهذا الحديث الداخلي رافقه حوار خارجي حول هذا الرجل في وحدة مكانية لمحاولة تفسير الوجه الغاضب لهذا الإنسان بين المحاور السارد وأحد أصدقائه الذي أقبلوا على هذا الرجل بالحديث، يقول السارد: "فقلت له: كيف لك أن تمشي مع ذاك الرجل؟ أما ترى قساوة عينيه وتجاعيد وجهه؟ تبسم قليلاً ثم أردف قائلاً: "بل هو الطيب سيان!" قلت له: "سبحان الخالق، كيف ذلك؟" إلى أن ردّ المحاور: "ليس العبرة بالشكل (الديزايين) وإنما العبرة بالقلب".

وبالانتقال إلى المجموعة القصصية الثانية قصص من واقع الحياة، أقول: لو خيرت عنواناً آخر لاخترت لهذه المجموعة القصصية المعنونة بقصص من واقع الحياة بثنائيات حوارية من واقع الحياة، مما يدل المتلقي على ما حفلت به هذه المجموعة من حوار اكتسب معظم صفات الحوار من داخلي وآخر خارجي مع متحاور، أو محاور مع شيخ أو طفل، مع كبير أو صغير في شمولية للمكان وفضائه الذي يوحد بين المتحاورين مع الفهم والمعرفة لما يجري ويقال، وفي كثير من الأحيان يبدو الاستلزام الحوارية، فالسارد المحاور قد يقول كلاماً غير مقصود بذاته، وإنما ليدخل إلى مستلزم كلامي آخر يقرره الموقف الذي طالما باشر فيه السارد بما يريد أن يقوله ظاهراً وباطناً من غير مواربة، بل هي المباشرة المطلقة، إنه توجه جديد ويجب أن يتسع أدبنا وسردنا لكل جديد ما دام السارد يعوض المتلقي بعناصر فنية أخرى، وبقوة الموقف وجلالة ما فيه من معاني الانتماء والخلق الحسن ومشاعر الارتباط بالعروبة والإسلام، ولعل ما تم عرضه من ثنائيات الحوار ينقلنا لحديث آخر في هذا المبحث حول الحدث والحبكة.

³⁷ الصوايف. حكايات من واقع الحياة. ص: 176.

الحدث والحبكة: الحدث هو الفعل والمقصود أحداث السرد وأفعاله ووقائعه المسرودة سرّاً فنياً أي تلك الحوادث المرتبطة بعضها ببعض في نظام أو ترتيب معين، وقد تعارف النقاد أن يطلقوا عليهم مصطلح "إطار" ومنه الإطار الخارجي للقصة وكذلك الإطار الداخلي: الحركة النفسية الداخلية للسارد، وكله مما يميز قصة عن أخرى، إذ إن الحوادث تتبع نظاماً أو ترتيباً في قصة، وتتبع آخر في قصة أخرى. ومما اشترطه النقاد في فنية القصة أن يكون للأحداث المسرودة فيها بناء متماسك الأجزاء يحقق ارتباطاً منطقيّاً بين الأفعال والفواعل، أي بين تلك الأحداث والشخصيات، بحيث يتم هذا الارتباط عن وحدة ذات دلالة، ومما مال إليه النقاد أيضاً أن أهمية العمل القصصي لا تقع في الأحداث والأفعال ذاتها بل في طريقة تقديم الأحداث وتوزيعها في العمل كله³⁸.

والواقع أن الحبكة في تطورها وتناميها إنما تمثل بأخرة قمة الأحداث التي يجب أن تؤول إلى حل مناسب يقتضية السرد أو القص، فهذه إشارة خاطفة فيما يجب أن تكون عليه الحبكة في القصة وما يليها، وبالعودة إلى حكايات الصوايف وقصصه فيما تم التطير له من الحدث والحبكة وبإطلاء على حكاياه غير مقصودة، فنجد قصته: "إهمال وإخلاف وسوء فعال"³⁹ يتناول فيها حدثاً وحبكة كانا يتناميان ويتنامان إلى نهاية القصة، وفرجة الحل لما استمر أسابيع وأسابيع أخرى مضافة على نية الانفراج فلم ينفرج، فما كان من السارد إلا عظته التي شملت عموم رفاقه، ثم عممت على واقع الأمة كله، وذلك أن مجموعة رفاق اتفقوا على أن يقرأ كل واحد منهم، وعلى مدى شهر كتاباً ثم يجتمعون لمناقشة ما قرؤوا، فلم يحفل لذلك إلا واحد أو اثنان، فأعطوا لأنفسهم فترة قراءة أخرى، والواقع نفسه لما اجتمعوا ثانية مما أزم موقف السارد وفرّج عن نفسه بقوله: "ليت الذين تخلفوا اعتذروا تقديراً لقيمة العهد، واحتراماً للعلم وبعداً عن الانتصار للنفس حين الإحساس بالخطأ..."

³⁸ البوعلي. فنية القصص. ص: 13. وينظر: إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه. ص: 185-186. ومحمود، علي عبد الحليم. القصة العربية في العصر الجاهلي، ط2. القاهرة: دار المعارف، 1979م، ص: 287.

³⁹ الصوايف. حكايات من واقع الحياة. ص: 223-224.

قال: "وقل كذلك قد ينعكس ما جرى على واقعنا العربي المرذول فلا قراءة ولا مواعيد ولا اعتذار، وإنما إهمال وإخلاف وسوء فعال".
 وفي مثال آخر من قصص الصوايف، من مجموعته الثانية قصته "الأقدار تتوافق مع حسن النوايا"⁴⁰، وخالصة القصة حدث مريك سببه طفل مشاغب في حلقات الدرس وفي أثناء الاستراحات مما كان يقوم به من سخرية وتعليقات على المدرسين بقصد إضحاك رفاقه وإثارة الشغب، وما تلاه من اجتماعات المدرسين والإدارة في محاولة لفصل الطالب، فلم يصلوا إلى ذلك لمتعلقات الأمر التربوية والأسرية وسمعة المركز، في تسلسل مميز للأحداث، وحبكة تتنامي مع الأحداث إلى ذروتها، ثم ما كان من إنفراجها بوضع الطالب ممسكاً على نفسه، إذ تصرف تصرفاً سيئاً لم يرض عنه المعلمون ولا الإدارة أدى إلى قرار بفصله وإبعاده عن المركز.
 ومهما يكن فالتنظير للحدث والحبكة لا تكاد حكاية أو قصة من قصص الصوايف تخرج عن مؤداه بدءاً من أولى القصص وإلى أواخرها.
 المبحث الرابع: موقع قصص حمود الصوايف في السرد العماني، والجديد الذي جاء به

من المؤكد أن القاص الصوايف قام في نفسه غرض القصة وهدف التعبير عن كل حواراته التي أجراها مع أفراد المجتمع بمختلف طبقاته وتنوع رجاله ونسائه وأطفاله بأسلوب حكاية قصصي، الحكاية أولاً، ثم دلف منها إلى الصيغة القصصية فصور المكان، وحدد الزمان، ورسم الشخص، وحرك الأحداث بعيداً عن الصمت، ودخل معترك الحوار رويداً رويداً إلى أن أزمه، وانتظر منه القارئ أن يأتي بحل حبكته مما سيقابله به المحاور الآخر، وانتظر كذلك التعليق الذي سيأتي به القاص والذي يمكننا تسميته بالموقف أو خلاصة هذا القص وهذه الثنائية الحوارية. وربما جاءت أولى المخالفات الفنية فيما ذكرناه أن القاص عكف على المباشرة، وامتطى سهوة البساطة والتعبير الحر (فما في قلبه على لسانه) دون أي موارد أو قناع

⁴⁰ الصوايف. قصص من واقع الحياة. ص: 103، كذا "النوايا" والأفصح "النيات" وفي الحديث الشريف "إنما الأعمال بالنيات".

في حين يلج النقاد وكتّاب القصص على ترك المجاهرة والمباشرة والوعظ، وإنما يتركون ذلك للقارئ ليكتشفه بنفسه، والرأي أن هذه المواقف من القاص الصوليّ بما أشريت به من حب لبلده ووطنه، ودفاع عن انتمائه العربي والإسلامي، مقابل التوجهات الغربية التي تصدح بها كل الجهات رسمية أو شعبية وحتى عامة متدنية مع محاولة تقويم العادات والتقاليد، والدفع بها نحو الأصلاح فالأصلح يبرر إلى حد ما هذا التوجه القصصي الذي افتقدناه مقابل العكوف الشديد على فنية من فنيات السرد، ومنه فالرأي الاحتفاء بمثل هذا التوجه، وعدم إهماله، إذ ما أحوج القوم إلى من يقوم ويتكلم ويحاول التغيير.

فهذا بعض ما لهذه القصص والحكايات من قرب للسرد وائتلاف له، ومن ثم رأينا كيف يفترقان في أمور بسيطة أمكن تحليلها، ويمكننا بعد هذا أن ندلف لإيجابيات لا نقف عليها في السرد العماني، وذلك بالنظر إلى سيميائية العناوين عند القاص الصوليّ فنرى في حكاياته وقصصه عناوين هي أقرب للرموز، بل هي رموز تحمل خفاءً لطيفاً من جهة، وكشفاً فاضحاً من جهة أخرى لما هي حال المجتمع ومؤسساته، ثم حال الإنسان العربي نفسه من الشرذمة والتبعية للغير، وتأتي الثنائيات الحوارية بعد هذه العناوين المختارة لتوضح بدقة ما قصد إليه السارد الذي هو المحاور الرئيس وبطل القصة وشخصيتها المكتملة.

ولك أن تتبين ذلك من مطالعة هذه العناوين، وعلى سبيل المثال لا الحصر في حكايات من واقع الحياة، ولك أن تتبعها بقراءة ميسرة، لترى عمق ما أشرنا إليه، فمن ذلك قصته: "سوء التخطيط خسارة/97"، وقصته: "يتخفون كالحرباء/19"، وقصته: "التقليد مذمة/18"، وقصته: "الحياة صفحات تتطوى كل يوم/268"، وقصته: "التعميم من العمى/258" وسوى ذلك كثير.

ونحو التجربة الأولى التجربة الثانية نقوم بها من خلال مجموعته القصصية الثانية "قصص من واقع الحياة" وفتح المؤلف لا على التعيين لنرى قصته: "العدالة رحمة واطمئنان/159" ونتابع الفتح والتسجيل لنرى قصته: "سوء النية/122" وقصته: "ورع

ومبادرة/70" وقصته: "كذب واستغلال/29" وقصته: "دجل مقصود/169" وقصته: "حسن تصرف/60" وسوى ذلك كثير أيضاً.

ومما يسجل للشيخ القاص حفظه الله هذه اللغة المتميزة التي عرض من خلالها حكاياه وقصصه، والقصة - كما يقال - بناء لفظي فأكرم بهذه الأبنية المتعددة التي صاغ فيها قصصه من قصيرة ومطولة بعض الشيء على ما كانت تقتضيه المواقف في هذه القصة أو تلك، وإذا ما تركنا المواقف فإن ألفاظ القاص مرهفة حساسة، رقيقة فعالة، ذات جاذبية خاصة، وكثيراً ما كان ذلك يأتي في حيز الحدث والحبكة معقودة بأعمال الشخصيات وألفاظها وحوارها، وكان ذلك كله دافعاً للقارئ ليبدأ من أول حرف للقصة، ولا يتركها حتى تنتهي تاركة أفضل الأثر.

خاتمة البحث:

فما تم عرضه حتى الآن ترك لنا المجال لنؤكد في هذه الوقفة الأخيرة بعض النتائج التي حدث بنا لرؤية هذا القصص على سبيل التوجه الجديد في جملة السرد العماني، فمن ذلك أوجه الأتلاف وأوجه الاختلاف، فنرى المعانقة والموافقة بين السرد الحوارى، والحدث، والحبكة، والشخصيات في أنواعها وطواعيها، والاتكاء البناء على خلفية الزمان والمكان بما لهما من خصوصيات التأثير في السرد والحدث والحبكة وبناء الشخصيات، فهذه ناحية، وهي التي يمكن أن تحوز على رضا النقاد وسكوتهم عن بعض هفواتها التي تعد من قبيل أن الكمال المطلق لله وحده. وأما ما يمكننا رصده من الاختلاف بين سرد قاصنا الصوايفي والسرد العماني بعامة، فهي هذه المباشرة في الطرح، ونبذ القناع القصصي في بعض مواقف القصص، ولاسيما في سرده الحوارى حين يتوجه بالنقد والتقريع والتوبيخ وتوجيه إصبع الاتهام إلى المسؤول في الخلل كائناً من كان فرداً أو جماعة أو مؤسسة، وربما أكثر من ذلك، وكل هذا بالمباشرة تارة، والوعظ أخرى، وإثارة روح الانتماء العربى والإسلامى، والقومى والمحلى تارة أخرى، وهو ما كان يتوقف عنده النقاد، إذ يطالبون بعدم المباشرة وترك ذلك للقارئ ليعرف ويتعرف على المطلوب فعله أو التوجه للاعتقاد به وممارسته.

وبعد: فهل تعني هذه الفجوة بين القاص ومنهج السرد العُماني أن نهمل سرده، ونترك قصه، ونهمل منطلقاً في النقد ما أحوجنا إليه لما نحن فيه من شتات في الانتماء والهوية، والعادات والتقاليد؟ لا وألف لا، فهذا ما تألفه أرواح الكثيرين، ويكفينا ما رأينا سابقاً من الغرابة المقصودة والتخفي وعدم الوضوح عما يريده القاص من قصه، فقد آن الأوان لتوجه جديد في البساطة والوضوح مع إيماننا بالقناع، والقناع البناء الموجه للإقناع والتغيير والتبديل لنصير على قارعة الطريق المستقيم، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- ابن طيفور، أحمد بن طاهر. بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي. القاهرة: مطبعة مدرسة والده عباس الأول، 1908م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 2003م.
- ابن منقذ، أسامة. الاعتبار، تح: فيليب حتي. بيروت: دار الفكر العلمية، 1999م.
- إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه، دراسة ونقد. القاهرة: دار الفكر العربي، 2013م.
- بارت، رولان. النقد البنيوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، ط1. بيروت: منشورات عويدات، 1988م.
- باشلار، غاستون. جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط3. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1987م.
- البوعلي، آسيا بنت ناصر. "فنية القص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، مطبوع ضمن: قراءات في القصة العمانية المعاصرة، ط2. 2006م.
- الصوايف، حمود بن عامر. حكايات من واقع الحياة، ط1. عُمان: مكتبة مسقط، 2016م.
- الصوايف، حمود بن عامر. قصص من واقع الحياة، ط1. عُمان: مكتبة مسقط، 2020م.
- الضبع، مصطفى. استراتيجية المكان. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1998م.
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج3. القاهرة: دار المعارف، 1969م.
- الطنطاوي، علي. حكايات من التاريخ، طبعة جديدة. جدة: دار المنارة، 2017م.

- القاضي، محمد. تحليل النص السردي. تونس: دار الجنوب للنشر، 1997م.
- اللواتي، إحسان بن صادق. في السرد العماني المعاصر. عُمان: مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والإعلان، 2013م.
- مرتاض، عبد الملك. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1998م.
- المرتجى، أنور. سيميائية النص الأدبي. الدار البيضاء: مطابع إفريقيا الشرق، 1987م.
- مندور، محمد. الأدب وفنونه. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1980م.
- مندور، محمد. في الأدب والنقد. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1978م.
- الموسوي، شبر بن شرف. القصة القصيرة في عُمان من عام 1970م وحتى عام 2000م، دراسة فنية موضوعية. مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2006م.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني. مختارات من أدب العرب، تح: البلياوي. بيروت: دار ابن كثير، 1971م.
- وابن هشام، عبد الملك المعافري. السيرة النبوية، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط3، ج3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م.
- ومحمود، علي عبد الحليم. القصة العربية في العصر الجاهلي، ط2. القاهرة: دار المعارف، 1979م.
- يقطين، سعيد. انفتاح النص الروائي- الزمن- الشخصية، ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي القومي، 1990م.
- يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبثير، ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1989م.
- مجلة الباحثين العلمية، 2010-8-2م (متاح على موقع الباحثون الإلكتروني: www.albahethon.com)
- حالو، أحمد عبد المنعم. "تفعيل النص الأدبي في المؤلفات العربية التاريخية والجغرافية"، مجلة فكر وإبداع، 2014م، إصدار خاص.
- مجلة الأثر، ع28، جوان 2017م، (جامعة الشهيد حمّة لخضر بالوادي- الجزائر).

رياض الأطفال ودورها في تنمية الثروة اللغوية للأطفال

* د. محمد مظهر

Email: mazharjamali@gmail.com

ملخص البحث:

تعتبر مرحلة رياض الأطفال من أهم المراحل التعليمية، حيث تشكل أبعاد نمو الطفل الجسدي والحركي واللغوي. ومن هنا كان لهذه المرحلة برامج وأنشطة تربوية متنوعة تهدف إلى إشباع حاجات الطفولة وتنمية الشخصية المتكاملة. اللغة عنصر أساسي في بناء شخصية الطفل، وتشكل ميزة خاصة في التعلم والتعليم، ولتنمية المهارات والقدرات، خاصة في مرحلة ما قبل المدرسة. ما لم تتاح للطفل الفرصة في هذه المرحلة لتطوير مفرداته، سترك هذا تأثيراً دائماً على قدرته اللغوية لاحقاً. في مرحلة الروضة، يتعلم الطفل أساسيات اللغة، شفهاً وكتابياً، وينمي ما اكتسبه شفهاً داخل أسرته. ومن هنا تأتي ضرورة الحديث عن رياض الأطفال ودورها في تمهينهم الثروة اللغوية. وتحتوي هذه الدراسة على مفهوم رياض الأطفال، وظائف رياض الأطفال، متطلباتها، وأهدافها التربوية، وتنمية الأداء اللغوي والشفوي للطفل وغيرها وأخيراً نتيجة البحث، هذه كلها ستتوضح من خلال هذه الدراسة. **كلمات مفتاحية:** الأهداف، الأداء اللغوي، التربية، رياض الأطفال، الوظائف.

Abstract:

The kindergarten stage is considered one of the most important educational stages, as it shapes the physical, motor, and linguistic dimensions of a child's development. Therefore, this stage has various educational programs and activities aimed at satisfying the needs of childhood and developing integrated personalities. Language is a fundamental element in building a child's personality and constitutes a special advantage in learning and education, for the development of skills and abilities, especially in the pre-school stage. This study includes the concept of kindergarten, its functions, requirements, educational goals, the development of the child's linguistic and oral performance, and others, and finally, the research results, all of which will be clarified through the study.

* باحث، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند.

مقدمة:

تعتمد التربية في رياض الأطفال على تعدد أساليبها لأنها مرتبطة بتعدد جوانب نمو الطفل والتغيرات التي تعترض هذا النمو، وكذلك على المنظمات المختلفة لهذه البرامج ذات التجارب المختلفة. وإن تعدد الخبرات المقدمة للطفل يتطلب طرقاً مختلفة لعرض هذه التجارب، بحيث تكون الطريقة مناسبة لكل حالة أو موقف تعليمي على حدة.

ويعتبر تعليم اللغة العربية الفصحى من الأساليب والطرائق الحديثة في مجال التعليم، وضرورة في رياض الأطفال والمراحل الابتدائية، حيث أن الاهتمام باللغة ظاهرة شائعة بين علم النفس وعلم اللغة ولذلك ظهر ما يسمى حديثاً بعلم النفس اللغوي¹، ويركز اللغويون على جانبين من جوانب اللغة: إنتاج اللغة من حيث القدرة على تحرير الأصوات، والقدرة اللغوية من حيث القدرة على نطق الأصوات وفقاً لقواعد محددة. أما علم اللغة النفسي فيعنى بمعالجة قضايا بناء اللغة واكتسابها وتطويرها وفهماها². إن التطور اللغوي يسبق تطوير القراءة. يمكن للطفل أن يستمع إلى اللغة التي يتحدث بها من حوله، وأن يكون فكرة عما يقصدونه، حسب المواقف التي يستمع فيها إلى كلمات معينة، سواء علمه أحدهم أم لا. وكما هو معلوم فإن مرحلة الفهم تسبق مرحلة الكلام. يعتبر الكلام عند الطفل من المهارات اللغوية الأساسية التي يستخدم فيها الشخص الكلمات للتعبير عن أفكاره، حيث أنه مزيج من التفكير والإدراك والنشاط الحركي. والاستعداد للتحدث فطري. أما اللغة فهي مكتسبة، وهي ملكة ينفرد بها الإنسان وحده، وتستثني كل المخلوقات الأخرى. إنها أهم وسائل الاتصال الاجتماعي والعقلي، ومظهر من مظاهر النمو العقلي³.

¹Anderson, J. (1995) **Cognitive psychology and its Implications** (4th) edition; W.H.Freeman And Company, New York.

² العتوم، عدنان يوسف. **علم النفس المعرفي**. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2004م.

³ زهران، حامد. **علم نفس النمو الطفولة والمراهقة**، ط5. القاهرة: عالم الكتب، 1990م.

مفهوم رياض الأطفال: رياض الأطفال هي مؤسسات تعليمية من أصل غربي، لأن المسلمين لم يعرفوا قبلها إلا الكتاتيب القرآنية. ومع التحديث والتثاقف الذي عرفه العالم الإسلامي من خلال التواصل مع الثقافة الغربية في العديد من الدول الإسلامية، قرر المهتمون بالمسألة التربوية اعتماد هذه الطريقة التربوية لأنها تهيب الطفل للمدرسة العادية، وتجعله أكثر قدرة على اكتساب اللغة. ومبادئ الحساب والرسم وغيرها من المهارات التي تؤهله لدخول المدرسة. والقدرة على مواكبة التطورات التعليمية بكل سهولة وكفاءة.

تعتبر روضة الأطفال مقدمة في التعليم المدرسي والنظامي، وتلعب دوراً مكماً لما تقوم به الأسرة، فهي الحاضنة الثانية للطفل بعد أسرته، وفي داخلها يطور الطفل اللغة الشفوية التي تركز على السمع والتكرار والحفظ ثم يطور لغته المكتوبة التي تقوم على تحويل الأقوال والأرشيفات إلى كلمات مكتوبة مع تنمية وعيه وحواسه التي من خلالها يدرك كل ما يحيط به ويتفاعل معه ويتواصل معه. فروضة الأطفال هي وسيط بين الأسرة والمدرسة، وتزودنا بالوسائل التربوية والتعليمية التي ينتقل بها الطفل من حضن الأسرة إلى المدرسة. ولتحقيق ذلك يفترض أن هناك شرطاً اقتصادياً يتمثل في القدرة المالية للأباء على تسجيل أبنائهم في رياض الأطفال المصنفة ضمن فئة التعليم الخاص، خاصة أن الدول العربية لم تفكر في القيمة الأساسية من هذا النوع من التعليم فلم تدرجه ضمن التعليم العام المجاني، ولم يجعله تعليماً ابتدائياً ومجانياً في الوقت الحاضر نفسها، لكنها بقيت تعليماً ابتدائياً خاصاً.

وقد قدمت موسوعة ويكيبيديا تعريفاً لرياض الأطفال مؤكدة على أصل تسميتها جاء فيه: الروضة أو رياض الأطفال مؤسسة تعليمية للأطفال قبل دخولهم المدرسة. وقد وضع هذا المصطلح من قبل العالم الألماني فريدريك فروبل، حيث أطلقه على مؤسسة اللعب والنشاطات التي أنشأها في عام 1837م في "بادبلانكنبورغ" (ألمانيا) بصفتها تجربة اجتماعية للأطفال وقصد فروبل بذلك أنه يجب العناية بالأطفال وتغذيتهم مثلما نعتني بالنباتات في الحديقة.

يختلف عمر الالتحاق بالروضة باختلاف البلدان ففي أغلب الدول يطبق هذا النظام للأطفال ما دون سن السادسة وتحديداً بين عمر 3-5 سنوات، يركز هذا النظام على أمرين، الأول تعريف الطفل بمجتمع أوسع من الذي تعودته وإكسابه مهارات الاختلاط والثاني هو تعليم الطفل من خلال اللعب⁴.

وتكمن أهمية رياض الأطفال في "أن قسماً كبيراً من النمو العقلي واللغوي للطفل، ونمو ذكائه وتفكيره، يتم خلال الأعوام القليلة من عمره"⁵، وحيث يلتحق برياض الأطفال لتعلم أساسيات اللغة العربية والرسم والتواصل الإيجابي مع أقرانه من خلال المشاركة الجماعية في اكتساب مهارات التعلم وتنمية وعيه وحواسه.

ومن أهم وظائف رياض الأطفال ما يلي:

- الوظيفة التربوية: تؤدي رياض الأطفال وظيفة تربوية تتمثل في تعليم الطفل وتدريبه على كيفية التعامل مع زملائه الصغار داخل الروضة ومع أفراد أسرته، واحترام القيم والأخلاق المختلفة لمجتمعه.
- الوظيفة التعليمية: وتتجلى هذه الوظيفة في تعلم الطفل للغة من أجل التواصل مع بيئته الاجتماعية، ولكي تكون وسيلته لتعلم المعارف الأساسية المطلوبة له في المرحلة الابتدائية.
- الوظيفة النفسية: وتتمثل في انفتاح الطفل على مؤسسة اجتماعية مستقلة عن مؤسسة الأسرة الداخلية، وشعوره بأنه جزء من المؤسساتين معاً، لذلك يتفاعل معهما، الأمر الذي ينعكس في الغالب بشكل إيجابي على نفسيته، خاصة إذا لعبت المؤسساتان أدوارهما كاملة، مع مراعاة عمر الطفل وخصائصه الشخصية والعائلية.
- الوظيفة الاجتماعية: ترتبط الوظيفة الاجتماعية بسابقتها النفسية، وتتمثل في وجود الطفل داخل مجتمع تكمل فيه روضة الأطفال دور الأسرة، وفيه جيل

⁴ روضة الأطفال: <http://ar.wikipedia.org>، بتصرف قليل، تاريخ الزيارة 23 ديسمبر 2023م.

⁵ ليلى، كرم الدين. "التعليم وطفل ما قبل المدرسة". مجلة خطوة، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2001م، ع 14، ص: 15.

الكبار من الآباء والمعلمين. يعتني بالجيل الشاب على النحو المناسب ليتمكن من تحمل المسؤوليات المستقبلية التي تنتظره.

القدرة اللغوية والأداء للطفل: تقوم روضة الأطفال بتطوير لغة الطفل الموجودة مسبقاً على شكل برمجة دماغية فطرية، والاستعداد لاكتساب اللغة التي تولد معه. ثم تبدأ هذه البرمجة بعد الولادة من خلال لغة الأم وخطابها المداعب والمهدد لطفلها، ثم يتسع مجال الاستقبال اللغوي للطفل ليشمل من حوله من بقية أفراد عائلته الصغيرة بداية، ثم الأسرة الممتدة مع مرور الشهور والسنوات.

بعد التلقي، يبدأ الطفل في إنتاج جمل جديدة شبيهة بما تلقاه سابقاً، أو ينتج جمل لم يسمعها من قبل، ولكن مكونات مفرداتها قد سمعها كلها من قبل. وعلى هذا الأساس تنمو لغة الطفل وتتطور وتتنوع بين الاستقبال اللغوي والإنتاج. قال ابن خلدون في مقدمته: "يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم، هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال"⁶، ومن الضروري تعليم اللغة العربية وإتقانها أولاً ثم الاهتمام بأي لغة أخرى.⁷

متطلبات رياض الأطفال: ومن وجهة تعليمية، يجب أن تفي بمجموعة من المتطلبات التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- يتعين على القائمين على رياض الأطفال الاهتمام باختيار المعلمات واختيار من يتقن النطق، وتم تنقيح أساليبهم، وسلمن من العيوب اللفظية مثل الكسل، التعثر، التلعثم، التأتأة، وهكذا تكون معاني الكلمات والجمل واضحة في أذهان الأبناء، وبعيدة عن الغموض واللبس.

⁶ ابن خلدون. المقدمة، ط1، ج3. تح: عبدالسلام الشداوي، الدار البيضاء، 2005م، ص: 250-251.

⁷ استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي، لمجموعة من المؤلفين، ص: 37، <http://wfclas.org/ar/Files> تاريخ الاطلاع، 11 نوفمبر 2023م.

- يجب على المعلمة ألا تجبر الطفل على نطق كلمات أو جمل لا يعرف معناها أو تحتوي على معاني عامة أو مجردة في العصر الذي تسمح له قواه العقلية فقط بفهم الجسيمات الملموسة، أي تلك التي تدركها الحواس.
- أن تعمل المعلمة على تنمية قدرة الطفل على الملاحظة من خلال لفت انتباهه بكل الوسائل الممكنة إلى التصورات المتشابهة للاختلافات.
- أن تقدم المعلمة لغة عربية تتناسب مع مراحل نمو الطفل وتتلاءم مع متطلبات الحياة الحضارية سواء كانت مدرجة في جملة أو مستقلة مع مراعاة عامل التشويق.
- ينبغي على المعلمة أن تطلب من الطفل أن يذكر أفضل كلمة له، ثم تجعله يوسس لها في أذنها لأن ذلك يشجع الأطفال الخجولين على الكلام.
- المعلمة تكتب حروف الكلمة بخط سميك وواضح على ورق مقوى، وتطرقها، ويكررها الطفل بالإشارة إلى الحروف الأبجدية في الفصل.
- تناقش المعلمة مع الطفل الكلمة التي يختارها، وتشجعه على رسمها أو تلوينها بألوان مختلفة، وإطلاع الآخرين عليها.
- تراجع المعلمة الكلمات مع الطفل في يوم آخر، وتكرر له الكلمات التي يخطئ فيها، وبالتالي يتحسن نطقه بسرعة، ويزداد نمو مفرداته كما ونوعاً.
- تتعامل المعلمة مع النطق غيرالصحيح من خلال التدريبات الإيقاعية والتدرج من الكلمات السهلة إلى الصعبة وتدريب اللسان والشفقتين والحلق باستخدام تنظيم سرعة الكلام وتمارين الحروف الساكنة والمتحركة.
- إذا نجح الطفل في نطق الكلمات والتعبير بشكل صحيح، فيجب على المستمعين أن يتقبلوا ذلك من خلال إظهار السرور والتشجيع، وهو ما يمثل تعزيزاً إيجابياً للطفل يدفعه إلى تكرار اللفظ المعزز.

• تقديم قصص، وأناشيد قصيرة، وسهلة وممتعة مع حسن إلقائها، ومراعاة استيعابه لدلولها وما ترمي إليه، كل ذلك يؤدي إلى نمو الطفل اللغوي، والمعرفي، ويطور تعبيره⁸.

ومن الأشياء التي يجب على المربيات والمعلمات مراعاتها في الأطفال المتعلمين جوانب الاختلاف الموجودة بينهم، والتي بدونها لا يمكن أن يحدث تطور لغوي لهم، وأهمها: عامل العمر، والذكاء، والجنس، ونزاهة الأعضاء تتعلق بالتطور اللغوي، والصحة العامة، وترتيب الطفل في الأسرة، والمستوى الاقتصادي، والجوانب الاجتماعية لأسرة الطفل، وتعدد اللغات التي يتعلمها الطفل، ونوع الخبرات التي يتعرض لها الطفل⁹. وجود أدوات التعلم وهي: السبورة، والأقلام، والدفاتر، والملصقات، والصور والمساعداات السمعية والبصرية.

الأهداف التربوية لرياض الأطفال:

أهمية اكتساب اللغة: يتسم تعلم اللغة بأهمية كبيرة في تنمية لغة الطفل نفسها، وفي تنمية قدراته على اكتساب مجموعة من المهارات التي تساهم في نموه النفسي والعقلي والاجتماعي وتشكيل هويته الدينية والثقافية وتشكيله الضمير والمشاعر وفق منظومة القيم المجتمعية التي ينتمي إليها والتي يعدها، من خلال تربيته وتثقيته، ليكون عنصراً فاعلاً فيه في المستقبل. وتقول الدكتورة ليلي كرم الدين في هذا الصدد: "إن اكتساب اللغة، وتمكن الطفل من استخدامها أمر على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة بالنسبة للطفل، إذ تساعده على تكوين عالمه بكل أبعاده وجوانبه، وتمكنه من التعرف على الأشياء من حوله كما تساعده على معرفة العادات والتقاليد والأعراف والقيم السائدة في مجتمعه، ومن ثم على التحكم في سلوكه وضبطه وفقاً لتلك العادات والتقاليد والقيم والأعراف. كما تقوم اللغة بدور مهم في تحقيق شعور الطفل بالأمن والطمأنينة والثقة، وهي مشاعر ضرورية لصحته

⁸ العيسوي، محمد عبد الفتاح. النمو اللغوي عند الطفل وتطبيقاته التربوية.

⁹ إنصاف، كامل منصور. "أثر العصف الذهني في النمو اللغوي لطفل الروضة"، مجلة البحوث التربوية والنفسية. جامعة بغداد، 2011م، ع31، ص30.

النفسية وسلامتها. وترتبط قدرة الطفل على تحقيق التوافق الاجتماعي مع الآخرين من حوله إلى حد بعيد على قدرته على الاتصال بهم والتقارب معهم عن طريق اللغة. وأخيراً للغة ارتباط وثيق بكل من تفكير الطفل وذكائه، ونمو قدراته العقلية بشكل عام، نتيجة لذلك فأي تأخر أو تأثر في لغة الطفل واكتسابها يؤثر تأثيراً كبيراً على مستوى تفكيره وذكائه¹⁰.

يعتمد تطوير لغة الطفل على تنمية قدراته الذاتية ونقل المهارات المختلفة إليه، والتي تبدأ بمشاركته في مجتمع المعرفة الأساسي، ورياض الأطفال، ومباشرته في اكتساب اللغة بطريقة منهجية.

أثر رياض الأطفال في تنمية الوعي والحواس: يعتمد تعلم اللغة عند الأطفال، سواء بشكل مباشر أو من خلال اللعب على مجموعة من الحواس والأعضاء، وهي:

- السمع، لأن اللغة تعتمد على الأصوات
- النطق بهذا المسموع الصوتي
- البصر بالنظر إلى الحروف المكتوبة والصور الدالة
- اليد وهي وسيلة الكتابة

المرحلة الشفوية من التعلم، وهي المرحلة الأولى القائمة على الحفظ، تركز بشكل أساسي على حاسة السمع، والمرحلة الكتابية، كمكمل للمرحلة السابقة، تعتمد على اكتساب القدرة على تحويل المسموع إلى مكتوب، تركز في البداية على حاسة البصر من خلال عملية نقل المكتوب، وعلى حاسة البصر والسمع، في وقت لاحق من خلال عملية تحويل الصوت إلى مكتوب.

والسمع والبصر وسيلتان تربويتان أساسيتان تقودان المتعلم لاحقاً إلى عمليات الفهم والاستيعاب لما يسمعه ويراه. وهاتان العمليتان تعتمدان على القلب أو العقل، وهو ما تعبر عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا

¹⁰ ليلي، كرم الدين. "لغة أبنائنا: نموها السليم وتأمينها"، مجلة خطوة. 2003م، ع20، ص:10.

تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" (سورة النحل، الآية: 78). القلب هو المنجز لأهداف السمع والبصر، وأهمها الفهم والحفظ. وقد أثبتت الدراسات "أن الأطفال الصغار تحت سن الخامسة أو السادسة لا يتعلمون الكثير مما هو جديد تماما عليهم من مجرد المشاهدة وحدها، بل هم يحتاجون أيضا إلى لمس الشيء ومعالجته يدويا وفحصه بأنفسهم"¹¹.

هذه الحواس وما ينتج عنها من وعي وإدراك بحاجة إلى تطوير مستمر حتى تؤدي العملية التعليمية دورها على أكمل وجه وأفضل طريقة ومن ثم فإن "استثارة حواس الطفل والعمل على تنميتها من الأمور الهامة في الروضة، وهي جزء من نمو الطفل الجسمي التي تساعده على اكتساب مهارات وتنمية قدرات عقلية ضرورية لطفل الروضة: كالتذكر، الإدراك، الانتباه، الملاحظة، الفهم، المقارنة، التسلسل، التطابق، التصنيف، الاستنتاج، التصميم.. إلخ. ويمكن أن يتم التدريب على هذه المهارات من خلال أنشطة حسية تقدمها المعلمة للأطفال في شكل أنشطة وألعاب لاستثارة ذكاء الطفل من خلال التعامل مع حواسه. والطفل من خلال حواسه يتعلم بعض المهارات والمعارف وأساليب السلوك والتفكير، ومن ذلك معرفة جسمه ودور كل حاسة أو عضو، معرفة الأماكن والاتجاهات (يمين ويسار، أمام وخلف، فوق وتحت، الخ)، معرفة الأزمنة.. الخ، وإن تنمية حواس طفل الروضة من أولى مهام معلمة الروضة من خلال ما تقدم للطفل من أنشطة وألعاب مختلفة، ولا بد أن تعرف المعلمة أن الطفل يستمتع ويسعد عند القيام بشيء يستطيع عمله ويتناسب مع قدراته كما أن التدريب على أعمال الإدراك هو إعداد للطفل للتربية والتعليم"¹².

والمهارة الأولى التي يجب أن يدرب عليها الطفل حينما يلحقه أبواه بروضة الأطفال هي مهارة الاستماع التي تمكنه من معرفة الحروف والكلمات والانتباه إلى ما بينها من

¹¹ سوزانا ميلر. سيكولوجية اللعب، ترجمة: حسن عيسى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م، ع ديسمبر، ص: 197.

¹² الجرواني، هالة إبراهيم، المشرف، انشراح إبراهيم. إعداد الطفل لمرحلة الروضة، <http://uqu.edu.sa>، تاريخ الزيارة: 10 يناير 2024

فروق صوتية ودلالية. ومن فوائد الاستماع كذلك أنه ينمي لغة الطفل الشفهية والمهارات المتعلقة بها من قدرة على التعبير، وصياغة الجمل الصحيحة، والنطق السليم وترتيب الأفكار وتنظيمها. ويعمل كذلك على تنمية الذاكرة السمعية وتدريب الطفل على الاحتفاظ بالمعلومات لمدة أطول¹³.

القراءة والكتابة: تعتمد العملية التعليمية على تعليم القراءة والكتابة، (الكتابة القائمة على أساس التحويل من السبورة، وتلك على أساس التذكر من خلال فصول الإملاء. وهذا يقوي الجانب الكتابي في التعلم). وقال والترج. أونج: "كان سوسير ينظر إلى الكتابة باعتبارها نوعاً من مكملات الكلام الشفاهي، وليس باعتبارها أداة تحويل للتعبير اللفظي"¹⁴.

القراءة كمقدمة للكتابة في المرحلة الأولى من التعلم ومرافقتها في المراحل التالية، "عملية يراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز الكتابية. وتتألف لغة الكلام من المعاني والألفاظ التي تؤدي هذه المعاني... البدء بالرمز والانتقال منه إلى لغة الكلام يسمى قراءة، والعكس يسمى كتابة، وترجمة الرموز إلى المعاني قراءة سرية، وترجمتها إلى ألفاظ مسموعة قراءة جهرية. وتطور مهارة القراءة يحتاج إلى نضج وتدريب كما أنها تمر بمراحل، فأول الكلمات التي يستطيع الطفل معرفتها بسهولة الأسماء الجامدة التي تدل على أمور حسية، وخاصة إذا كانت مقترنة بالصور والرسوم، وتظهر معها الأفعال، ثم الصفات، ثم الضمائر، ثم الحروف. والسبب في هذا الترتيب أن الطفل لا يستطيع أن يقلد تقليداً واضحاً أثناء نطقه إلا الكلمات التي يدرك مدلولها حسب نموه الفكري"¹⁵.

¹³ د. الطحان. السباعي، الطاهر أحمد. "الاستماع والتحدث في سنوات العمر المبكر"، مجلة خطوة، 2003م، ع20، ص:19.

¹⁴ الشفاهية والكتابية. ترجمة: حسن البنا عز الدين. الكزيت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1994م، ع182، ص:51.

¹⁵ التوتوري، محمد عوض. النمو اللغوي عند طفل الروضة. <http://uqu.edu.sa>، تاريخ الاطلاع: 26 ديسمبر 2023م.

القراءة والكتابة في مجموعة تسهل عملية الاستلام والاكساب اللغوي من خلال التكرار، والقراءة الجماعية، والمنافسة، والتشجيع، والعلاقات الطفولية كلها وسائل تعمل على تطوير لغة الطفل.

الحفظ والفهم: الحفظ والفهم مطلوبان أيضاً، وهما عمل الذاكرة وتقوية الجانب الشفهي للعملية التعليمية. الحفظ نصف المعرفة، والفهم النصف الآخر. يجب أن يعتمد تعلم الطفل للغة، في البداية على الحفظ والفهم. قد يسبق الحفظ أحياناً على الفهم، ولكن من المستحسن أن يسبق الفهم على الحفظ. فيسهل حفظ كل مفهوم، ويسهل فهم كل محفوظ.

والأشياء المحفوظة التي يجب الاهتمام بها لتقوية لغة الطفل العربي وتنميتها هي سور وأجزاء من القرآن الكريم، وحديث الرسول، وبعض النصوص الشعرية الجيدة التي يفهم الطفل معناها العام والقصص التي تناسب فهمه ومرحلته العمرية.

الفهم يُبنى من خلال التعليم الواضح، لأنه لا يكفي أن نسمع لكي نفهم. يتطلب هذا العمل (الفهم) من المعلمة تشكيل معالم يعتمد عليها الأطفال (التجويد، إعادة الصياغة، التمثيل الدرامي) بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تساهم جميع الأنشطة المدرسية في رياض الأطفال في تنمية التفاهم والتعبير بين الأطفال¹⁶.

التقليد والإبداع: العملية الأولى التي يتعلم بها الطفل اللغة داخل أسرته هي التقليد، وينشأ الكثير من سلوك الطفل من تقليد الكبار، وخاصة المقربين منه. فيقلد أصوات الآخرين وأقوالهم، ويحفظ ما يقلده لينطق به كلما سنحت له الفرصة. وهذا ما يسميه علم النفس التجريبي بالتعلم القائم على الملاحظة من خلال المحاكاة والتقليد وهو "يعني تعلم شيء جديد بمشاهدة شخص آخر يقوم به بدون مشاركته مشاركة إيجابية. فما يقوم به الأخ الأكبر من حيلة أو لعبة جديدة يراقبها الطفل الأصغر بعناية قبل أن يحاول القيام بها"¹⁷.

¹⁶ <http://eduscol.education.fr> ، تاريخ الزيارة: 23 يناير 2024م.

¹⁷ سيكولوجية اللعب، ص: 182.

عندما ينتقل الطفل إلى الروضة يستمر تقليده ولكن بتوجيه من معلمته التي تجعله يقلد بإرادتها ويقلد ما تراه حقاً وجديراً بالتقليد، وليس تقليداً عفويًا يتلقاه من مجتمعه بدون إشراف من أي شخص. يتم تقنين التقليد في رياض الأطفال عن طريق التلقين والتعليم والتكرار والحفظ، وفقاً لبرنامج مُعد مسبقاً. إنه تقليد إيجابي وضروري في جميع مراحل البناء والتأسيس الفردي والجماعي والذاتي والحضاري، الجاهل يقلد، والضعيف يقلد، والمنهزم يقلد، والطفل يقلد. "ويلعب التقليد أو المحاكاة دوراً هاماً في اكتساب اللغة، والمعارف والقيم الأخلاقية بصفة عامة؛ حيث يميل الطفل إلى محاكاة غيره في صوته وحركته، بإعادة أو تكرار الأفكار، وأنماط السلوك التي يدركها لنراه يكرر ويخطئ حتى يتمكن من أن يختار الأصوات المناسبة، وذلك عن طريق التوجيه، والتصويب الذي يقدم له من قبل والديه ومعلمته. وللتفاعل المتبادل وجها لوجه بين الطفل ووالديه ومعلمته أثره البالغ في نمو المفردات اللغوية لديه"¹⁸.

أما مرحلة الإبداع فهي تأتي بعد ذلك، بعد تراكم الكثير من التعبيرات والجمل، من خلال التقليد والتلقين والتعلم، في ذهن الطفل، فيخلق جملاً جديدة لم يسمع بها من قبل. ترافق العمليتان الطفل في مراحل تعلمه وتقليده وخلقته بنسب متفاوتة. لذا فإن تقليده في بداياته أكثر من إبداعه، وإبداعه في نهاياته أكثر من تقليده، وإذا ابتكر جملاً جديدة في بداياته لم يسمع بها من قبل، فبعد التعلم يتوسع في تصوراتها واكتمال نضجه، يمكنه إنشاء نصوص لم يقرأها من قبل.

تنمية الأداء اللغوي للطفل: تعتبر رياض الأطفال مجالاً متميزاً للأداء اللغوي، وتتكون من نوعين:

- أداء المعلمة للغة العربية شفهيًا وكتابياً.
- أداء الطفل للغة العربية شفهيًا وكتابياً.

¹⁸ العيسوي، محمد عبد الفتاح. النمو اللغوي عند الطفل وتطبيقاته التربوية.

من المفترض أن يكون أداء المعلمة مثاليًا أو متميزًا أو جيدًا على الأقل. أما أداء الطفل فيتأثر بشكل كبير بأداء المعلمة لأنه تقليد ومحاكاة. ويظهر أثر هذا التقليد في أدائه اللغوي. إذا كانت المعلمة جيدة في أدائها، ظهر هذا على الطفل، وإذا لم تكن جيدة ظهرت عيوبها في كلام الطفل وكتابته. والمهم في هذا الصدد أن يصبح التقليد مكسبًا شخصيًا يرافقه في معظم مراحل حياته، ولا يستطيع الهروب منه إلا بجهد. لذلك كان دور المعلمة في هذه المرحلة عظيمًا، لأنها تغرس في ذهن الطفل ونفسه ما تراه مفيدًا ونافعًا، وقد جاء في الحديث: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر"¹⁹.

الأداء الشفهي: يبدأ الأداء اللغوي للطفل داخل عائلته، من بداية نطقه بالأصوات والحروف اللغوية، ثم الكلمات والجمل. وغالبًا ما يبدأ نطقه بمقاطع صوتية متكررة مثل: "أب" و"أم" وهما أقرب الناس إليه، ويتطور هذا الأداء مع الزمن وينتقل من طور التقليد لما ينطق بها الأطفال المجاورون له، وإنهم يعتنون به ويهتمون به، إلى حد إنشاء جمل جديدة لم يسمع بها من قبل، حتى لو كان قد سمع جملًا مشابهة لها في التركيب وليست بالضرورة مشابهة لها في دلالات الألفاظ.

وعندما يلتحق الطفل برياض الأطفال، تبدأ مرحلة الأداء اللغوي المنظم حسب شروط التلقين والتعليم التي يتلقاها من معلمته. وأهم ما يبدأ به الطفل في هذه المرحلة هو التكرار بناء على ما يقوله المعلمة، ويكرره، ويكرره الطفل بعد ذلك. وهذه العملية لها دور فاعل على مستوى السمع والنطق، فيسمع الحرف والكلمة والجمله بشكل صحيح، خالية من عيوب النطق، ويكررها بعد ذلك. قال والترج أونج: "لعل من ناقل القول أن اللغة ظاهرة شفاهية. وقد نرى الكائنات البشرية تتواصل بطرق شتى، مستخدمة كل حواسها غير أن اللغة، أو الصوت المنطوق، هي وسيلة الاتصال المثلى. ولا يقتصر الأمر على التواصل، بل إن الفكر ذاته يرتبط جملة بالصوت على نحو خاص"²⁰.

¹⁹ حديث مرفوع رواه البيهقي في "المدخل إلى السنن الكبرى" ورقمه: 673.

²⁰ الشفاهية والكتابية، ص: 53.

إن تطوير المستوى الصوتي في اللغة هو الأساس الذي يقوم عليه تطوير اللغة بأكملها. فبدأ التطور اللغوي بحاستين متعلقتين بمجال الصوت عند الإنسان: السمع والنطق، قبل أن ينتقل التطور إلى المستوى الكتابي والشكلي المرتبط بحاسي السمع والبصر بالإضافة إلى اليد. كل هذا يدل على أهمية الجانب الصوتي للغة، بل هو أساسها. قال ابن جني تعريفاً للغة: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"²¹. يمكننا أن نلخص أهم القضايا المتعلقة بتطور المستوى اللفظي للطفل العربي في تعليمه نطق جميع الحروف العربية بطريقة صحيحة، أي استخلاص الحروف من نطقها الصحيح. في هذه الحالة تكون المعلمة مسؤولاً عن تعليم الطفل كيفية نطق الحروف والكلمات التي تليها. ثم تقوم بتعريفه على حركات الحروف القصيرة والطويلة وكيفية نطقها.

وتعليم الطفل النطق الصحيح لأحرف اللغة العربية هو أيضاً تقييم لانحرافات النطق التي نشأت معه أو التي تلقاها من عائلته وخاصة مسألة القلب المكاني في الكلمات، ومسألة القلب في الحروف مثل قلب قاف جيما أو قلب الجيم ياء أو قلب قاف غينا.

يضاف إلى ذلك قضية الترقيق والتفخيم في نطق الحروف المركبة في كلمات، حيث نلاحظ أن بعض الحروف التي حقا التفخيم تُرقق مثل كلمة "الرجولة" المرفوعة الراء والتي يجب أن تفخم تستعمل مرققة في بعض المجتمعات العربية، وأخرى حقا الترقيق تفخم. مثل كلمة "خالي" المكسورة الكلام التي يجب أن ترقق تفخم في الاستعمال اللغوي العام.

تحول الطفل العربي من استخدام اللهجة العربية العامية في عائلته من اللحن والانعكاس والتحول والتشويه على المستوى الصوتي والنحوي في بعض الأحيان، إلى استخدام اللغة العربية الفصحى والسليمة من جميع عيوب النطق والنطق داخل رياض الأطفال والمدارس النظامية. بعد ذلك، وكل هذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجال التداولي للغة أي استخدام الناس للغة قد يتفق مع قواعدها أو قد يختلف.

²¹ الخصائص. تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ص:15.

ولكن يجب ألا ننسى أن اللغة التي يكتسبها الطفل منذ ولادته وقبل دخوله روضة الأطفال ثم المدرسة بعد ذلك هي لغة عامية تتضمن بعض المفردات البليغة، وبعد التحاقه بالروضة يبدأ في تلقي وتعلم اللغة البليغة والفصيحة بعيداً عن العامية. هل يمكن اعتبار هذا الانتقال من العامية إلى الفصيحة بمثابة انتقال منفصل بين استخدامين لغويين مختلفين، أم أنه انتقال غير منفصل؟ صحيح أن هناك اختلافاً بين اللغة العربية العامية والعربية الطلاقة في كثير من الأمور منها الجانب التداولي على المستوى الصوتي، حيث نجد تحولاً في مستوى نطق بعض الكلمات، فما هو الحق في التريق، على سبيل المثال، أن يتم تعظيمه بالعامية، كما هو الحال مع بعض المفردات المتداولة بالعامية غير المعروفة في اللغة العربية الفصحى، بالإضافة إلى ذلك اللحن والقلب المكاني والنحت. ومع ذلك تبقى مجموعة من المفردات موجودة في الاستخدامين معاً، وتبقى البنية كما.

أما المستوى المعجمي فهو المستوى المرتبط مباشرة بالمستوى الصوتي لأنه أول عملية تركيبية يتعلمها الطفل قبل تعلم العملية النحوية المعروفة. المعجم هو بنية صوتية، وبنية (الجملة) هي بنية معجمية. تتكون الكلمة الواحدة من أصوات مركبة (حروف) مرتبطة ببعضها البعض، والجملة عبارة عن مزيج من مجموعة من الكلمات. بعد أن يعرف الطفل الحروف المنفصلة، فإنه أثناء تعلم القاموس العربي يعرفها بشكل جماعي ويشكل الكلمات من اللغة العربية. وأول ما يجب أن يتعلمه ويفهمه من هذا القاموس هو ما يتعلق بالمجالات المعجمية القريبة منه التي يتداولها باستمرار سواء داخل أو خارج الروضة ومنها:

معرفة أسماء الأشياء بناءً على الأدوات المدرسية مثل قلم، سبورة، دفتر ملاحظات، كتاب. ومعرفة أسماء بعض أجزاء جسده على سبيل المثال رأس، وجه، أذن، فم، أسنان، يد، قدم. ومعرفة ألوان الطعام وأنواعه، وكل هذه الأشياء ملموسة مادية. يعد التعلم والفهم والتعامل مع المفردات المرتبطة بجميع الأنشطة الأكاديمية عاملاً هاماً ومساعداً في إثراء المفردات اللغوية للطفل. وثراء المعجم ركيزة أساسية للدخول

في القراءة لأنه ضروري للفهم، كما أنه يدعم نشاط التذكر²². إن معرفة المفردات اللغوية ومعانيها تمكن الطفل من الانتقال إلى المستوى التركيبي، أي تكوين جمل من هذه المفردات، وغالباً ما ترتبط هذه الجمل التي يتعلمها الطفل ويكررها بالبيئة التعليمية الجديدة التي يعيش فيها، ولها بعدين تعليمياً وتربوياً. في البعد التعليمي نجد جملًا مثل أحفظ الدرس، وفي البعد التربوي نجد جملًا مثل أحترم معلمتي. يدفع الأطفال في رياض الأطفال إلى إنتاج تعبير شفهي قريب من التعبير الكتابي، أي لتكوين تراكيب شفوية قريبة من متطلبات التعبير الكتابي²³.

ونتيجة لذلك يمكن للطفل في هذه المرحلة الشفوية من تعليمه في رياض الأطفال، والتي تبدأ عادة من سن الثالثة، أن يكتسب مجموعة من المهارات اللغوية التي تثبت حسن استقباله وقدرته على التعلم وتناغمه الإيجابي مع المادة. مما تساعده على تكوين الجمل والربط بين المفردات ومنها: استخدام الضمائر (أنا، أنت، ياء المتكلم) بشكل صحيح. ويعرف معنى الجمع، تم استخدام صيغة الماضي. إنه يفهم صيغة التفضيل (الأكبر، الأصغر، الأفضل، الأقوى، الأسرع) يعرف بعض الأفعال وبعض الصفات. يمكن استخدام بعض أدوات الاستفهام (لماذا، أين، متى)²⁴. لمعرفة الاتجاهات الستة: فوق، تحت، أمام، خلف، يمين ويسار.

ويمكننا تلخيص الخطوات التي يمكن تحقيقها من خلال تبني أسس تنمية لغة الطفل في رياض الأطفال في تدريب الطفل على الاستماع بعناية لما تقدمه معلمته في المادة حتى يتمكن من معرفة الأصوات اللغوية في البداية، ونطقها بها بطريقة صحيحة من العيوب، ومن ثم معرفة مفردات اللغة ومعانيها، لتنمو قدراته العقلية لاستيعاب معاني الجمل والعبارات، مما يساعده على فهم النصوص القصصية القصيرة، وتدريبه على إعادة سردها مرة أخرى. وإذا كان قادراً على الوصول إلى هذه المرحلة من التعبير الشفهي، يجب على المعلمة تدريبه على التعبير عن نفسه

²² <http://eduscol.education.fr>، تاريخ الزيارة: 23 يناير 2024م.

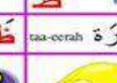
²³ المرجع نفسه.

²⁴ النمو اللغوي عند طفل الروضة.

ومشاعره أو فكرة، وتطلب من الأطفال الآخرين التعبير عن آرائهم حول ما عبّر عنه، كما تطلب منه التعليق على أقوالهم. وبذلك يعتاد الطفل على الحوار والتعبير. ويشمل ذلك تطوير أدائه الشفهي وقدراته التعبيرية التي تمكنه من التغلب على مشكلة عدم القدرة على التعبير العلني التي قد تصاحب الطفل طوال مراحل تعلمه.

الأداء الكتابي: إن تعلم الرسم هو أساس تعلم الكتابة، لأن أشكال الرسوم تلهم الطفل تعلم الكتابة وتقليد أشكال الحروف مثلما كان يقلد أشكال الرسوم. لذلك يقترح الكثير من الدارسين أن تكون بداية تعلم الكتابة تابعة لمرحلة تعلم الرسم، حيث يقوم الطفل بتمرير قلم الرصاص على شكل الرسم (كأن يكون رسم صورة أرنب أو فراشة) ثم يقوم بتلوينه، بعد ذلك يشرع في كتابة اسمه الذي يوضع بجانبه²⁵، ويرون ضرورة ربط ذهن الطفل عند كتابة الحروف برسوم سبق له القيام بها، فيربط مثلا الألف بصورة أرنب مرسوم والباء بالبطة والتاء بالثفاحة. على

شاكلة الأنموذج الآتي:

						
خَرْوْف kharoof	حِصَان hisan	جَمَل jamal	ثَغَلْب tha'lab	تَفَاح tuffaah	بَطَّة battah	أَرْنَب arnab
						
صُورَة soorah	شَمْس shams	سَمَك samak	زَرَّافَة zaraafah	رِيشَة reeshah	ذَهَب thahab	دَبْك deek
						
قَارِب qaarib	فَرَّاشَة faraashah	غَزَّال ghazaal	عِنَب aynab	ظَرْف tharaf	طَائِرَة ta-ccerah	جَفْدَع dhifda'ah
						
يَد yad	وَرْد ward	هَرَم haram	نَّار naar	مُفْتَّاح muftah	لَيْمُون leymun	كِتَاب kitab

وبذلك يكون شكل الحرف قريباً من شكل الرسم وذلك لتسهيل الانتقال من عالم الرسم الجميل والمحبوب إلى عالم الكتابة الذي يجد الكثير منهم صعوبة في البداية

²⁵ قدور حامد التومي، تعليم الكتابة والرسم والتلوين، www.ecolenmerique.tn، تاريخ الزيارة: 9 ديسمبر 2023م.

بسبب طبيعته الجادة، وهو بعيد عن اللعب والمرح عادة، والذي يفترض التناسق التام بين الحرف المقروء والحرف الذي يجب كتابته، والذي لا يفترض وجوده الكامل في الرسم المصبوغ بالصبغة الذاتية واللمسات العفوية من العالم الفطري من الطفولة. تعلم كتابة المفردات هو المرحلة الثانية من تعلم الكتابة. إذا كان الطفل يتقن كتابة الحروف، فمن السهل عليه ربطها بالكلمات. تعتمد هذه العملية على معرفته الشفوية السابقة مما يسهل تجسيدها في الكلمات المكتوبة. والكلمات التي يتعلمها كتابتها هي في الغالب تلك التي تعلم نطقها وحفظها سابقاً، وهي مرتبطة بمحيطه المادي والاجتماعي ومساحته التعليمية. ويتم ذلك عن طريق التحويل من السبورة أو من كتاب مدرسي، مما يمكن الطفل من توسيع مداركه وجعله أكثر انفتاحاً على التعرف على مفردات مختلفة ومتنوعة.

أما المهارات التي يكتسبها الطفل في رياض الأطفال في هذه المرحلة الكتابية، فعادة ما تبدأ بعد سن الرابعة، مما تبرز تطوره اللغوي ونتائج ما اكتسبه في المرحلتين. التعاليم الشفوية والكتابية هي كما يلي: "يستطيع استخدام كثير من الأفعال والصفات والظروف وحروف الجر وأدوات العطف والضمائر. يستطيع أن يميز بين صيغ المفرد والجمع. يعرف أسماء الإشارة (هذا، هذه). يستطيع استخدام ضمير المتكلم (أنا، نحن)، وضمير المخاطب (أنت، أنتم)، وضمير الغائب (هو، هي، هم). يستطيع استخدام أدوات الاستفهام (متى، كيف، هل، كم، أين، لماذا). يستطيع الربط بين جملتين. يسمى كثيراً من الأشياء والكائنات من خلال الصور. يسمى كثيراً من الأدوات والأجهزة، التي يستخدمها أو يشاهدها في المنزل، وفي الشارع وفي الروضة. يعرف أسماء الألوان الشائعة. يستطيع أن يعيد تكرار ثلاثة أرقام بعد سماعها. يستطيع حفظ أغنية أطفال أو نشيد. يستطيع أن يقرأ ويكتب كثيراً من الحروف الهجائية"²⁶.

في عامه الأخير في رياض الأطفال، يمكن أن يصل الطفل إلى مرحلة تؤهله لدخول المدرسة الابتدائية، وذلك بسبب نموه اللغوي والعقلي المرتبط بحالته النفسية

²⁶ النمو اللغوي عند طفل الروضة.

والاجتماعية، مما يشير إلى أن العملية التعليمية والتربوية بشكل عام لا تؤتي ثمارها ما لم تساهم في ذلك مجموعة من العوامل أهمها الأسرة الصغيرة التي ينتمي إليها الطفل، وهل يحظى بالتشجيع من المحيطين به بما يمكنه من مواصلة التعلم والتحصيل والتلقي، أو تلقيه شيئاً آخر منهم، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على نفسه ويظهر أثره على مستواه التعليمي. يتحدث الدكتور عبد الفتاح عن هذه المرحلة الأخيرة لطفل في رياض الأطفال ويقول: "وفي نهاية هذه المرحلة تكون جمل الطفل وتراكيب كلامه شبيهة بالكبار تقريبا، وإن كان لا يزال يخطئ في القواعد؛ ذلك لأن القدرة على استخدام اللغة تحتاج إلى نمو المعاني والتراكيب النحوية... ويعتبر النمو اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة ذا أهمية كبيرة في النمو المعرفي؛ لأن اكتساب الطفل للمهارات اللغوية يساعد على اطراد نموه المعرفي، ويتوقف ذلك على ما يتاح له من فرص الاستطلاع، وممارسة الخبرات الحسية والحركية المختلفة، والاتصال بالأشياء والناس، كما تنمو لغة الطفل على قدر اتصاله بالمحيطين به، وتفاعله وإياهم... وما يتمتع به عقل وحواس الطفل من كفاءة في تأدية وظائفها، زد على ذلك العوامل الاجتماعية والعاطفية وما يسود البيت من جوالدفاء، والحنان"²⁷.

خاتمة البحث:

يتسم تعلم اللغة بأهمية كبيرة في تنمية لغة الطفل نفسها، وتنمية قدراته على اكتساب مجموعة من المهارات التي تساهم في نموه النفسي والعقلي والاجتماعي وتشكيل هويته الدينية والثقافية. ويعتمد تطوير لغة الطفل على تنمية قدراته الذاتية ونقل المهارات المختلفة إليه.

ينقسم التطور اللغوي الذي يمكن للطفل أن يستفيد منه داخل الروضة إلى نوعين: تنمية قدرته اللغوية وقدرته على اكتساب اللغة (الاستعداد الفطري لتعلم اللغة) وتطوير الأداء اللغوي (الشفوي والكتابي).

إن تنمية وعي الطفل وحواسه داخل رياض الأطفال ضروري لتنمية قدراته على تعلم اللغة واكتسابها. تركز المرحلة الشفوية من التعلم، وهي المرحلة الأولى القائمة على

²⁷ النمو اللغوي عند طفل وتطبيقاته التربوية.

الحفظ، بشكل أساسي على حاسة السمع. تركز المرحلة المكتوبة مبدئياً على حاسة البصر من خلال عملية نقل المكتوب، وعلى حاسة البصر والسمع لاحقاً من خلال عملية تحويل الصوت إلى مكتوب.

أول عملية يتعلم بها الطفل اللغة داخل أسرته وفي رياض الأطفال هي التقليد. ومع ذلك، فإن التقليد في رياض الأطفال يتم تقنيته عن طريق التلقين والتدريس والتكرار والحفظ، وفقاً لبرنامج مُعد مسبقاً. إن تطوير مستوى الصوت في اللغة هو الأساس الذي يقوم عليه تطوير اللغة بأكملها. إن التطور الذي تروج له رياض الأطفال هو تقوية لغة الطفل الشفوية مما يؤهله لتعلم اللغة المكتوبة. فتعتبر اللغة الشفوية وتعلمها مرحلة ضرورية لتعلم اللغة المكتوبة.

يعتبر تعلم الطفل في رياض الأطفال من وسائل تنمية لغته عبر مرحلتين مهمتين: تصحيح النطق والتعبير بلغته، والتصحيح والتقويم من مظاهر التطور التعبيري. تعليمه كيفية كتابتها، ويشمل ذلك تنمية معرفته بلغته، وكيفية تجسيد أقوالها كتابةً، وتطوير أدائه اللغوي.

تعلم الرسم هو أساس تعلم الكتابة، لأن أشكال الرسومات تلهم الطفل لتعلم الكتابة وتقليد أشكال الحروف تماماً كما يقلدون أشكال الرسومات. من أهداف تعلم الطفل اللغة في المراحل الأولى من طفولته: تمكين الطفل من التعبير عن احتياجاته، التواصل مع محيطه الطفولي والأسري، إعداد الطفل للقراءة والكتابة.

إن التقييم بعد التعليم وسيلة فعالة لمعرفة درجة تحصيل الطفل في رياض الأطفال والمدرسة بشكل عام. يعتمد نمو القدرات العقلية للطفل على نمو قدراته اللغوية، وانتقاله التدريجي في التعلم اللغوي من الملموس والمُدرك مادياً إلى المجرد والمُدرك عقلياً، فالتطور اللغوي هو مرحلة من مراحل النمو العقلي للطفل، يتم من خلالها تحقيق النمو المعرفي، والنمو التواصل الاجتماعي، والنمو النفسي. إن دور رياض الأطفال هو دور أساسي على تطور لغة الطفل المكتوبة بشكل خاص، وتأثير تصحيحي وتقييمي لدور الأسرة في تنمية لغة الطفل الشفوية.

إن العملية التربوية والتعليمية بشكل عام لا تثمر إلا إذا ساهمت في ذلك مجموعة من العوامل أهمها الأسرة الصغيرة التي ينتمي إليها الطفل والتي يجب أن تتابع باستمرار مراحل نموه.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.
- ابن جنى. الخصائص، الجزء الأول. تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.
- ابن خلدون. المقدمة، الجزء الثالث، ط1. تحقيق: عبد السلام الشداوي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005م.
- الصابوني، محمد علي. صفة التقاسير، الجزء الأول، ط10. القاهرة: دار الصابوني، 1997م.

الدوريات والمجلات:

- إنصاف، كامل منصور. "أثر العصف الذهني في النمو اللغوي لطفل الروضة"، مجلة البحوث التربوية والنفسية. جامعة بغداد، 2011 م، ع31.
- سوزانا ميلر. سيكولوجية اللعب. ترجمة: حسن عيسى، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1987م، ع120.
- الطاهرة أحمد، السباعي الطحان. "الاستماع والتحدث في سنوات العمر المبكر"، مجلة خطوة، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2003م، ع20.
- ليلي، كرم الدين. "التعليم وطفل ما قبل المدرسة"، مجلة خطوة، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2003م، ع14.
- ليلي، كرم الدين. "لغة أبنائنا: نموها السليم وتنميتها"، مجلة خطوة، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2003م، ع20.
- والترج، أونج. "الشفاهية والكتابية"، ترجمة: حسن البنا عز الدين، مجلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1994م، ع182.
- العتوم، عدنان يوسف. علم النفس المعرفي. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2004م.
- زهران، حامد. علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، ط5. القاهرة: عالم الكتب، 1990م.

قصة قصيرة

أيامنا الحلوة

قصة: إبراهيم أمين مؤمن*

Email: ebrahim2016amin@gmail.com

غادر الطبيب بعد أن أخبره بالحقبة، وقد مثلت تلك الحقبة صدمة كبيرة لها، وطفقت تفكر في مآل من حولها والصلة التي تربطها بهم. انهمرت الدموع من عينيها، هاتان العينان البريئتان الخضراوان اللتان ما نظرنا قط ما في أيادي غيرها من نعمة؛ بل كانتا تتظران فحسب إلى الأيدي الفارغة لتملأها من نعمة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

لكن اليوم قد لطخ المرض العينين بالشحوب والهرم، وغلت اليدان في جراح قلبها. ووضعت كلتا يديها على وجهها، ذاك الوجه المستدير الرقيق ذو الأنف الصغير والشفاه الرقيقة يبسوا كالصحراء الجرداء، وذهب منه نضج الفتاة الشابة العذراء ليحل محلها شحوب المرأة العجوز الشمطاء.

وتحاول أن تبكي بشدة بيد أنها لا تستطيع لأن البكاء الشديد يسبب لها آلاماً في قلبها الذي أجري له عملية جراحية خطيرة منذ نحو ساعتين. وقالت لنفسها في حزن بالغ: البكاء راحة للنفوس بيد أنه صعب المنال بالنسبة لي، فما أنأى الضحك عني إذن، فقد التصقت الشفاه بجراح قلبي.

وكانت تسعل، تحاول أن تمتص سعالاتها حتى تخرج رقيقة خفيفة حتى لا تضربها في جراح قلبها الذي لأمه الطبيب في العملية.

قالت في نفسها: لن أستطيع أن أنفق على نفسي لأن الحركة وحدها كفيلة بأن تودي بحياتي، كما أن الزواج فيه خطر على حياتي ولو بعد حين، إذن فما قيمة الحياة بعد ذلك! وفكرت في الخلاص من الحياة بيد أنها لم تعزم هذا الأمر بعد بصفة نهائية.

* أديب مصري.



جاءها خير بقدوم ثلاثهم إليها ، كان الطبيب المعالج نقلها إلى قسم الجراحة حجرة 3.

طلبت من الممرضة آنذاك بصوت منخفض يصاحبه سعال رقيق خفيف أن تزين حجرتها وتظفها لاستقبالهم.

فنظفتها كلها ، بيد أن الزهرية التي كانت على منضدة الزينة هوت وتكسرت ، وليس هي فحسب ، بل سقطت المرايا التي فوقها. فلملمت الممرضة الزهرية والمرايا وألقته في سلة المهملات لحين إلقائها فيما بعد في التراب.

وكانت الممرضة تقول: لا أدري كيف حدث هذا؟ ولست أدري أيضا كيف ذبلت تلك الأزهار وقد كانت بالأمس ناضجة تلذ الأعين.

لم تتزعج هدى لما حدث ، بل كانت تعتقد في قرار نفسها أن تلك المرايا وهذه الزهرية قد حان أجلهم.

وسعت الممرضة نحو النافذة لتفتح الستارة قليلا لدخول أشعة الشمس بالقدر الكافي وهي تقول: تلك الستارة على وشك التهتك والسقوط.

وولت قائلة: الكحكة في إيد اليتيم عجة.



استقبلتهم هدى بوجه مبتسم ، لم يشعروا حيالها بشيء من الانزعاج أو الخوف حيث كانت طبيعية لأقصى درجة.

نظرت إلى حبيبها أحمد نظرات إشفاق وهي أحوج من تكون لهذه الشفقة ، لذلك حثته دون أن تعلمه بما قال به الطبيب لها بوجود الارتباط بينت خاله ، متعلقة بأنها مريضة وأنها بنت ملاجئ ، وعلى النقيض ، بنت خاله حسنة الخلق والخلقة وذات حسب ونسب فضلا عن ثرائها.

فاستتكر رأيها بشدة ، وطلب منها أن لا يسمع منها هذا الكلام مجددا فأخذت تفكر في أمره إن هي ظلت على قيد الحياة ، لم تنس أنه حاول أن يسرق من أجل أن

يوفر لها ثمن العملية وقد لطف الله به، وأنه لن يتورع أن يفعل ذلك مجدداً من أجل توفير العلاج والدواء لها لاحقاً فضلاً عن استحالة زواجه ببنت خاله. فأدركت أنها حجر عثرة على درب سعادته. حينئذٍ أطرقت في حزن بالغ قد ألجم مشاعرها وأخرس لسانها. ثم ما لبثت أن نظرت إلى علي، سألته عن حاله وهي تسعل، فقال لها متصنعاً السعادة بأنه ارتبط بـ "خاطرها" تلك الفتاة دميمة المظهر رديئة الخلق سيئة المعشر، هكذا أخبرها من قبل، كما أخبرها أن الزواج بها أشبه بالجحيم. وهي تعلم أنه فعل ذلك من أجل أن يوفر لها ثمن العملية الجراحية التي أجرتها منذ نحو ساعتين. كما تعلم أن بقاءها على قيد الحياة سيجعله يعيش في هذا الجحيم دائماً، وإذا رحلت سيتهجر ويخرج من هذا الجحيم. فباتت حجر عثرة في حياة علي أيضاً، ذاك الفتى الذي تعتبره أغلى من أخيها الذي لم تعلم به. ثم نظرت إلى رمزي الذي انتفخ وجهه من كثرة اللكمات التي أصابته في المباراة التي أقيمت بينه وبين وحش الإسكندرية. كما أنه أصيب بقطع حاد في المنطقة التي بين حاجبه وأذنه اليمينين. أما ذراعه فمكسور، وقد حُمل على شريط ملتف حول رقبته وامتد أسفل ذراعه كقاعدة ارتكاز. فرفعت يدها نحوه متسائلة عن تلك الإصابات التي ألمت به. فلم يجيبها وأمال رأسه إلى الأرض. فتأكدت أنه لعب مباراة الملاكمة أمام بطل إسكندرية. فكيّلت له تلالاً من الملاكمة معللة بأنه أشبه بالوحش وأنه لا يتوانى أن يقتل خصمه تحت ذريعة المباراة.

وأدركت أن رمزي لن يمانع في أن يخوض مباراة أخرى من أجل أن يوفر لها ثمن الدواء والعلاج اللاحقين.

فقهت الأمر وقالت له في ألم بالغ وهي تسعل: من أجلي طبعاً، من أجل أن توفر لي ثمن العملية.

نحى وجهه عنها ولم ينبس بكلمة.

شعرت حينئذ كم هي عبء على كل من حولها.

أدركت هدى عن يقين تام أنها إن عاشت سوف تكون عبئاً على المجتمع رغم أنه ضربها في ظهرها ألف ضربة منذ مولدها، حيث رماها هذا المجتمع في ملجأ وهي تصرخ من شدة الجوع والعطش والبرد.

لذلك عازمت على قرارها الذي فكرت فيه قبل دخولهم عليها.



فلما غادروا ظهرت عليها ملامح الألم والحزن بعد أن شاهدتهم وهم يلتفون حولها ويحيطون بها إحاطة الأم على أولادها.

وجسدت في مخيلتها المستقبل البائس لثلاثة من الشباب كلهم يحبونها إن بقيت على قيد الحياة.

لم يكن بجديد عليها ما سوف تفعله الآن فقد فعلتُ فعلاً أشبه بذلك عندما كانت في الملجأ وهي في الخامسة عشر من عمرها؛ حيث كانت لها رفيقة في حجرتها أصابها حادث فنزف دمها إلى حد بلغها رائحة الموت.

ولم يجدوا فصيلة دم صديقتها إلا فيها، وبعد أن أجريت الفحوص عليها تبين أن التبرع بدمها فيه خطورة على حياتها هي أيضاً ورغم ذلك وافقت أن تتبرع بدمها لها بكل إصرار وتحدد.

وعندما دخلت الحجرة ورقدت على السرير لسحب الدم من يدها دخل عليها عم عامر الذي انتشلها من أمام المسجد عندما كانت حديثة الولادة.

أول ما رأته تذكرت قوله لها عندما سألته عن حالها يوم أن انتشلها.

قال: كنت يا ابنتي تصرخين، ولا أدري أكنت تصرخين من الجوع أم من البرد.
فأجابته: ربما كنت أصرخ من لعنة الزمن.
قال: كانت ليلة شديدة المطر، ولم يكن على جسدي شيئاً.
نظرت إليه وهي مستلقية على ظهرها وقالت: ماذا تريد مني يا عم عامر؟
قال وهو يمسح دموع عينيه بأنامله: يا ابنتي، لا أوافقك على فعلك هذا، فقد علمت
أن التبرع بالدم فيه خطورة على حياتك وأنت لم تري الدنيا بعد.
قالت: أريد أن أرد جميل القدر الذي جعلك سبباً في انتشالي يا عم عامر، وها أنا ذا
أفعل فعلك وأنقذ صديقتي من الموت.
قبلها في جبهتها ثم انصرف متأثراً بصفاء قلبها وعظمة وفائها.



حينئذ نهضت وقالت في نفسها: لا بد أن أكون عند حسن ظن عم عامر.
نظرت بعد مغادرتهم في أركان الحجر، وقد قررت أن تكون هي موضع نهايتها إلى
الدار الآخرة، وقد حمدت الله أنها عرفت نهايتها وتأسفت على أنها لم تعرف بدايتها.
قررت أن تودعهم بطريقتها هي، وداع من طرف واحد، وداع المضحين بأنفسهم في
سبيل راحة من حولهم.
تنفست أنفاس رماد متهالكة، من رئتتين أرهقتهما قلبها المثقل بالمرض.
وضعت يدها اليسرى على قلبها حتى تتمكن من النهوض لتودعهم قبل أن يدركها
الموت وحتى تتمكن من الوصول إلى النافذة.
تحاول النهوض شيئاً فشيئاً وفمها مفتوح لتتمكن من إخراج زفيرها المتهالك من
صمامات قلبها الضيقة الجريحة، تحاول أن لا تحرك جسدها حتى تتحاشى الألم
الناجم عن الحركة والذي قد يودي بحياتها قبل أن تودعهم فتموت حسرة وكمداً
قبل أن تحقق هدفها المنشود.
انزاحت حتى وصلت طرف السرير، ورفعت الغطاء بيدها اليسرى من على قدميها،
ثم وضعتها مرة أخرى على قلبها.

وقفت على قدميها بجسد مرتخ، واتكأت على المنضدة التي كانت عليها الزهرية، ومشيت خطوتين أو ثلاثة حتى أدركت ستارة النافذة فأمسكتها بيدها اليمنى بينما لا زالت يدها اليسرى تمسك بقلبها حتى لا يتوقف عن النبض قبل إدراك لحظة وداع الأحياء.

ونظرت من النافذة، فوجدت علي ورمزي في المقدمة، بينما أحمد يمد خطواته كي يدركهما.

انهمرت دموع الوداع، وقد نسجت بين خيوطها التضحية في أسمى معانيها، نسجت اللحظة الأخيرة من حياتها.

فلما قررت عينيها، جاءها الموت رغماً عنها وهي لم تشبع رغبتها بعد في النظر إليهم وهم يغادرون فناء المستشفى.

وتبين ذلك أنها كانت تمسك بستارة النافذة، كانت تحاول أن تسعفها الستارة في استمرار وقوفها لتملي عينيها من النظر إليهم.

لكن الستارة لم تتحمل وتهتكت في يدها لتسقط على الأرض وتودع الحياة، تودع الحياة التي جاءتها ملقياً على الطرقات وهي وليدة، لتخرج منها شابة لم تذق من الحياة إلا مرارتها، ولتقدم رسالة من الرضا والتضحية والوفاء إلى المجتمع الذي خانها وغدر بها وفتح لها أبواب الجنة ثم ما لبث أن أغلقها في وجهها بكل قوة.

قصة مليايمية

طعام من الله

* قصة: بي سي كوتي كرشنان*

** ترجمة: د. عبد الغفور الهدوي كوناندي

Email: abdgfrkt@gmail.com

عندما وصلتُ إلى تلك المدينة بحثًا عن وظيفة متواضعة كنت بها غريبًا، دون أيّ تصوّر سابق عن مسكني أو كيفية تدبير أمور حياتي. لم أكن أعرف أحدا بهذه المدينة البعيدة، ولا داعي لأن يعرفني أحد هناك. كنت أخطّط استئجار إحدى غرف الفنادق البسيطة هناك... ولكن لم أكد أخطو خطواتي الأولى على رصيف المحطة، شعرت بيدٍ تربت على كتفي من الخلف، وسمعت صوتًا يقول:

"قف، يا "ناير"... أين تعدو بهذه السرعة؟" التفتُ مذهولًا لأجد صديقي "مولوي" يقف أمامي كظلٍّ من الماضي! لم يكن بخلدي أبدًا أنني سألتقي بمولوي في هذا المكان الغريب وفي هذا الوقت بالذات، حتى كان اسمه قد غاب في أغوار ذاكرتي. غمرتني الحيرة والدهشة، سألته بعجب: "أنت هنا، يا مولوي؟"

"لا، أنا شيطان..." ردّ مولوي بأسلوبه المعهود، وواصل حديثه قائلاً: "لماذا قدمت إلى هذا المكان البعيد؟"

* بي سي كوتي كرشنان (1915-1979م)، المعروف باسمه المستعار "أوروب"، أديب هندي بارزٌ يعدّ ضمن طليعة الكتاب الرواد في الأدب المالايالامي خلال القرن العشرين. اكتسب شهرةً واسعة من خلال رواياته الفريدة مثل "سونداريكالوم سوندارانماروم" (الجميلون والجميلات) و"أوماتشو"، بالإضافة إلى قصصه القصيرة كـ "راتشياما" وكتابات السيناريو لعدة أفلام في السينما المالايالامية، أبرزها "نيلاكوبيل"، الذي يُعد أول فيلم روائي مالايالامي ينال جائزة الفيلم الوطني. تُوجت مسيرته الأدبية بالعديد من التكريمات والجوائز، من ضمنها الجائزة الأدبية الوطنية (جائزة كيندرا ساهيتيا أكاديمي بالهند)، والجائزة الأدبية بولاية كيرالا (جائزة ساهيتيا أكاديمي بكيرالا). هذه القصة المترجمة مأخوذة من مجموعته القصصية باسم "المولوي وأصدقائه".

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة، كيرالا، الهند.

شرعت أحكي عن رحلتي وكيف تمكّنت من الحصول على وظيفة بتلك المدينة. عندئذ انفجر مولوي ضاحكا وقال: "يعني، الحين فهمت الأمر الذي كان لازما عليك فهمه من زمان!"

"ما الذي تريد، يا مولوي؟"

"كنت أظن أن ابني لا يزال في مهمّة إصلاح البلاد.. ذاك العمل سهل جدًا... ليس على المصلح أن يفعل بدوره شيئًا، بل يكفي له أمر الآخرين بالعمل... فلم تركت ذاك العمل الأسهل؟"

"كان ذلك في حين من الدهر، يا مولوي، ألم تمض تلك الأيام؟"

"يعني، أنت إذن لا تصبح سيّدًا؟ صحيح؟ دغ تلك الأمور... قل لي أين ستسكن هنا؟" "ما قررت حتى الآن، هذه هي المشكلة أمامي"

عرض عليّ مولوي بكرم: "إن لم يكن عندك مانع، تقدر تقيم معي... عندي مكان يسع للجلسة والراحة وحتى للاستحمام... بل ما عندنا مطبخ، لازم نذهب إلى المطعم للأكل، ما رأيك؟"

"ليس عندي مانع، بل أما يكون ذاك مشكلة عليك؟"

ردّ مولوي بغفوية: "لا أحب مثل هذا القول... ولو فيه شيء من إزعاج، هل يعني ذاك أنك لا تحتاج مكانا تسكن فيه؟" ما إن أتمّ كلماته حتى التقط أمتعتي ووضعها على كتفه وبدأ يمشي، على رغم احتجاجاتي الخجولة...!

كنت أفكر في مولوي وفي العلاقة التي تجمعنا... كان هو وأخي يشتركان في بعض مهامّ عامة، بل الأصحّ أن يقال بأن أخي كان يشاركه في مساعيه.. أذكر جيدًا كيف كان مولوي ينتقد أخي بقسوة، لكنه كان دائمًا يقف إلى جانبه في مواجهة خصومه، وكان يضغط لإنجاز المهام بسرعة. على الرغم من اهتمامه بالشؤون العامة، كان يستهزئ بأعماله الاجتماعية: "قف يا ولدي، دعني أسألك، مشغول أنت؟" كان يوقفني في الطريق ويسأل: "إن أنت مشغول الحين، أسألك بعد؟" "لا، لست مشغولا... لم؟"

"هل أنت تفكر في إصلاح هذا البلد فقط أم تفكر في إصلاح البلاد المجاورة أيضا؟
سألتك كي أعرف قدر أشغالك!"

"مولوي، أما عندك إحساس اجتماعي؟" عندئذ أسأله.

"دعك تظن أنني لا أملكه أيضا، مثل كثير من الأشياء الأخرى، لكن، أجبني،
من اشترى لك هذا الإزار الذي ترتديه؟"

"أبوي"

"وهذا القميص؟"

"أبوي"

"يعني، ما شريت شيئا بنفسك؟"

"إذن...؟"

"أبدأ تشتري شيئا بالذي تكسبه أنت، بعدئذ تفكر في إصلاح البلد. ما رأيك؟"

"دعني أسألك... أنت وأخي أما تسعيان لتصليح المدارس وشؤون البلديات؟"

"خزعبلات" ردّ مولوي: "أخوك يجيء متأثرا بأوهامه، ماذا أفعل عندئذ؟ هل أخليه
لحاله؟"

أقع عندئذ في حيرة من أمري ولم أعرف ماذا أجيب.. على كل حال، كان مولوي
دائما يعارض خدماتي الاجتماعية. فها هو ذا، يسير الآن أمامي يحمل أمتعتي... ماذا
يريد منّي؟!

منذ ذلك اليوم، بدأت الإقامة مع مولوي... كنا ثلاثة نفر في ذاك البيت بشكل
دائم، وأحيانا نكون أربعة.. الرابع هو قائد سياسي، هو الذي استأجر هذا البيت،
ولكنه يقيم معنا ثلاثة أيام فقط في كل شهر. كان معنا، أنا ومولوي والقائد
السياسي فتى آخر اسمه محمد. هو شاب في مقتبل عمره، شخص مثل ساق البامبو،
يعيش في عالم خيالاته، مستلقيا على كرسيه، بقميصه الأبيض الوسخ، لا يتحدث
مع أحد إلا للضرورة، كأنه يرغب في اجتياز الحياة منحيا في دروبها الأقل ازدحاماً!
كان مولوي يويّخنا جميعا، أنا ومحمد والقائد السياسي، بطريقته الخاصة.
"ما لك لا تستحمّ ولا تغسل ثيابك؟" كان يوجّه هذا السؤال إلى محمد حيننا بعد حين.

"سأستحم"

"هل تصلي ولا؟"

لا ينطق محمد ببنت شفة...

"ما سمعت، هل تصلي أنت؟"

"أحياناً" يردّ محمد بعد تردد.

"لم؟ تحس نفسك أكبر حتى من الوقوف أمام الله؟"

"سأصلي"

"لا تصلّ من أجلي... صلّ إن تعتقد أنك محتاج للصلاة"

"سأصلي، يا مولوي"

"أحذرك، لا تهلك من كثرة العلم، فاهم؟" كان هذا إنذاره المعتاد لمحمد.

في مساء ذلك اليوم، رأيت مولوي يتجه إلى البئر حاملاً جميع ملابس محمد إلا إزاراً كان يرتديه. لم يكن من الجدوى محاولة منعه. الأفضل التزام الصمت إن كنت لا ترغب في سماع توبيخه. كان مولوي يتولى غسل كل الملابس الوسخة في البيت، سواء كانت لي أم لمحمد أم للقائد السياسي. كان يقول: "لولا بركة من الله، لنزل الطاعون بهذا البيت!"

كنت أظنّ أنّ محمداً من أقارب مولوي، فسألته ذات يوم عن ذلك. فردّ:

"هو ولد مثلك... أسكنته هنا يوم لقيته تأثها في المدينة... بس... هو غبي... لا يعمل أي شيء"

هما روحان مختلفتان وُلدتا في مكانين متباعدين... لم يكن مولوي يعرف حتى من هما والدا محمد، ولكنه كان يقول: "هو من أولادنا"

كان مولوي يقوم بأيّ عمل من الأعمال، من كتابة الحسابات إلى الإشراف على المهام المختلفة، وكان أحياناً يصبح معلّم الدين، كان يكتسب عيشه من أيّ طريق ممكن... عندما كان يأكل شيئاً يعرفه العالم كلّهُ، ولكن عندما يجوع، يحاول ألا يعرف جوعه حتّى جسده...! أهله وعياله يسكنون في بلده.. يرسل إليهم نفقاتهم... ومع ذلك، ينفق على "أولادنا" مثلنا أيضاً. يذهب مرّة كل شهر لزيارة أسرته، يشتري

عندئذ شيئاً من رقائق الموز أو التمر أو حلوى السمّن، يعطيني ومحمّد بعضاً منها، ويخبئ شيئاً للقائد السياسي، ولكنه يرميه لو تعضّن. وإذا حضر القائد في الوقت الذي بدأت فيه الحلويات تتعضن، فيجبره على تذوّق شيء منها.

في حضور مولوي، كان البيت يسوده هدوء وأدب لا يخرقهما صوت، حتى القائد السياسي كان يخشى منه. كنا مجبرين على قراءة الجرائد التي يجلبها مولوي يومياً والخضوع لاختياراته المفاجئة للتأكد من قراءتنا لها. كثيراً ما كان محمد، الفارق في بحر أحلامه، يتعرض لتوبيخ مولوي لإهماله في قراءة الجرائد.

كان لمولوي آراء سياسية قوية، يصعب على أي قائد سياسي الاتفاق معها بشكل كامل. ومع ذلك، كان يعلن عن آرائه بثقة مطلقة، كأنما يرجو ممن يملك أذناً واعية موافقته. وحتى في الشؤون الاجتماعية كانت له آراء صارمة، فهو لم يثقب حتى الآن آذان بنتيه. عندما سُئل عن ذلك، ضحك وأجاب:

"سأخذهما إلى المستشفى بعد أيام"

"لماذا؟"

"سأقطع آذانهما كلها.. أليس المقصود أن تعانيا من بعض الآلام؟ ما رأيك؟"

بعدها، لم يعد أحد يسأله عن هذا الأمر، فجميعنا نعرف طبيعته جيداً. عشنا هكذا، أنا الموظف (كنت أكتب في تلك الأيام راتباً شهرياً قدره سبع وعشرون روبية واثنان عشر فلساً)، ومحمد الشاب الفارق في أحلامه، ثم مولوي... في تلك الليلة، حين دقت الساعة الثامنة مساءً... لم يمض وقت طويل على عودة مولوي من الخارج حاملاً صابوناً طويلاً. رمى الجريدة نحو الطاولة، ونزع قميصه.. بعد قليل، رأته يتجه إلى البئر حاملاً كومة من الملابس الوسخة. وأثناء ذهابه، التفت إلى محمد وسأله بسخرية: "محمد، ما لك لا تأخذ ملابسك إلى آلة السحج؟" بقي محمد وأنا صامتين.

وبعد ذهاب مولوي، تبادلنا نظرات وضحكنا بهدوء، ثم بدأت بقراءة أخبار الجريدة واحداً تلو آخر بصوت عالٍ ليسمعه محمد. تحدثنا عن قضايا الحياة، وقلت إن الأحوال تزداد غموضاً يوماً بعد يوم. ردّ محمد ببساطة:

"صحيح...!"

"كيف سنعيش في الأيام القادمة؟" سألته.

"سنعيش هكذا!!" كان ردّه بسيطاً!

"يعني، تحسب أنك ستعيش طول عمرك هكذا؟" سألته بفضول.

"والأ ماذا؟" ردّ بتساؤل.

"ما لك لا تبحث عن عمل؟"

"أما الله مسؤول عن أمورنا؟"

"صحيح.. ولكن... أجبت بتردد.

"الله هو الذي يعطينا كل شيء... حتى الأرز يجيء من عنده!" قبل أن يكمل محمد

جملته، سمعت صوت وضع الدلو من عند البئر، وبعد لحظة، ظهر مولوي في الغرفة.

"محمد، تعال هنا" دعاه مولوي بصوت محكم.

تبعه محمد بخطوات مترددة.

"هات بقفل هذه الغرفة"

جاء محمد بقفل ومفتاح بعد بحث طويل.

"محمد، الآن ادخل هذه الغرفة" قال مولوي بصوت خافت. ولما أطاعه محمد، أقفل

الباب من الخارج وشدّ المفتاح في طرف إزاره، وقال:

"ابق هنا، نشوف هل سيجيء الله لك بالأرز... إن كان كلامك صحيحاً، نقدر

نشوف الله عندما يجيء بطعامك!"

تركه مولوي وعاد إلى البئر بعد مسح ما على يديه من رغوة الصابون في المنشف

الذي لبسه... وقفت متحيراً...! ماذا حدث للتوّ؟ بات محمد أسيراً...!!

شُفت من النافذة إلى الغرفة حيث كان محمد يتجول ذهاباً وإياباً، واضعاً يديه إلى

الوراء... لم يهتمّ مولوي بشيء، يغسل الثياب ويضعها على الحبل، ثم يعود إلى البئر.

بعد الانتهاء من غسله واستحمامه وتبديل ملابسه المبتلة، نادى محمداً من عند

النافذة:

"يا محمد...!"

"همممم.....؟"

"حصلت الرز؟"

لم يجب محمد.

"حصلته؟ هل كان ذاك أرز عادي أم برياني أم أرز بالسمن؟" استمر مولى في السؤال.

صمت محمد..

"أما حصلته حتى الآن؟ صبرا، ستحصله، الله يأتي لك به!"

بعد أن وضع طيلسانه على الكتف، دعاني مولوي للذهاب إلى المطعم.

تبعته، ولكن أفكاره كانت مع محمد في الحبس.

"مولوي..."

"ماذا؟"

"ماذا عن محمد...؟"

"دعه وأمره، يا نيار، الله سيأتي له بطعامه... برياني ودجاج مقلي... بل لازم علينا

نروح المطعم لأكل الأرز... يا الله، تعال يا ولدي"

أطعت ذاك الأمر. وبعدما تناولنا الأرز، قال لي مولوي: "امش وحدك... أنا آجيه بعد

قليل"

رجعت إلى البيت... كان محمد يتابع مشيته ذهابا وإيابا في الغرفة عاقدا يديه إلى

الوراء..

"محمد..."

"همممم...؟"

"الموضوع صار خطيرا؟"

"ما كنت أتوقع أن مولوي كان يستمع إلينا... وإلا ما كنت أقول ما الذي قلته" ردّ

بنبرة محبطة.

"والحين، كيف تتجو من هذه الورطة؟"

"هو رجل عنيد، أتكمن من صبر جوع اليوم، ولكن، ماذا سأفعل غدا؟"

شعرت بالتعاطف تجاه محمد، ولكنني كنت عاجزا عن مساعدته.

"محمد، أنت جوعان؟"

"إيه، جوع ما شعرته من قبل!"

"أعطيك شيئاً من الأكل من الشباك؟"

"لا.. لو درى هو..." قبل أن يكمل كلامه، سمعت صوت خطوات على عتبة الباب.

ابتعدت عن الشباك بسرعة. دخل مولوي الغرفة ونظر من خلال النافذة:

"مَمَّادُ! اللحم كان طرياً ولا؟"

صمت محمد.

"ما حصلت الأرز؟ لم ساكت؟ الله لم يجى به؟"

"لا"

"الله يأتي لك به عن قريب... لا تشغل بالك!"

جلس مولوي يدخن سيجارته ويقرأ الجريدة، بينما القلق كان يملكني من

التفكير في أمر محمد. أنا قد تناولت الطعام.. مولوي راسخ على موقفه. قلت في

نفسي بأن أفعاله تتعدى بعض الأحيان جميع الحدود. وإلا ما الذي فعله محمد

ليستحق هذه العقوبة القاسية؟!

جلس المولوي منغمساً في قراءة الجريدة، وأنا بقيت جالسا هناك متكئاً على

الجدار، أتأمل فيما جرى. خلال ذلك، ناداني محمد.

"ماذا؟"

"بعض من الماء، لو سمحت!"

نظرت إلى وجه مولوي. سألني المولوي وعيناه في الجريدة:

"ماذا يقول؟"

"هو يقول إنه بيغى يشرب ماء"

"ما جاء الله له بالماء حينما جاء له بيرياني ودجاج مقلي؟"

"أنا عطشان!" رفع محمد صوته وهو لا يفكر عن ماذا سيقع.

"يا هذا، لا تأكل هكذا لكونه من الله، سمعت؟ زين! قل له يجى لك بالماء!"

أعاد مولوي انتباهاته إلى الجريدة في يديه. في الحقيقة، كنت أنا الغارق في التوتّر بينهما. طلبت من مولوي مرّة أو مرتين أن يرفق بحاله، لكنه ظل ثابتاً على موقفه الصارم، قائلاً بحزم: "رُح أنت ونم". ما أخطر هذه الحالة!

أما محمد، فقد ارتفعت صرخاته اليائسة، محملة بالعطش والألم: "يا مولاي، أنا أموت الحين، أموت من العطش!"

أخذ مولوي نظارته ببطء عن عينيه، ووضعها على الطاولة. قام بخطوات متمهلة نحو الباب وفتحه. انقض محمد نحو مولوي متشبثاً به كشلالّ مياه يندفع من سد مكسور!

"توقف"

"يا مولاي"

تبعْتُ مولوي وأنا ممسك بكوب من الماء، استلمها مني ومدّها نحو محمد. شرب محمد الماء بنفس واحد وأطلق زفرة الراحة معلناً: "الحمد لله!"

"الله يعطي الأكل؟" سأل مولوي بنبرة تحمل الحكمة والعمق.

"كلا" ردّ محمد بصوت متردد.

"أرني يديك.. فيهما شيء من المشكلة؟"

"لا"

"يعني، أنت محظوظ! خله.. من الذي أعطاك هاتين اليدين؟"

لم يشعر محمد بالجرأة على أن يجيب بأن الله أعطاه يديه.

"من الذي أعطاك؟" كرّر المولوي سؤاله.

"كانتا هكذا من قبل"

"نبتتا من لاشي؟"

"أنا ما أدري"

"الله هو الذي أعطاك يديك؟ صح؟"

"صح!"

"من الذي خلق هذه الدنيا؟"

"اللَّهُ الخالق"

"صح، إذا ما عملت بهاتين اليدين في هذه الدنيا، ماذا سيكون؟"

"سيكون كل شيء!"

"الأكل بعد؟"

"إي"

"يعني، بعد العمل؛ صح؟"

"إي"

"يا غبي، هل الله موزع بريد يأتي لك بالأكل؟ هل تقول بعد مثل هذا الهراء؟"

"كلا"

"زين، رح الحين لتلك الغرفة، تلقى هناك الأكل. رح وكل.. يا الله، رح!" عاد مولوي إلى قراءة الجريدة.

تبع محمد إلى الغرفة، حيث وجدنا صحن برياني ولحم دجاج على الطاولة. عندما فتح محمد غطاءه، انتشرت رائحة شهية تملأ الغرفة بأكملها. عندئذ، ندمت وتمنيت لو أنني كنت من الذي قال بأن الله هو الذي يأتي بالطعام...! كان طعامي اليوم مجرد أرز عادي، وقد مرّت أيام طويلة منذ آخر مرة شممت فيها رائحة برياني لذيذة!

بدأ محمد في التهام طعامه بنهم شديد، متجاهلاً تماماً وجودي عنده...!!

قصة أردية

الأجنبي في بيتي

قصة: رفعت الصديقي*

ترجمة: د. فيصل نذير**

Email: faisalnzr40@gmail.com

قد عتم الليل تماماً وطال غسقه، ولكن في الطريق الصامت إن مرّت أية دراجة نارية؛ تشق قلب الصمت وتثير الغوغاء قليلاً. وأحياناً ينبحون الكلاب على مرور أحد بمنطقتهم. أكرم كان جالساً على كرسيه بجانب السرير، وهو كان ينظر في صفحات الكتاب مفتوحة بيده في ضوء المصباح الضئيل. ويبدو أنه كان يحاول قراءة رباعيات عمر الخيام بمساعدة الترجمة الإنجليزية، ولكن كان ذهنه شاردًا، وتنتابه فكرة أخرى. وكان يسمع خرخرة (Snoring) زوجته وهي نائمة، وصوتها كانت عالية تزعج أكرم. ولكن زوجته كانت تنام في نوم عميق بكل هدوء.

ولكن استولى على أكرم أرق، وعجباً! أكرم يسهر الليالي عندما كان في الإمارات وتشغل باله خلجات وأوهام عن عياله وأولاده. وهو لا يكاد ينام مع أنه في أهله. ألقى نظرة تأمل في بيته الذي كان مملوءاً بالأشياء الثمينة الغالية التي جمعها زوجته كلثوم. السجادات كانت ناعمة جداً، في إحدى زوايا ذلك البيت الأريكة المريحة الغالية. وأمامها التلفاز الكبير يحيط رُبع الجدار، تحته مجموعة من الكاسيت (Cassettes) تبدو كأنها مكتبة صغيرة. وفي ناحية كانت الباقة الاصطناعية الثمينة. وكانت صورتها من وقت الزواج معلقة على الجدار. وفي تلك الصورة كلاهما يبتسمان بكل بشاشة. أن أكرم بصوت خفي؛ ووضع كتابه على

* كتب رفعت الصديقي هذه القصة القصيرة باللغة الأردية، وهو كاتب وشاعر شهير في الأوساط الأردنية ولد وترعرع في مدينة حيدر آباد بالهند. إنه ألف كتباً قيمة في النشر والنظم. وهذه القصة مأخوذة من مجموعته القصصية "أخرى يودا: نتخب أسأل". وله مجموعة شعرية باسم "أك شجر هوائل كي زد پر"، وله مجموعة قصصية أخرى باسم "بیرے کا جگر".

** حاصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة الملوية الإسلامية بنيو دلهي، ومقيم حالياً في دولة قطر.

الكرسي وبدأ يفكر في أيامه التعتيس، وحينما كان مفلساً وكان في الهند يعمل في دكانه، وزوجته كانت مطيعة تهتم به بكل رغبة ومحبة، ولكن بسبب ضيقه المالي وحينما صار أباً لثلاثة أولاد، فكّر أن يهاجر إلى الإمارات سعياً لرزق واسع لعائلته. وفي أيام التعاسة كانت العائلة متمسكة ومؤانسة بعضها ببعض، كانوا يسكنون في بيت لغرفة واحدة، ولكن لأجل عياله أراد أن يهاجر لبحث عن عيش مريح ومستقبل زاهر لأولاده. حينما أراد المغادرة بكت العائلة معه؛ وباعت زوجته حليتها الغالية لكي يجمع من مال للحصول على الجواز والتذكرة والتأشيرة وأجرة العميل. حينما حصل على وظيفته عمل أكرم بجد وإخلاص؛ وكان يعمل أكثر من ساعات عمله وكان كفيله راضياً منه، ويعطيه أكثر من أجرته وراتبه. وأكرم كان يبهر هذا الجهد المفرط؛ بأنه هاجر إلى هذا الأرض ليكتسب لزوجه ولأنجاله. ومن راتبه أولاً أدّى ديونه.

بعد سنتين حينما رجع إلى بيته وعانق زوجته وأولاده فشعر كأنه حصل على الدنيا وسائر سعادتها، وفرحت زوجته كلثوم والأولاد. والآن بدأ الأطفال يذهبون إلى المدرسة الشهيرة في مدينتهم. تحسّن بنيان البيت والجدار، وزُيّت الدار بالسجادة والتلفاز والأريكة العالية الجودة. وزوجته أحبته بكل قلبها وقالبها، ربما هي أحبته أكثر من باكورة زواجهما وشهر العسل. مضت العطلة في طرفة عين، وجاء يوم الوداع، وودّع أكرم أهل بيته بعيون دامعة. دارت دورة الليل والنهار؛ والصيف والشتاء ومضت عشرون سنة، وهو ما زال يكتسب الريال في الصحراء المقفرة وشدهتها وحيداً بعيداً عن العائلة. كل سنة كان أكرم يسافر إلى وطنه وأهله لعدة أسبوع فقط. ولكنه شعر بالتغيير في طبيعة ومعاملة زوجته وأولاده، والأولاد لا يباليون ولا يقدرّونه حق التقدير والاحترام. كلهم كانوا مشغولين في شؤونهم، لا علاقة لهم بالدهم ولا يهتمون به حق الاهتمام.

بينما كان يفكر هذا، هو شعر بالعطش الشديد، فأخرج قارورة الماء من الثلاجة وأرؤى غليله، لكن ما بال الشعلة التي كانت تشتعل في داخله. وأما كلثوم فلا علاقة لها مما يجري في قلب زوجها وفي حياته. ألقى أكرم نظره إلى كلثوم النائمة،

وهو تساءل نفسه؛ هل هي نفس المرأة التي تزوجتها؟ هل هي كلثوم القديمة؟ نعم أو ربما لا. زاد الرخاء والثراء الشحوم على جسدها، وغاب حُسن وجهها في سمنتها، والآن أنها لا تلبس ثوباً عادية، حتى وقت النوم تلبس ثوبا غالية وملايس باهظة الثمن. أين غابت تلك كلثوم القديمة؟

أراد أكرم أن يوقظ زوجته ويقول لها... أيتها الناشزة! زوجك ذاهب غداً للعمل إلى الإمارات في شمسها الحادة، ومن الغد فصاعداً تكون هناك ليالي الوحدة والعزلة، وأنت لا تستطيعي أن تكوني يقظة في تكريم بعلك؟ كنت أريد أن أتكلم معك وأقضي ليلتي الأخيرة في حضنك. أراد أكرم أن يبسط يده إلى كلثوم... ولكنه توقف. تذكر أكرم مناوشته مع كلثوم في غرفة أخرى، وساهم أولاده في تلك المكاملة حينما أعاد أكرم كلمته بأنه يغادر الوطن لآخر مرة، ولعله في السنة المقبلة يرجع إلى وطنه تاركاً وظيفته للأبد. استشاطت كلثوم غضبا وقالت: "أنت تتفوه كالطفل، ما زال الأولاد يدرسون، وأسلم يواصل دراسته في الطب؛ ومكّر يدرس الهندسة، وتستغرق سنوات للحصول على وظيفتهم، وما بال نفقتنا خلال هؤلاء السنوات؟

بُهِت أكرم بشدة لهجتها، وقال مندهشاً: تكفي مما كسبتُ من الأموال الطائلة للعيش رغداً في المستقبل، ومن فضل الله لدينا المنزل الفاخر والسيارة الفارهة و كل المرافق والتسهيلات المتوافرة لدينا؛ وأفكر أن أبيع المزارع التي خارج المدينة وأستثمر في التجارة بعد العودة من الإمارات. تعبت من العمل الدؤوب خارج البلد؛ والآن أريد أن أقوم بأي عمل بسيط وصحتي تتدهور كذلك يوماً فيوماً.

ماذا حصل بصحتك؟؟ قاطعت كلثوم كلامه: أنت بكل صحة وأمان، وضغط الدم ليس مرض هالك، وماذا تفعل بعد الرجوع هنا؟ وليس لديك خبرة في مجال التجارة، وستخسر ما كسبته حتى الآن في حياتك. أضاف ولده قائلاً: نعم يا أبي؛ أُمي صادقة في قولها، صحتك لا يلائم للتجارة في الهند، وظيفتك في الإمارات أحسن، لأنك معتاد بها ويناسب لك.

غضب أكرم وقال: الآن أصبحتَ تشاورني أنت!!! دفعتُ الرسوم لالتحاقك بالجامعة للهندسة وأنت ما زلت تفشل منذ سنتين على التوالي، وأنت تشاورني ماذا أفعل ولا..! تداخلت كلثوم وقالت: دعه وشأنه، وهو لا يزال يدرس وسيكون فائزاً بالتدريج. ولا تتخيل عن ترك الوظيفة والرجوع من الإمارات وإلا الأوضاع المالية ستدهور لنا. خرج أكرم متفكراً بأن الأوضاع ستدهور بالطبع، لأن كلثوم تشتري كل الأسبوع ملابساً جديدة ثمينة، وكل سنة تشتري حلية غالية، وتختلف إلى صالون التجميل قبيل كل الحفلات. وبعد كل يوم تحضر كلثوم حفلاتٍ عديدةً، مثل حفلة عيد الميلاد وحفلات كيتي (Kitty Party)، في بيت إحدى صديقاتها وتتجول للتسوق. كذلك الأولاد لهم جماعة الأصدقاء دائماً يدعوهم للمغامرة، وهم يمرحون على الدراجات النارية و يسوقون الدراجات عشوائياً في أنحاء البلاد، كلما حاولتُ تنبيههم على هذه العادات السيئة، تدخلت كلثوم في الأمر ودافعت عنهم.

مضى شهر منذ قدوم أكرم في الهند؛ هو ما زار أحد أصدقائه وأقربائه إلا مرة أو مرتين، في غالب الوقت يمكث في البيت ويقرأ الجريدة والصحف أو يشاهد التلفاز، ولكن كلثوم ما يمكث في البيت إلا قليلاً، دائماً تحضر الحفلات أو تذهب إلى السوق أو تكون في غرفة أخرى، وأنها دائماً مشغولة بجوالها، تتكلم مع أحد لساعات، إن الثروة المفترطة فتحت باباً للعديد من الصديقات، وما زالت حسرة أكرم في صدره أن يجالسه أولاده وزوجته ويتكلموا ويستفسروا عن أحواله أو صحته أو حياته في الإمارات. حتى الخلوة والعزلة مع زوجها فقدت جاذبيتها وسحرها ولذتها. فأحياناً هو يتعجب ويتساءل نفسه، هل هي نفس كلثوم التي تزوجتها؟ أين ذهبت تلك كلثوم المعصومة والمطبعة؟ هذه امرأة أخرى مستبدلة من المرأة الناشزة الشريرة الأنانية.

هل هذه حصيلة سنوات التي قضيتها في الإمارات وحرارة شمسها، بأنني صرت أجنبياً في بيتي!!! ما بقي أحد بين هذه الجدران الذي يواسيني و يتفكر عن صحتي وحياتي و آرائي. كلهم فقط يحسبونني ماكينة إخراج الروبوتية، لا أحد يعتبرني إنساناً مع القلب والمشاعر، بل فقط شيء يستخدم عند الحاجة. رجع أكرم إلى

غرفته بعد شرب الماء بنفسه، وسفره كل سنة ما يسبب أي فرح ومرح لأحد، ولا يسبب عوده الحزن والأسى للعائلة. وحينئذ بال في خاطره أنه أحرق، بأنه كل يوم يتذكر عائلته ويضطرب في الإمارات. ولكن حين يزور العائلة لا أحد يجلس معه ولكن كل ينظر إلى جيبه وروبيته ورياله. في ذلك الحين عزم أكرم بأنه لا يعود إلى وطنه وأهله أبداً بعد عام هذا. ويمكن في الإمارات حتى توافيه المنية. بعد هذا القرار، شعر أكرم نوعاً من الارتياح وأطفأ المصباح لينام، لأنه يغادر في الصباح الباكر وطنه وعائلته للأبد.

خاطرة

جنية في قارورة

قصة: د. محمد عفان*

Email: affanbgsbu@gmail.com

يشاع عن أحد العلماء الفقهاء في بلادنا أنه أجاز في فتوى من فتاواه، وذلك بشيء من التحفظ، سرقة الكتب، إذا تمكن منها دراس نهم. كما يقال عن بعض أشهر المكتبات إن مؤسسها أرسى قواعد مكتبته على كتب ومخطوطات نادرة مسروقة -لا أدري لماذا تحيلني هذه الروايات والسلوكيات إلى كتاب لأميثاب غوش عنوانه: "Smoke and Ashes: A Writer's Journey Through Opium's Hidden Histories"- ما يوحي بأن بعض أكبر الشركات في العالم، والعديد من أقوى العائلات والمؤسسات الأمريكية قامت على تجارة الأفيون. على أي حال أظن أن هذه الأقوال أباطيل أو من زخرف القول أو حكايات للتندر والتفكهة تتناقلها الأجيال خلفا عن سلف في دور العلم والثقافة. ولكن في الوقت نفسه يخطر ببالي في ضوء تجربتي أن ما يقال هو صحيح. فقد شاهدت وما أكثر ما شاهدت الطفل وما كبر منه يتجول في الحديقة، يتلفت يمينا وشمالا، ثم يمد يده خفية إلى وردة متفتحة فيقطفها، ويحتكرها لنفسه، لا يقدر على أن يتكلم في نفسه الأمانة بالسوء أو يستسلم لغلبة شعور الجمال وقهره، كما جربت شخصيا، كتب ذهبت من عندي ولم تعد، أعلم علم اليقين ذهابها وغيابها، ولكن لا أعلم متى وإلى من؟ فأنا غير مستغرب من صحة ما يقال عن سرقة الكتب. كما أنا عجبني يزول إذا راجعت تجربتي. ف"فتاوايي" تحرم بسرقة الكتب بينما تسمح بقطف الأزهار وسرقة بعض الأغصان الناعمة بشرط على أن لا يجر ذلك إلى فساد كبير في المصالح العامة.

ومطمئنا إلى ما وصل إليه رأيي واستقر عليه "تفقيهي" ولكن مختلسا النظر جراء الضغوط الاجتماعية، متلصصا، آخذا في عين الاعتبار شذوذ مثل هذا الرأي و"الفقاهة"، اقتطعت ورقة صغيرة خضراء لا يكاد يتجاوز طولها وعرضها ثلاثا في

* قسم اللغة العربية، جامعة راجوري، جامو وكشمير، الهند.

ثلاث بوصات مع قطعة من الفرع الناعم من شجيرة في أصيص ظانا أنها البوتس أو البوتس، وجئت بها إلى غرفتي، واخترت لها قارورة جميلة نحيلة بحجم نصف قدم، وملأتها ماء، وغطست فيها جزء الفرع بطريقة ظلت الورقة خارج فوهة القارورة لأمعة، ثم علقت القارورة بمسمار في الجدار في مكان يمكن للعين أن تتأمل جمالها متى شاءت.

بقيت "الشجيرة/الورقة" في القارورة مثبتة في الجدار حولين كاملين غذاؤها ماؤها ونور الشمس المتسلل الضئيل، ولكن دون أن ألاحظ طول هذه الفترة نمو مرجوا وتطورا ملموسا، إلا من ورقة جديدة تأخذ مكان الورقة القديمة بعد أن تصفر هذه القديمة وتذوى وتفضى، وجذور صغيرة نامية متدلّية، ثم الورقة لا تزيد في عددها ولا تنقص. هذه الدورة ظلت قائمة دون أي تغير جوهري، حتى أتى علي يوم سئمت من ركود المنظر، وعزمت أن أنتهي من قصة البوتس، ولكن لا بدون تجربة أخيرة، وليكن بعدها ما يكون.

انتزعت الورقة وما معها من محيطها، وحضرت أصيصا صغيرا، ملأته ترابا، وغرست فيه أو الأخرى ألقيت فيه وتخلّيت. أبقيتها في الغرفة في دراجة حرارتها المعتادة عدة أيام، فرأيت أن نقلها من مكان إلى مكان لم يؤثر فيها شيئا قليلا ولا كثيرا، هي حية، لا تتكمش ولا تتداح، ثم أخرجتها إلى الشرفة حيث أشعة الشمس تبقى لست ساعات تقريبا، وبعد أيام فقط رأيته لعجبي تنمو ويتغير شكلها ومزاجها، يتسع حجمها وفي الوقت ذاته ينبت من داخلها ما يشي وينبئ بنشأة ورقة أخرى. وبعد أيام قلائل أخرى كان الأمر أكيدا: الشجيرة كانت قد استوت على سوقها، وتقول بلسان حالها أن هذا الأصيص الصغير لا يسعني في المستقبل، أنا لست من الجنس الذي تحسبني أنا منه، أنا من جنس آخر. ولكن حتى الآن لم تظهر على صورتها الطبيعية وهيئتها الحقيقية. الورقة مثل ورقة "البان"، مع فارق، أكثر كثافة وأقل نعومة منها. ثم آن أوان نقلها إلى أصيص أكبر يلبي دعوتها وفي حاجتها. وصدق لسان حالها.

مر عليها الآن، إذا أسعفتني الذاكرة، قرابة خمس سنوات. هي ليست ما كنت أردتها. أخطأت الظن والتخمين. لكن بالله وبحمد الله أجمل مما كنت وددت اقتناءها واكتازها. طول الشجيرة الآن قدم، وحجم ورقة من أوراقها كفان وأزيد مشقوقة بطريق ونسب تسر الناظرين. هي شجيرة قشطة دندروم. أفكر في حجمها الآن والقارورة التي كنت وضعتها فيها. حاولت تقزيمها فأثرت الموت. وضعتها في محيطها الأصلي وأعطيها الحرية فهي الآن كما هي، لا أملك كلما رأيته واستعرضت تاريخها إلا أن أقول: تبارك الله أحسن الخالقين... جارتني تقول إنها في رأيها من أحب من اقتني من الأشجار والشجيرات، وأحسب لولا حراستي الشديدة لسولت نفسها بسرقتها، فهي تكاد تصدق بما أصدقه من الفتوى.

حوارات

حوار مع الروائي الإرتري هاشم محمود حسن

حاوره: محمد معراج عالم*

هاشم محمود حسن كاتب إرتري من مواليد عالم 1976م، وهو يكتب القصة القصيرة والرواية بجانب إنتاج الإبداعات الشعرية، وتغنى ببعض قصائده فنانون عظماء من أمثال قصيدة "وطن الشموخ" تغنى بها عبد العزيز مرانت، وقصيدة "نورة" تغنى بها الفنان فتحى محمد على، ولكنه يعرف كروائي يكتب عن الوطن ويصف في رواياته الهموم التي يعانها الناس والنضالات التي خاضها الشعب الإرتيري عبر التاريخ للحرية الوطنية، فيطلق عليه بعض النقاد لقب "كاتب الوطن"، ونالت رواياته إعجاباً شديداً وتلقت حفاوةً بالغةً من قبل الأوساط الأدبية، حتى صدرت لبعض رواياته طبعات متعددة وصدرت لروايته "عطر البارود" خمس طبعات خلال ثلاثة أعوام ونالت درجة أكثر المبيع من قبل مؤسسة روافد للنشر والتوزيع وفازت بجائزة الأوسكار كأفضل رواية إفريقية طبعت بجمهورية مصر العربية للعام 2019م من قبل شبكة إعلام المرأة العربية، وكذلك فازت حالياً بجائزة توليولا الإيطالية العالمية، ونظراً إلى قيمة سردياته الروائية ترجمت بعض روايته ومجموعات قصصه إلى اللغات الأجنبية من أمثال الإسبانية والإنجليزية والفارسية والمليالية، والجدير بالذكر أن رواياته تركز على الكفاح الوطني الذي قام به الشعب الإرتيري. صدرت له ثلاث مجموعات قصصية وثمانى روايات وكلها تجري حول النضال الذى قام به الشعب الإرتيري ضد الاحتلال، والأحداث في جميعها ترتبط بعضها ببعض.

وسأحاوره هنا عن جوانب حياته المختلفة وأعماله الإبداعية، والعناصر التي أدت دوراً ريادياً في تكوين شخصيته الإبداعية.

* باحث هندي.

س. أهلاً وسهلاً ومرحباً بك الأستاذ الروائي هاشم محمود حسن، أين ولدت؟ وما هي الخلفية التاريخية لمسقط رأسك من ناحية تاريخ النضال والكفاح لتحرير الوطن؟

ج. ولدت بالمنطقة الغربية لدولة إرتريا القاش، وتحديداً بقرية (قلوج) التي تقع في إطار المنطقة التي عاش بها مفجر الثورة الإرترية البطل الشهيد حامد إدريس عواتي، وهي (قريه قرست)، وفي الحقيقة هذه المنطقة بصفة عامة أي الغربية ومنطقة القاش بركة هي مهد الثورة الإرترية.

س. ما هي الخلفية للعائلة التي ولدت فيها؟ وما كان اسم أبيك وجدك؟ وإلى أين ينتهي نسبك؟ هل أجدادك هاجروا من العرب إلى إرتريا أو كانوا من السكان الأصليين فيها؟

والذي محمود حسن وجدي حسن محمد ، وأما خلفيتهم التاريخية فهم من السكان الأصليين لإرتريا، ومسقط رأسيهما بمنطقة عنسبا وتحديداً قريه (باشري) حيث يوجد قبر كل السابقين للأسرة ومزارعهم ، ومنطقة عنسبا تقع بالوسط الإرتري، وتحدرد جذور الأسرة من المرتفعات الإرترية التي لاتبعد سوي بضع كيلومترات من المنطقة الوسطى أي عنسبا.

س. ماهي الأوضاع الثقافية والاجتماعية والإبداعية في بلادك؟

ج. لعب الأدب دوراً كبيراً في إثارة الكفاح المسلح ضد الاستعمار، وتحديداً آثار الشعر بكل اللغات الإرترية حماساً في الشباب، والرواية بدأت متأخرة في منتصف السبعينيات والشيخ محمد سعيد ناود أول من كتب الرواية العربية الإرترية. أما في مطلع التسعينيات بعد تحرير كامل التراب الإرتري فقد نشطت الحركة الثقافية بعض الوقت وسرعان ما تراجعت.

س. هل لي أن أعرف بمسيرتك الدراسية ؟ وذلك بداية من المستوى الابتدائي ونهاية إلى المستوى الجامعي؟

ج. بدأت مسيرتي الدراسية بتحفيظ القرآن الكريم بخلوة أم بروش تحت رعاية الوكالة الإسلامية الأفريقية، و تدرجت منها الي معهد أم بروش السلفي حتي الصف

السادس ثم التحقت بالمنهج الدراسي الحكومي بالصف السادس بمدرسة أم بروش الابتدائية للبنين، ثم التحقت بالمرحلة المتوسطة بمدرسة أم سقطة المتوسطة الثانوية للبنين، ثم التحقت بمدرسة عمر الحاج موسى الثانوية للبنين بمدينة كسلا شرق السودان، وأخيراً التحقت بكلية الدراسات التجارية التابعة لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا تخرجت من قسم إدارة الأعمال في عام 2001م.

س. ما هي المهن التي اخترتها لكسب الرزق للعائلة؟

ج. عملت منذ تخرجي في مهنة المحاسبة وقسم المشتريات بالسودان . وحالياً أعمل بمهنة المحاسبة بدولة قطر القطاع الخاص

س. كيف شغفت بالأدب العربي؟ وممن تأثرت من الأدباء العرب؟

ج. بدأ شغفي بالأدب مبكراً من خلال تقديمي للأمسيات الثقافية بالمرحلة المتوسطة، إلا أنني لم أتأثر بأي مدرسة أدبية حتى لا أكرر نهجاً محدداً. فقد كنت اهتم كثيراً بالكتب الفكرية، والكتاب الذي أعجبنى كثيراً حينها "رجال حول الرسول" لخالد محمد خالد وكتب السيرة النبوية.

س. كيف بدأت مسيرتك الإبداعية؟ وماهي المشاكل التي واجهتها في هذا السبيل

وكيف تجاوزتها؟

ج. بدأت أكتب في عدة مسودات وكنت أعرضها علي الأصدقاء لغرض إبداء الرأي وكان ذلك ما بين عامي 2011-2012م.

وكانت أكبر عقبة هي كيفية التعامل مع دور النشر، وتغلبت عليها بمعاونة الأصدقاء بعد عدة محاولات كانت تضل فيها المخطوطة طريقها من دار لأخرى.

س. ما هي باكورة أعمالك السردية التي صدرت لأول مرة؟

ج. أول مخطوطة كتبها كانت رواية (عطر البارود) في مرحلتها الأولى إلا أنني نشرت رواية "الطريق إلى أдал" أولاً، من دار الجنان للنشر والتوزيع بالملكة الأردنية الهاشمية، وهي باكورة إنتاجي الأدبي.

س. بعض الكتاب أطلقوا عليك لقب "كاتب الوطن"، فما هي الأسباب وراء ذلك؟ وماذا كتبت عن وطنك؟

ج. الروائي والقصص القطري الأستاذ جمال فايز هو أول من أطلق علي لقب كاتب الوطن ، وكان ذلك في عام 2019م حينما صدرت روايتي الرابعة (عطر البارود) والسبب يعود إلى اهتمام كل أعمالتي الأدبية بوطني إرتريا.

س. هل سافرت إلى بلاد أجنبية؟ وما هي؟ ولأي غرض؟ هل لغرض التوظيف؟ أو كرحلة كمبدع؟

ج. لم أسافر إلى بلاد أجنبية إلا أنني شاركت بمعرض مسقط الدولي للكتاب في عام 2023م بدعوة رسمية من صالون الدكتور فاطمة العلياني للمشاركة بإحدى الفعاليات. وكذلك قدمت لي دعوة للمشاركة بمؤتمر اللغة العربية بجامعة كاليكوت بالهند إلا أن ظروفًا طارئة حالت دون حضوري.

س. ما هي الأنواع الأدبية التي كتبت فيها؟ وما هي الروايات التي صدرت لك؟

ج. كتبت القصة القصيرة والرواية والشعر الغنائي باللهجة الدارجة، وأما أعمالتي الروائية فهي الطريق الي ادال، تقوريا، عطر البارود، مسافر زادة الكرة، الكتيبة (17)، فجر أيلول، كلونيا الجديدة، عزيز.

وأما المجموعات القصصية فهي شتاء اسمر، الأنتحار على أنغام الموسيقى، حارس الجسد.

س. ما هي الجوانب التي عالجتها في رواياتك؟

ج. حاولت بقدر المستطاع إبراز دور النضال الإرتري من أجل التحرر وكذلك حياة اللجوء والتشرد التي عاشها الشعب الإرتري. وبعض القضايا التاريخية للشعب الإرتري.

س. لماذا تناولت الثورة في نصوصك الروائية؟

ج. الثورة الإرترية تعتبر ثورة منسية لم يتمّ الأهتمام بها من قبل المحيط العربي والأفريقي فهي الثورة الوحيدة بالعالم التي حققت تحرير كامل التراب بدون أي

مفاوضة، وإنما بقوة البندقية، ألا يحق لي أن أبرزها للعالم الخارجي وتعريف العالم بها كي لاتساها ذاكرة الشعوب.

س. لقد قرأت روايتك " فجر أيلول " وهي تشتمل على النضال السياسي، ولكنك وصفت في بعض الأحيان الأعضاء الجسدية وصفا تظهر فيه شائبة المجون، فلماذا اخترت هذا الأسلوب؟ وما هو الغرض وراء هذا المنهج الأسلوبي؟

ج. كأن الهدف من إبراز هذا الجانب من الوصف تقريب فكرة الفتاة الغربية ذات الطابع الاستعماري ومهمة الشاب الأفريقي ذا الأسلوب الثوري للقارئ، لكي يعلم القارئ أن الرجل الثوري استطاع التزوج مع المرأة الغربية رغم اختلاف الثقافات، و تمكن من التأثير على المرأة الغربية وتعريفها بقضية الأساسية.

س. صدرت رواية لك تشتمل على النضال السياسي ضد الاستعمار الإيطالي، وسميتها ب" الكتيبة 17" فما هو السر وراء تسميتها بهذا الاسم؟

ج. لرمزية الكتيبة (17) في حسم الصراع الإيطالي والبريطاني في معركة (تنقلحس) بإرتريا والتي كانت تتكون من عدد مقدر من أبناء أرتريا بحثا عن الاستقلال عقب انتهاء الحرب إلا أنهم خذلوا من قبل بريطانيا بعد ذلك.

س. صدرت حاليا روايتك باسم "عزيز"، فما هي الثيمة المركزية التي تحتوي عليها الرواية؟

ج. رواية عزيز تدور أحداثها حول شخصية حقيقة تدعى عبدالعزيز زرووم وهي شخصية مؤثرة في المجتمع الإترتي . وتعتبر أدب السجون حيث تعرض للسجن فترة طويلة وخرج منه مصابا بأذى بدني أقرب مايكون إلى الشلل بإحدي رجله وبعد رحلة طويلة من العلاج تماثل للشفاء.

س. وجدتك غزير الكتابة لأنني أدركت أنك تصدر في رأس كل سنة كتابا في القصة أو الرواية، فما هو السر وراء غزارة إنتاجاتك؟ كيف تجد فرصة في زحام الأعمال الوقت لكي تكتب؟

ج. لقد أعددت نفسي جيداً قبل الدخول في هذا العالم الأدبي بعدة مخطوطات مسبقة وهذا ساعدني كثيراً في الاستمرارية. وأنظم زمني جيداً رغم ضغوطات الحياة

اليومية. وكذلك لي رسالة أحب تقديمها، ثم المثابرة والاجتهاد زادني في ذلك، وأخيراً من كان له دافع لتحقيق النجاح سوف يصل رغم كل الظروف القاسية التي يعيشها.

س. ما هي الجوائز التي نلتها على إصداراتك الأدبية؟

ج. نالت روايتي عطر البارود الأوسكار من قبل شبكة إعلام المرأة العربية 2019م. وكذلك النسخة الإسبانية منها نالت درع شيخ المترجمين العراقيين. ونالت روايتي "فجر أيلول" جائزة توليولا الإيطالية العالمية عام 2023م.

س. ما هي الخطط الإبداعية والسردية المستقبلية؟

ج. سوف أجتهد للمحافظة علي نفس المنوال رواية أو مجموعة قصصية بكل عام.

قراءة في كتاب

قراءة في كتاب "إشكاليات تاريخ الأدب العربي"

* د. غيات الإسلام الصديقي الندوي

Email: ghayasul17@gmail.com

يسود المشهد العربي نمط من التأليف يقوم على تتبع مسيرة الأدب العربي الممتدة من العصر القديم إلى العصر الراهن، وعُرفت المؤلفات التي تتبع هذا المنهج بكتب "تاريخ الأدب العربي"، وانتشرت عند العرب منذ مطلع القرن العشرين، واعتمدت لتدريس الأدب العربي في المدارس والجامعات منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا. وعلى

الرغم من مرور أكثر من قرن على ظهور هذا النمط التألفي، فلا يزال التأليف في تاريخ الأدب مستمرا، ولا تزال الجامعات تعتمد مادة تاريخ الأدب مقررا لتدريس الأدب العربي. ولا شك في أن تاريخ الأدب ينبغي أن يتجدد من جيل إلى جيل؛ إذ إن

اسم الكتاب: إشكاليات تاريخ الأدب العربي،
دراسة نقدية في فلسفة الأدب وتاريخه
اسم المؤلف: عيسى بن سعيد الحوقاني
الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،
لبنان
الطبعة الأولى: 2023م
عدد الصفحات: 512

التاريخ للأدب لا يتوقف عند نقطة محددة؛ لأن الحركة الأدبية والثقافية لا تعرف التوقف؛ فدواليها متسارعة، وينبغي لمؤرخي الأدب العربي اللحاق بها.. وهناك مناهج نقدية جديدة لا ينبغي لنا إغفال دورها في تجديد مسار هذا النمط من التأليف كما صرح به الدكتور عيسى بن سعيد بن عيسى الحوقاني، أستاذ مساعد للنقد والأدب في جامعة نزوى، سلطنة عمان، في مقدمة كتابه "إشكاليات تاريخ الأدب العربي، دراسة نقدية في فلسفة الأدب وتاريخه"، الذي نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، طبعته الأولى في فبراير 2023م. ويقع في حدود 512 صفحة.

يؤكد المؤلف على ضرورة التجديد في كتابة التاريخ فيوضح أن التجديد في هذا المجال لا يمكن تحقيقه إلا بمراجعة ما كُتب منذ نشأة هذا النمط التألفي وحتى

* محاضر ضيف، الكلية الطبية الأيورفيدية اليونانية التابعة لجامعة دلهي، نيودلهي، الهند.

يومنا هذا؛ إذ ليس من المقبول ترك مؤلفات "تاريخ الأدب العربي" تنمو وتتكاثر دون مراجعات واعية، ودراسات نقدية معمقة تسبر أغوارها، فتكشف عن نظرياتها الفلسفية، وتميط اللثام عن الإشكاليات المتعلقة بمناهجها، ومؤلفيها، والنصوص التي تضمنتها، وتكشف عن دور المتلقي في توجيه خطابها، وتجتهد في اقتراح حلول مناسبة لإشكاليات هذا النمط التأليفي وتخرج بتصوير يسهم في تصحيح مسار كتابة تاريخ الأدب العربي.

وبالتالي يعرف المؤلف الإشكاليات بأنها جمع إشكالية وهي مصدر صناعي يقصد به في هذا الكتاب مجموعة المسائل الملتبسة التي تتعلق بالتاريخ للأدب العربي، وهي إشكاليات وليست مشكلات، لأن المشكلة قد يُتوصل إلى حل يقيني لها، أما الإشكالية فهي معضلة نظرية لا يتوصل فيها إلى حل يقيني، والتاريخ للأدب يقصد به كتابته أي: تتبع التحولات التي مر بها والتقلبات التي وجهت مسيرته منذ النشأة وحتى عصرنا الحالي.

وانطلاقاً من إشكالية البحث سعى المؤلف في هذا الكتاب إلى تحقيق أهداف منها: تتبع مسيره التاريخ للأدب العربي منذ نشأتها وحتى العصر الراهن، والكشف عن الأسس الفلسفية التي انطلق منها مؤرخ الأدب العربي، وتتبع إشكاليات التاريخ للأدب العربي والكشف عن أسبابها، والبحث عن الحلول التي تسهم في تجاوز تلك الإشكاليات، وتحسُّس الشروط والمهارات التي ينبغي أن تتوافر في مؤرخ الأدب العربي، واقتراح رؤية جديدة للتاريخ للأدب العربي قدر الإمكان¹.

قبل المقدمة عرض المؤلف ملخص الدراسة وصرح فيه بأنه يعني في هذا الكتاب بإشكاليات التاريخ للأدب العربي في مختلف مراحل الزمانية، إذ تناول قضايا النشأة والمفهوم، وكشف عن حظ الأدب العربي من التاريخ في كتب التراث العربي، وعن جهود كل من العرب والمستشرقين في التاريخ للأدب العربي، كما تناول المنطلقات الفلسفية والأسس النظرية التي يقوم عليها تاريخ الأدب، وكشف

¹ الحوقاني، عيسى بن سعيد. إشكاليات تاريخ الأدب العربي، دراسة نقدية في فلسفة الأدب وتاريخه، ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2023م، ص 14-15.

عن ست نظريات فلسفية اتكأت عليها مناهج التاريخ للأدب العربي، وهي: النظرية البطولية، ونظرية التطور، ونظرية الأعراق البشرية، والنظرية الثقافية، ونظرية الشك، ونظرية الأجناس الأدبية².

يضم الكتاب أربعة فصول؛ أولها في بيان النشأة والمفهوم، يتحدث فيه المؤلف عن حظ الأدب العربي من التاريخ في المصادر العربية القديمة، وجهود المستشرقين في التاريخ للأدب العربي، و الجهود العربية في التاريخ للأدب العربي.

وفي الفصل الثاني تطرق المؤلف إلى بيان الأسس الفلسفية لتاريخ الأدب العربي، فناقش أولاً: فلسفة التاريخ، والمؤرخ وفيلسوف التاريخ، وثانياً: الانقلابات السياسية محور الحركات الأدبية (النظرية البطولية)، وثالثاً: نظرية التطور (النشوء والارتقاء)، ورابعاً: التاريخ حسب الأعراق البشرية (نظرية الأعراق)، وخامساً: تنوع الثقافات وأثره في تاريخ الأدب (النظرية الثقافية)، وسادساً: النزعة العقلانية القائمة على الشك (نظرية الشك)، وسابعاً: أصالة الجنس الأدبي (نظرية الأجناس الأدبية).

في بيان أصالة الجنس الأدبي أوضح المؤلف أن كثرة الخطابات الأدبية والنصوص الإبداعية وتنوعها شكلاً ومضموناً؛ جعلت النقد منذ القدم يبحثون عن معايير تيسر ضبط تلك النصوص، وتسهل تصنيفها، فكانت "نظرية الأجناس الأدبية" وسيلة من وسائل تنظيم الإبداعات الأدبية ومعيّاراً تصنيفياً لتلك النصوص، إذ تسهم "نظرية الأجناس الأدبية" في رصد خصائص الأنواع الأدبية، وتتبع التغيرات التي تطرأ عليها عبر الحقب الأدبية المتعاقبة³.

وإن مسألة الأجناس الأدبية ليست وليدة العصور المتأخرة، بل هي مسألة قديمة تضرب بجذورها إلى العهد اليوناني إذ يعد "أرسطو" في كتابه فن الشعر المنظر الأول للأجناس الأدبية، وقد أكد إيف ستالوني أنه "مما لا غبار عليه أن النص المؤسس في قضية الجنس الأدبي ... هو نص أرسطو في الشعر"⁴.

² المرجع نفسه، ص: 11.

³ المرجع نفسه، ص: 197.

⁴ المرجع نفسه، ص: 198.

ولا شك في أن تجنيس النصوص الأدبية قد مر بمراحل تاريخية، وفضية، وجمالية، وخضع للتطوير على المستويين النظري والتطبيقي منذ أرسطو وأفلاطون مروراً ببرونوتير وهيغل وميخائيل باختين وتودوروف ورينيه وليك وآستن وآرن وماري شيفير وجينيت، ولا يمكن توقع نقطة نهاية تقف عندها عمليات التطور التاريخي والفني والجمالي لتجنيس النصوص الأدبية⁵.

ويبدو أن توظيف لفظة "الجنس" في كتب التراث الأدبي كان للدلالة على النوع أو القسم، إذ تناول النقاد العرب الأدب بقسميه الشعر والنثر، وتناولوا الخطبة والرسالة، والمقامة على أنها من ضروب النثر، فالتصنيف والترتيب والتنظيم من الأمور الحتمية في تدوين العلوم والفنون، إلا أن استعمالهم للفظ "الجنس" لم تصل إلى الدرجة التي تمكنا من الجزم بأنهم أدركوا مصطلح "الجنس الأدبي" بمعناه الحديث⁶.

أما الفصل الثالث فيوضح إشكاليات مناهج تاريخ الأدب العربي، ويتوزع إلى ثمانية عناوين، أولها: مؤرخو الأدب والوعي بمناهج التاريخ الأدبي، ويناقش فيه المؤلف التقسيم الزمني وبناء الحقب التاريخية، وأهمية التحقيب في تاريخ الأدب. والعنوان الثاني: إشكاليات التحقيب الثلاثي (قديم - وسيط - حديث)، ويبين فيه المؤلف أن "العصر الحديث" إذا كان في التاريخ الأوروبي يرمز إلى الخروج من عصور الظلام والدخول في عصر النهضة والأنوار فإن عكس ذلك حدث في هذه الحقبة من التاريخ العربي، فربما يكون وضع العرب أسوأ مما كانت عليه أوروبا في عصرها الوسيط، إذ حافظت أغلب دول أوروبا على استقلال ترابها، بينما أصبح تراب البلدان العربية مستعمراً من جانب الأوروبيين، وأصبح العرب في هذه الحقبة تابعين بعد ما كانوا متبوعين، يحاولون اقتباس الأنوار من الحضارة الغربية ليخرجوا من ظلامهم. أمن المعقول بعد هذا أن نسلم بإطلاق "العصر الحديث" على هذه الحقبة من تاريخنا العربي ونحن العرب في هذا الوضع من التبعية والتفكك والجهل والتناحر؟

⁵ المرجع نفسه، ص: 199.

⁶ المرجع نفسه، ص: 201.

إن مقارنة تحقيب التاريخ الأوروبي بمقابله الزمني في التاريخ العربي، وأن تطبيق هذا التحقيب على تاريخ الأمة العربية ما هو إلا ضرب من التكلف، فلامفر لمن يطبقه من أحد أمرين: - إن لم يكن كليهما- إما أن يحمل التحقيب، أو يحمل التاريخ العربي ما لا يحتمل⁷.

والعنوان الثالث: إشكاليات التحقيب السياسي، قد ناقش المؤلف فيه عدد الحقب وامتدادها الزمني ومسمياتها، والخروج عن المنهج التحقيقي، وثنائية المركز والهامش أو المركز والأطراف، وتداخل الخصائص الفنية بين الحقب الأدبية، وتصنيف الأدباء في الحقب الأدبية، ومحاولات تجاوز إشكاليات التحقيب السياسي. وعند التعرض لمحاولات تجاوز إشكاليات التحقيب السياسي يبين المؤلف أن المسيرة الأدبية لا تعرف الانقلابات المفاجئة التي تعرفها المسيرة السياسية فإن صح أن تكون سنة 132هـ حداً فاصلاً بين العصر الأموي والعصر العباسي، وسنة 656هـ حداً فاصلاً بين العصر العباسي والمغولي لأن فئة حاكمة قضت سياسياً على فئة حاكمة أخرى؛ فلا يصح في الأدب لأن سنتي 132هـ و656هـ لم تشهدا صراعاً بين ظاهرتين أدبيتين ولم تقض ظاهرة أدبية على أخرى كما هو الشأن في السياسة. فأسلوب عبد الحميد الكاتب ظل مستمراً في العصر العباسي وإن كان الكاتب موالياً للأمويين وقتل معهم فأسلوبه لم يقتل معه، ولم يسقط بسقوط الأمويين، وهذا ما يؤكد الزيات في قوله: "وظلت الكتابة في أول العصر العباسي على أسلوب عبد الحميد الكاتب من ميل إلى الإيجاز، والقصد في الغلو والتنميق، ولا سيما في الرسائل والتوقيعات"⁸.

ومن الإشكاليات التي اصطدم بها مؤرخو الأدب وحاولوا تجاوزها إشكالية المرحلة الانتقالية من عصر إلى آخر، فهذه المرحلة تكون شديدة الغموض في كتب تاريخ الأدب، إذ يخرج مؤرخ الأدب من عصر أدبي ويدخل في عصر آخر دون أن يتناول المرحلة الانتقالية بين العصرين فالمسيرة الأدبية -كما أشرنا- لا تعرف الانقلابات

⁷ المرجع نفسه، ص: 248.

⁸ المرجع نفسه، ص: 294- 295.

المفاجئة، ولتجاوز هذه الإشكالية لجأ مؤرخو الأدب إلى طريقتين: الأولى تتمثل بانتقال مؤرخ الأدب من عصر أدبي إلى آخر دون أي تمهيد كما فعل الزيات في انتقاله من العصر الأموي إلى العصر العباسي، والثانية تتمثل بالمقدمات التمهيدية التي يلخص فيها مؤرخ الأدب الأحوال السياسية والاجتماعية للعصر، ويبين ما لحق الأدب من رقي وانحطاط بسبب تلك العوامل السياسية، كما فعل نالينو وزيدان والإسكندري وشوقي ضيف وحدنا الفاخوري وأغلب مؤرخي الأدب العربي، وهكذا يدخل مؤرخ الأدب في عصر جديد دون اهتمام بأحوال الأدب في الحقبة الانتقالية بين العصرين السابق واللاحق⁹.

والعنوان الرابع من الفصل الثالث: إشكاليات التحقيب الثقافي، وفيه ألقى الضوء على حضور التحقيب الثقافي في تاريخ الأدب العربي، وبناء الحقب الثقافية، وعدد الحقب وامتدادها الزمني ومسمياتها، والمركز والأطراف، وإهمال الجوانب الأدبية والفنية، وتصنيف الأدباء. والعنوان الخامس: التقسيم حسب الأغراض الفنية، وفيه بحث المؤلف حضور هذا النمط التقسيمي في كتب تاريخ الأدب العربي، وإشكاليات التاريخ للأدب حسب الأغراض الفنية. والعنوان السادس: التقسيم حسب الأجناس الأدبية، وناقش المؤلف فيه حضور هذا النمط التقسيمي في كتب تاريخ الأدب العربي، وإشكاليات التاريخ للأدب حسب الأجناس الأدبية. والعنوان السابع: التقسيم حسب المذاهب أو المدارس الأدبية، بحث فيه المؤلف حضور هذا النمط التقسيمي في كتب تاريخ الأدب العربي، وإشكاليات التاريخ للأدب حسب المدارس الأدبية. والعنوان الثامن: التقسيم الإقليمي للأدب العربي، وتعرض المؤلف فيه لحضور التقسيم الإقليمي في كتب تاريخ الأدب، وإشكاليات التاريخ للأدب العربي حسب الأقاليم.

يهتم الفصل الرابع من هذا الكتاب بتقديم الإشكاليات المتعلقة بأطراف الخطاب، ويتحدث المؤلف فيه عن الإشكاليات المتعلقة بمؤرخ الأدب العربي، فيسلط الضوء على خرق أسس المنهج، وعدم تدقيق المعلومات التاريخية، وتقليد السابقين، وتغييب

⁹ المرجع نفسه، ص: 295.

الوعي النقدي في كتب تاريخ الأدب العربي، والذاتية في كتابة تاريخ الأدب. وبالتالي يتناول المؤلف موضوع الإشكاليات المتعلقة بطبيعة المادة المؤرخة، ويبين إشكالية الانتماء الأدبي، وإشكالية الانتماء إلى الجنس الأدبي، وإشكالية انتماء النص إلى الأدب العربي، وهوية الأدب الذي كتبه غير العرب باللغة العربية. وفي نهاية الفصل يتعرض المؤلف لموضوع الإشكاليات المتعلقة بالمتلقي، ويبين فيه أن أهمية المتلقي تكمن في هذا النمط من التأليف في كونه الهدف الذي يسعى الكاتب إلى إيصال رسالته إليه، وبما أن الكاتب على يقين بأن المتلقي بشتى أنواعه هو مستهلك الخطاب؛ فلا شك في أن هذا المتلقي يكون حاضرا في ذهن المؤلف ساعة الكتابة والتأليف، فهو بمنزلة الرقيب الذي يقف خلف المؤلف فيوجه كتابته بوعي من ذلك المؤلف أو بدون وعي¹⁰.

وبالتالي يعرض المؤلف آراء المؤلفين والمفكرين واتجاهاتهم في إيضاح هذه القضية، ويقول في الختام: "ولاعيننا في هذا المقام تناول "نظرية التلقي" بالدراسة، والتحليل، وإنما يعيننا التأكيد على حضور المتلقي بشتى أصنافه في ذهن مؤرخ الأدب، وأن لحضوره دورا -صغرا أو كبرا- في توجيه الخطاب، فمؤرخ الأدب لا يختلف في هذا الشأن عن سائر المؤلفين في مختلف الأنماط الكتابية، فلا شك في أن المؤلف قد جعل المتلقي نصب عينيه لحظة التأليف، ووضع لردات فعله المتوقعة اعتبارا وأيما اعتبار¹¹".

وكذلك يناقش المؤلف حضور المتلقي في كتب تاريخ الأدب العربي، ويوضح أن المتابع لكتب التراث الأدبي والتاريخي يجد أغلب مؤلفيها إما موالين للسلطة السياسية، وإما متوجسين خيفة منها، فأولئك يزورون الحقائق المتعلقة بالمعارضين تارة، ويخفونها تارة أخرى؛ طمعا في رضی السلطة، وهؤلاء يصمتون تارة ويلمحوون تارة أخرى خوفا من السلطة، ولا شك في أن الحقيقة لا يمكن أن تؤخذ من الطامعين، ولا من الخائفين، ولهذا وجب التثبت قبل التسليم بما وصل إلينا عن طريق

¹⁰ المرجع نفسه، ص: 467.

¹¹ المرجع نفسه، ص: 472.

المتقدمين، وهذا ما يؤكد طه حسين إذ يقول: "أريد ألا نقبل شيئاً مما قاله القدماء في الأدب وتاريخه إلا بعد بحث وثبت إن لم ينتهيا إلى اليقين فقد ينتهيان إلى الرجحان"¹².

في نهاية الكتاب يلقي المؤلف ضوءاً على أهمية هذا التأليف وضرورته قائلاً: "وتجدر الإشارة إلى أن إشكاليات تاريخ الأدب العربي قد ترد متناثرة في كتب المناهج والدراسات الأدبية والنقدية، وفي مقدمات كتب تاريخ الأدب، إلا أنها إشارات عامة ترد مقتضبة في سياقات مختلفة، ولم نجد - في حدود اطلاعنا - بحثاً مستقلاً يختص بدراسة إشكاليات التاريخ للأدب العربي، ومن هنا نأمل الطرافة لبحثنا؛ إذ سعينا أن يكون عملاً منهجياً مختصاً بالبحث في إشكاليات التاريخ للأدب العربي، ونأمل أن يكون خطوة أولى تفتح المجال لتجديد كتابة تاريخ أدبنا العربي، إذ لا يوجد - ولا يمكن أن يوجد - كتاب مثالي جامع مانع يفي بتاريخ الأدب العربي، ولهذا لا بد أن يستمر الدارسون في البحث عن حلول للإشكاليات التي تعترى هذا النمط التأليفي، وإننا نعيد ونؤكد أن كتابة تاريخ الأدب لا بد أن تتجدد من جيل إلى جيل، ولا يمكن تحقيق هذا التجديد إلا بدراسة الإشكاليات واقتراح الحلول"¹³.

وعقب دراسة هذا التأليف، يجد الباحث أنه إضافة ملموسة إلى ثروة المكتبة العربية، وقد تعرض المؤلف فيه لجهود العرب والمستشرقين في مجال تاريخ الأدب، وناقش مختلف النظريات الفلسفية في هذا الصدد، والإشكاليات المتعلقة بمنهج التاريخ الأدبي، وأولى عناية بما يتعلق من إشكاليات أطراف الخطاب، ومؤرخ الأدب، وكشف عن خمسة أنواع من الإشكاليات التي تتعلق بالمادة المؤرخة كعروبة النصوص وأدبيتها وجنسها الأدبي، وانتمائها الزماني والمكاني، وكشف عن الإشكاليات المتعلقة بالمتلقي، فتناول مظاهر التلقي في كتب تاريخ الأدب العربي، وتطرق إلى فكرة كتابة "تاريخ التلقيات"، التي نادى بها هانس روبيرت ياوس (Hans Robert Jauss)، ومدى إمكان تطبيقها في التاريخ للأدب العربي، وناقش

¹² المرجع نفسه، ص: 472.

¹³ المرجع نفسه، ص: 486.

درجة حضور المتلقي في هذا النمط التأليفي ومدى مشاركته في إنتاج الخطاب. كما سعى إلى اقتراح الحلول في حذر شديد، إذ إن الإشكاليات لا توجد لها وصفات منهجية تعالجها علاجا تاما، فإشكاليات التاريخ للأدب العربي تبقى ماثلة أمامنا ولا نملك لها حولا يقينية؛ فلم يكن هدف الكتاب إيجاد حلول جذرية لجميع الإشكاليات؛ وإنما السعي إلى التخفيف من حدتها قدر المستطاع.

ومن خلال دراسة الإشكاليات التي تعترى مؤلفات تاريخ الأدب، توصل المؤلف إلى ضرورة تضافر الجهود من أجل تجديد كتابة تاريخ الأدب العربي وفق تصور جديد يلتزم منهجا واضحا لا يحيد عنه إلا إليه، ويبتعد عن التحيزات الدينية والسياسية الإقليمية والثقافية، ويلتزم الدقة في تحديد الامتدادين: المكاني والزمني للحقب التي يؤرخ لأدبها، ويراعي معايير دقيقة في تصنيف الأدباء، وتجنيس النصوص، وأن يشتمل التاريخ الأدبي على نصوص مختلفة في أساليبها واتجاهاتها، وأن يترجم لأدباء متباينين في مستوى إنتاجهم، حتى يتمكن التاريخ الأدبي من تقديم صورة أقرب إلى واقع مسيرة الأدب العربي.

AL- JEEL AL- JADEED

International Half-Yearly Refereed Journal

ISSN: 2581-3455

No. 12-13 -2023

Editor in Chief: Prof. Rizwanur Rahman

Editorial Board:	Advisory Committee:
Prof. Mujeebur Rahman Prof. Khaldoun Saeed Sobh Prof. Maryam Abdur Rahman Rashed Alnoimy Dr. Khurshid Imam	Prof. Khaled bin Ibrahim Alnamlah, <i>Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, KSA.</i> Prof. Ahmed Ali Ibrahim, <i>University of Baghdad, Iraq.</i> Dr. Noorah Ali Khalil, <i>United Arab Emirates University, Abu Dhabi.</i> Dr. Tarek Ahmed Bakri, <i>Kuwait News Agency, Kuwait.</i> Prof. Ashfaq Ahmad, <i>Banaras Hindu University, Varanasi, India.</i> Prof. Muzaffar Alam, <i>English and Foreign Languages University, Hyderabad, India.</i> Prof. Abdul Majid Qazi, <i>Jamia Millia Islamia, New Delhi, India.</i> Prof. Bakel Dounia, <i>Ibn khaldoun University of Tiaret, Algeria.</i> Prof. Mohammed Shahid, <i>University of Mumbai, Maharashtra, India.</i> Prof. A. Rasak T, <i>Assam University, India.</i> Prof. Amine Masreni, <i>Oran 1 University, Algeria.</i> Prof. Syed Hasnain Akhtar, <i>University of Delhi, India.</i> Dr. Saeedur Rahman, <i>Aliah University, Kolkata, West Bengal, India.</i> Dr. Akhtar Alam, <i>JNU, New Delhi, India.</i> Dr. Md. Mahboob Alam, <i>JNU, New Delhi, India.</i>

Email: aljeelaljaded2017jnu@gmail.com

Website: www.aljeelaljaded.in

ISSN: 2581-3455
NO.12-13 -2023

AL- JEEL AL- JADEED **(New Generation)**

International Half-Yearly Refereed Journal
Issue.No.12-13 Jan-June & July-December 2023



R.N.I No DELARA/2017/74554

ISSN: 2581-3455

AL- JEEL AL- JADEED

International Half-Yearly Refereed Journal



Vol. No. 07

Issue. No. 12-13

Jan-June & July-Dec 2023

New Delhi



ISSN 25813455



9 772581 345009

Printed and Published by Prof. Rizwanur Rahman. Centre of Arabic and African Studies,
SLL&CS, Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
Printed at J K Offset Printers, 315, Gali Garahya, Jama Masjid, Delhi-110006

Editor: Prof. Rizwanur Rahman